



:2012

النهاية؟

THE
TWELVE

رواية

www.mlazna.com

^RAYAHEEN^

ويليام غلادستون
WILLIAM GLADSTONE

2012

النمائية؟

رواية

تأليف

ويليام غلادستون

William Gladstone

ترجمة

حسن البستاني

مراجعة وتحريـر

مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. s.a.l

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

The Twelve

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر

Vanguard Press

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2009 by Waterside Productions, Inc.

All rights reserved

Arabic Copyright © 2010 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى

1431 هـ - 2010 م

ردمك 2-0099-01-614-978

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 785108 - 785107 - (961-1) (+961-1)

ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: 786230 (961-1) (+961-1) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية
بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر
أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل.

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611) (+9611)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611) (+9611)

هذا الكتاب مَهْدَى للآلثني عشر
الذين اتسموا بقوة التوقعات القديمة
لمصلحة الجنس البشري كله

www.milazna.com
RAYAHEEN

تحقيق للمؤلف

عزيزي القارئ،

وفقاً لكبار السنّ والباحثة المايويين الذين درسوا الروزنامة الماياوية، يمثل 21 كانون الأول/ديسمبر 2012 نهاية الروزنامة الماياوية وبداية حقبة تاريخية جديدة. ستكون هذه الحقبة الجديدة تأثيرات مختلفة عن تأثيرات الحقبة الحالية، وسيكون للحشع والمادية دور أقل، وتشديد أكبر على التناغم بين الكائنات الحية كلّها. قد يلاحظ الأفراد أو قد لا يلاحظون حدوث تغييرات في حياتهم في 21 كانون الأول/ديسمبر 2012، ولكن التغييرات ستكون هائلة وستنمو مع الوقت.

يعتقد بعض الباحثّة أن تغييرات محددة ستطرأ على المجرّات وتبدّل القطبَيْن المغناطيسِيَيْن والإلكترونيَيْن للأرض. ولا يعتقد غالبية الخبراء المايويين الحقيقيين أن التغييرات التي ستحدث بشكل مفاجئ وعنيف ستُلحق الضرر بالأرض أو البشر.

توطئة

اعُتبر العام 2012 نهاية الروزنامة الماياوية. وهناك أساطير قديمة تعود إلى أزمنة الهوبي، وضالعي التبيت، لا بل أيضاً إلى أولئك الذين يعتقدون أنهم يوجهون حكمة العوالم القديمة أو خرافات ليموريا وأتلانتيس، والتي تشير بأجمعها إلى أن العام 2012 سيكون بداية أو نهاية حياة البشر التي استمرت لبضعة آلاف من السنين.

إذ وقعتم على نسخة من هذا الكتاب وأردتم قراءته، ستكونون من دون شك من أولئك المختارين العديدين الذين قد يساعدون على تحديد ما إن ستكون نهاية الأزمنة مُرفقة بدمار الكواكب أو تحول البشرية كلها؟

الانفجار الكبير

12 آذار/مارس 1949

لم يكن الانفجار الكبير الذي حدث في 12 آذار/مارس 1949 هو الحدث الذي أدى إلى تغيير كبير في الكون - ذلك الذي يصفه ستيفن هوكينغ وعلماء آخرون - بل أدى إلى بداية تكوين ماكس دوف. في مساء ذلك اليوم الشتوي والمليء بالنجوم، وعند الساعة الحادية عشرة وإحدى عشرة دقيقة وخمس وأربعين ثانية تماماً، اختبر هيربرت وجاين دوف ذروة اللذة المتبادلة الأكثر إثارة للبهجة في ذكرى زواجهما الخامسة والأربعين، وذلك في غرفة نوم منزلهما الموجود في إحدى الضواحي في جادة بنيديكت في تاريتاون، نيويورك. كان الأمر بالنسبة إلى هيربرت مجرد عملية دامت أربع عشرة ثانية. وبالنسبة إلى جاين، كان الأمر مليئاً بالمعاني. فبينما كانت قمة المتعة تطلّ عمق روحها وجسدها، اختبرت في الوقت نفسه حالة خروج من الجسد حيث كانت مُحاطة باللونين الأرجواني والأزرق الرائعين.

توقّف الزمن، ودخلت في حالة من الاستسلام الكامل. لم يسبق لها أن اختبرت أمراً مماثلاً في حياتها، في تلك اللحظة المحددة من الزمن، أدركت أنها تعدّ مع زوجها الطفل الذي يرغبان في إنجابه.

كان هربرت وجاين ابن في الشهر الثامن عشر من عمره يدعى
لويس، وقد كان الحبل السري ملفوفاً حول عنقه حين وُلِد، إلا أن
الإجراءات البطولية التي اتخذها موظفو المستشفى أدت إلى نجاته من
الأضرار التي لحقت عن ولادته.

منذ البدء، كان لويس دائم الشعور بالغمص، وسريع الغضب، وذا
نشاط مُفرط، وصعب التحكم به. ولحسن حظ جاين أن هربرت كان
يمتلك شركة ناجحة لشعر الكلب، وفي استطاعته أن يؤمن لها خادمة/مرتبعة
تساعد على العناية بالطفل، وبالرغم من ذلك، فقد كانت مهمة
صعبة. كان كلاهما لا يزالان يتوقان إلى إنجاب طفل طبيعي.

وهكذا، تمكن هربرت عند الساعة الحادية عشرة وأثنى عشرة
دقيقة من مساء 12 آذار/مارس 1949 من الاسترخاء بعد عناق استمر
ثلاث دقائق.

في الأربعينين، كتب غورخييه لويس بورخيس قائلاً إن الكون
بأكمله يتغير إذا أقام الزوجان علاقة زوجية بطريقة مثالية، وإن الأزواج
كافة يصبحون ماثلين هذين الزوجين. وهذا ما يسميه الدالاي لاما في
التيبت طريق تاتريك المودي إلى التنوير طريق الضحك والملازمة.
ويعتقد أيضاً أن شخصين يجان بعضهما بعضاً بشكل كامل يتقدان
البشرية ويساعدان الكائنات كلها على بلوغ حالة النورفانا.
لم يكن الدالاي لاما على علم بوجود هذين الزوجين أو هذه
الممارسة الزوجية.

في 12 كانون الأول/ديسمبر 1949، وعند الساعة الرابعة وخمس
دقائق من بعد الظهر، وُلِد ماكس دوف وعيانه مفتوحان والابتسامة
على وجهه.

بسبب حالة الاضطراب الكامل الذي أحاط بولادة لويس، كانت
جاين قد نُصحت بإجراء جراحة قيصرية تجعل ولادة الطفل أكثر
سهولة وتؤمن له حياة سهلة نسبياً، في حين أنها تُلحق الضرر بجاين.
ومع ذلك، كان هناك ظل قائم يحث على الظروف المُعقدة
للولادة. وتجسد ذلك الظل بشقيقه، لويس، الأكبر سناً والبالغ من
العمر سبعة وعشرين شهراً، والذي يتمتع بقوة وقدرة على الحركة
كافيتين ليكون مصدر خطر على شقيقه الأصغر المتمتع بصحة جيدة.

في اليوم الثالث من حياة ماكس، اصطاحه هربرت وجاين إلى
المَنزل، وعرفا لويس إلى شقيقه الجديد بينما كانوا جالسين على
السريр الكبير في غرفة نوم هربرت وجاين الرئيسة.

وفي غضون ثوان، وقبل أن يتمكن من القيام بأي رد فعل، أمسك
لويس بـماكس، وبدأ يضغط على عنقه بقوة. وبعد أن استعادت جاين
رُشدتها من هَوَل الصدمة، حررت ماكس من قبضة لويس، وأبعدته
عنه، في حين عمد هربرت إلى حماية المولود الجديد.

بعد أن كسح لويس جماح غضبه، أطلق سلسلة من الصرخات
الحادة، وبدأ يضرب جاين أولاً، ومن ثم هربرت الذي تعين عليه
إخراجها من غرفة النوم.

لقد لجأ ماكس من الحماسة المفرطة التي اتسمت بها عملية تعرّف
شقيقه الأكبر سناً إليه، ولكن الأمر كان بداية لعدد لا يُحصى من
الأحداث المتفجرة. لقد اتضح له منذ البدء أن هذا العنف غريب
ومتكرر، وموجه ضده على الدوام.

من جهة أخرى، كانت حياته من النواحي الأخرى عامة في منأى
نسبي عن أي أذى، وكان في مسالماً.

لقد كان ماكس قاتناً في صباه، وكان شعره بنيةً طويلاً مائلاً إلى الحمرة، وأهداب جفونه سوداء، وعينهان ببيتين داكنتين، وقسمات وجهه متناسقة تماماً ولا سيما عندما يبتسم، كما كانت حاله في معظم الأحيان.

لم يكن ماكس بديناً أو هزيلاً بل معتدل الجسم. كان رياضياً وقويّ البنية بالرغم من صغر حجمه وشحافة رُسْغِيهِ وكاحليهِ.

لم يكن يُسبدي أي خوف في أثناء تواجده مع الغرباء، بل كان على ثقة من أن كل من يلتقي به لن يكن له سوى الحب والمودة. وباستثناء علاقته المضطربة بـلويس، فقد اتسمت طفولته بالثقة بالآخرين.

مع ذلك، ولسبب مجهول - نتيجة للأذى الذي لحق به بسبب هجمات لويس، أو بعض الميول الجينية، على حدّ سواء - لم تنم لدى لويس قدرات طبيعية على النطق. كان في استطاعته إصدار أصوات على غرار أي طفل آخر من دون التمكن من تشكيل كلمات.

في الواقع، كان يفهم ما يقوله الناس كما يبدو، وكان يملك طريقة تخاطبية تقريباً للتحدث إلى والدته وإلى لويس الذي يزعجه، وهو أقصى ما بلغته مهاراته التواصلية. ووفّرت هذه الحالة لشقيقه الأكبر ساعات لا نهاية لها من الإساءات.

"أيها المعوق، أحضر لي بسكوينة أخرى من المطبخ". كان يأمره لويس.

"هيه، أيها البسيط، تعال إلى هنا، وإلا تسيبت لنفسك بكدمة". كان يصيح.

لقد ظن لويس أنه ذكي بسبب استخدام كلمة مختصرة لبسيط، وهو لقب التجبّب الذي كان يُطلقه على شقيقه الأصغر. وبالرغم من قيام جاين وهربرت بمنع لويس من نعت شقيقه بالمعوق أمامهما على الأقل، فقد سمحا له على مضدّ بنعته بالبسيط، وأملاً عنيّاً أن يملّ منه.

لم يكن لويس يبالي بقواعد والديه عندما لا يسمعان ما يقول، فسرّدد بانتظام عبارات مثل: "إن لم تعطيني تلك الشاحنة، أيها المعوق، فسأضربك". أو "ابتعد عن طريقي، أيها المعوق".

لقد استنتجت جاين وهربرت أيضاً من افتقار ماكس إلى مهارات لغوية أن ابنهما يعاني من إعاقة عقلية. وعندما كان في الرابعة من عمره، قررا الاستعانة بمعالجة لتقويم النطق، وسرعان ما أدركت المعالجة أنّها تتعاطى مع فني صغير شديد الذكاء يفهم كل شيء.

بالرغم من ذلك، لم يبدأ ماكس بصياغة جمل كاملة، وإجادة كاملة للغة قبل الأوان حتى بلوغ سن السادسة. وذات يوم، تكلم ماكس بوضوح شديد، وبشكل لا يمكن تفسيره.

قال ماكس: "أعتقد أنه يجب علينا شراء المنزل الأصفر عند ذهابنا إلى كُرمّ مارنا هذا الصيف، الذي يوجد فيه مركب وبركة". وأضاف: "لقد أحببتُ الذهاب إلى البحيرة هناك في الصيف الماضي، وأتمنى لو أستطيع الذهاب إلى هناك كل يوم".

عندما استعداوا رشدهما من هَوَل الصدمة، شعرت جاين وهربرت بسعادة فائقة.

في الوقت نفسه، كان ماكس يحقق نتائج عالية جداً في اختبارات الذكاء، مما أزال أي مخاوف كانت تعترى والديه.

في حين رَحَّب هربرت وجاين باتخاذ الأحداث متحيزاً مختلفاً،
كان الأمر مزعجاً جداً بالنسبة إلى لويس الذي ازدادت حدة الدور
الذي لعبه كخصم رهيب لماكس خلال طفولته.

علم ماكس منذ البدء بوجود هدف لحياته ومصير هام دُعي
إلى تحقيقه. ولكن هذا الإدراك لم يكن أمراً ملموساً. كان هناك
صوت في رأسه لا يستخدم أي كلمات توحي له بالعناية من
ولادته، فقط ألوان وذبذبات قوية. كان عالمه الداخلي، هذا
الملعب السري، مليئاً بالجمال والأناقة، وقد جعل ماكس في قمة
السعادة.

لقد بدأ قادراً على اكتساب معرفة حول أي موضوع، ولكنه
كان مولعاً بالرياضيات بصفة خاصة ويُظهر قدرة ومهارة غير مألوفتين
في التعاطي مع الأرقام التي تدور في رأسه باستمرار على صورة مجموعة
كبيرة من الألوان. وقبل أن يتمكن من الكلام، استطاع ضرب أرقام
من ثلاثة أعداد في رأسه.

لقد استندت هذه الموهبة إلى عامل ثلاثي الأبعاد. كان يتحلى
غلباً موضوعية بشكل عمودي وأفقي، وخطوطاً لامتناهية تمر عبر
جوانب هذه المستطيلات من دون اختراقها، ويتصور أن كل علبة هي
عالم كامل بحد ذاته، فيتأمل شكلها، واتجاهها، وعدم وجود بداية أو
نهاية لها ومجموعة العُلب.

لقد منحت هذه التمارين سعادة كبرى على غرار معظم الأشياء في
حياته. ومع ذلك، كان هناك تذكير دائم أن الأمور لا تسير كلها
بشكل ممتاز.

إنه لويس.

فبالرغم من السادية والعنف اللذين عانى منهما على يدي شقيقه
الأكبر، اعتبر ماكس لويس صديقه المفضل. وتلك الصلة غير المألوفة
القائمة بينهما حملت ماكس على الشعور بتعاطف كبير مع شقيقه،
وبدا الأمر كما لو أنهما يتذكران تلك المرحلة المُعقَّبة المشتلة بالرحم.
ومنذ لحظة ولادته، قبل ماكس أنه حيثما وجد يُمكن تماماً في المكان
الذي يُفترض أن يكون فيه في هذه الحياة، وكان في سلام تام مع الفكرة.
من جهة أخرى، كان لويس غاضباً بسبب اضطرابه إلى مغادرة
تلك الحالة الوجودية المثالية واستقبال العالم له بقبضة خائفة. وهكذا،
فقد جاء إلى هذا العالم راكلاً وزاعقاً، وبقي في حالة مستمرة من
التمرد.

لقد ازداد غضب لويس بسبب عدم شعور ماكس بهذا الأمر،
فقرر جعل حياة شقيقه بائسة بقدر بؤس حياته من خلال ممارسة القوة
والترهيب عليه. وعندما كانا دارجين، دأب لويس على مهاجمة
ماكس، وتثبيتته على الأرض، والضغط بيديه على عنقه، والانسحاب
بعد ذلك حالماً يبدأ ماكس بالبكاء. وعندما يأتي البالغان مُسرعين،
يكون لويس قد ابتعد مسافة آمنة تمنعهما من إدراك مستوى العنف
الذي مارسه على شقيقه. وما أنه لم يكن في استطاعة ماكس التعبير
عن مكونات صدره، فقد بقيا على جهل تام بما كان يدور حولهما.
في النهاية، تعلم ماكس أن يدعي الموت لأن مقاومة لويس أمر
مستحيل بسبب قوته التي تفوق قوة البشر عندما يستشيط غضباً،
لدرجة أن الأمر يتطلب تضافر أكثر من قوة شخص بالغ لإخضاعه،
هذا إذا أدركوا الحاجة إلى القيام بذلك.

وبالرغم من ميله الفطري إلى التنازل، وجد ماكس أن العنف
المستمر بدأ يُلحق الضرر به. فهو لم يشعر أبداً بالأمان في المنزل،

وكان يعلم أنه سيتحمل تبعات أي نجاح يحققه في المدرسة أو في أي مظهر من مظاهر الحياة.

وبازدياد الهجمات، فكر ملياً في إنهاء حياته بهدف الفرار من معذبه.

ففي سنّ السابعة، اعترم طعن معدته بسكين دهن الزبدة. وفي حين كان يرى في علله الداخلي السري الغاية المحتملة من وجوده ويستحسّ للإمكانيات المرتقبة، كان العالم الخارجي عائقاً كبيراً جداً بالنسبة إليه ولا يمكن تلافيه كما يبدو.

واتخذ قراره، والتقط السكين.

وبينما كان يدفع التصل الطريّ والمسنّن داخل بطنه، تذكر ذلك الصوت الداخلي الهادئ الذي دأب على سماعه منذ بداية طفولته. فوضع السكين جانباً، مُدركاً في تلك اللحظة وجود هدف لحياته، رسالة حقيقية. وبالرغم من ظهور عقبات أمامه، كان يتعين عليه امتلاك الشجاعة لمواجهة كل ما يعترض طريقه.

لقد تعلّم ذات مرة كيفية الإفلات من قبضات شقيقه المُحكّمة على عنقه.

عندما كان طفلاً دارجاً، وبالرغم من عدم قدرته على التكلم بطريقة متماسكة، أظهر ماكس مهارات قيادية بتولي مسؤولية أي مجموعة.

وفي أثناء نموه، كان يتفوق في كل مادة دراسية، ويملك فرحاً حقيقياً بالتعلّم. لقد أجاد ممارسة النشاطات الرياضية، وفي سنّ الثانية عشرة، أصبح أسرع عداء لمسافة الخمسين يارداً في مقاطعة وستشستر. كان ماكس يقول مداعباً إن هروبه من لويس هو الذي جعله عداءً سريعاً.

وعندما تخرّج من الصف الثامن، ألقى كلمة الوداع بصفته رئيساً لمجلس الطلاب وقائداً لفرق كرة القدم، والمصارعة، والبيسبول. كان يتمتع بشعور غير عادي بمكّنه من توقّع المكان الذي ستجّه إليه الكرة أو الخصم، ويبدو على الدوام في المكان المناسب وفي الوقت المناسب، ولم تتبادر إلى ذهنه أبداً فكرة ارتكاب أخطاء.

لقد توقّع من نفسه أن يقوم بكل شيء بدقة وصوابية... وهكذا كان، ولكنّ هذه التوقعات لم تحلّ دون زوال القلق الذي يشعر به معظم الصغار.

كان والداه يحبانّه بلا ريب، وكان يخيّن مقداراً كبيراً من المعلومات بفضل نجاح والده. وهكذا، وبالرغم من الآلام التي يتحمّلها من شقيقه، تمكن ماكس من اجتياز سنّ المراهقة المبكرة.

وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره - يوم الثلاثاء، 19 شباط/فبراير 1965، عند الساعة الثالثة وخمس عشرة دقيقة بعد الظهر، وفي عيادة الطبيب هوارد غراي - توفي ماكس دوف.

ماكس جوف وحالة النورانية

1965

وصلت جابن وابنها ماكس يوم الجمعة المشؤوم ذلك، إلى مجتمع المركز الطبي في تاريتاون عند الساعة الثانية وأربع وأربعين دقيقة من بعد الظهر. كان الطقس بارداً وهناك ثلج على الأرض، لم يكن للرجل نظيفاً وجديداً، بل للرجل ذائِباً أكثر منه متحمداً، وأقل لفتاً للأنظار. كانت الطرقات نظيفة في الغالب باستثناء قشرة من التراب الذي من غير الخِيبِ النظر إليه، أو سماع صوت الدُّوس عليه. فمن الجيد أن تكون الطرقات نظيفة لأن جابن دوف سائقاً مروعة لا تنشق البتة بما يكون متواجداً أمام إطاري السيارة، وذلك بسبب تعرّضها قبل عامين لحادث سير رهيب بذل حياتها.

* * *

كانت جابن لفكوفيتش امرأة جميلة، يبلغ طولها خمس أقدام وخمس بوصات، وتتمتع ببشرة ومظهر لا عيب فيهما، وبشعر مجعد قائم اللون، وبعينين قائمتي اللون رحومتين على نحو لا يصدق، وابتسامة أسيرة لا تقاوم، وتذكر أولئك الذين يلتقونها بمباري بيكفورد، ونورما شيرر، ونجمات سينماليات أخريات في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي.

كانت في السادسة عشرة من عمرها فقط عندما رافقت شقيقتها مني البالغة من العمر أربعة وعشرين عاماً في نزهة بحرية إلى كوبا على متن مركب. وكولها ابنة مهاجرين روسيين، اعتبرت مني "عذراء كبيرة السن" وفرصها للزواج قليلة. لم تكن مني، وهي الابنة البكر بين شقيقات ثلاث، جميلة على غرار جابن، ولم تكن تجتذب الخطّاب بسهولة. وبما أن ذلك العام هو العام 1939، وأن ولديها لم يكونا منفتحيي الذهن، كان من المفروض أن تكون أولى من تتزوج بين شقيقتها وإلا، فإن الآخرين لن تتمكنا من ذلك.

هذا ما كان عليه التقليد في العائلات الروسية، أو تقليد عائلة لفكوفيتش على الأقل.

كان والد جابن، أرنولد لفكوفيتش، يعيش حياة متواضعة كبايع بعض في نوارك، نيوجرسي، عمل كانت تزديره زوجته غلاديس. وأرنولد رجل مثقف جداً وخبير في كتاب العهد القديم، وقد حظي باحترام رجال الدين في أنحاء العالم كافة. ولكن ذلك لم يعوّض عن مدى ازدياد غلاديس لطبيعة عمله.

كانت عائلة غلاديس تملك متحراً في أوروبا، وكان والدها طبيباً، مما جعلها ذات مكانة رفيعة. لذلك، اعتبرت غلاديس نفسها خيرة في شؤون الحياة وعلى الموضة، وأفضل بكثير من زوجها المتواضع.

لم تعمل غلاديس يوماً، ولكنها كانت مدبرة منزل ممتازة، تدير وتراقب كل المال الذي ينجيه زوجها أرنولد. وبالرغم من ارتفاع نفقات النزهة البحرية، توجهت إلى جرة المدحرات التي تبقيها مخبأة في الشُرَج الثالث فوق براد المطبخ، وسحبت المبلغ الضروري - مستفيدة كل المدحرات تقريباً - ولم ترسل مني فحسب في رحلة لمدة عشرة أيام من ميناء مدينة نيويورك إلى هافانا، كوبا، بل وجابن أيضاً.

كانت جابن تعمل كمرافقة لشقيقتها، ولم تنسجم معها أبداً. ولكن جابن لم تكن لتفرض ذلك لأنها فرصة مناسبة لها لرؤية القليل من العالم. كان حلمها أن تسافر، وأن تصبح كاتبة، وتعيش في منزل ريفي بسيط في ديفون، إنكلترا، سقفه من القش. ولم يكن من المناسب لمن أن تسافر بمفردها بسبب احتمال قيام الناس بنشر إشاعات عن سلوكها وأخلاقها. إنه أمر جدي.

كانت مني بحاجة إلى العثور على رفيق في هذه "النزهة البحرية الخاصة بالعازبين والعازبات"، علماً أن أحداً لم يجز على دعوتها. فالوقت يمضي ومستقبل مني - ومستقبل جابن وشقيقتها ميريام - في كفة الميزان.

لقد أعدت الرحلة ليكون هناك تفاعل بين العديد من الرجال والنساء العازبين على متن السفينة. واختيرت جابن ومني في أول عشاء من الرحلة لتنضم إلى مائدة القبطان.

وانضم هربرت دوف، وهو شاب أتيق المظهر وهي الطلعة في الرابعة والعشرين من عمره - في سن مني نفسها - إلى المائدة أيضاً. كان يبلغ طوله خمس أقدام وثمانية أعشار القدم، وكان شعره متموجاً وداكن اللون، وعينه بتيين ولعوبتين ومعاكستين، قليل السمعة بسبب انغماسه المفرط في معاقرة الشراب وتناول الطعام، ولكنه لائق وقوي البنية إجمالاً.

كان هربرت، وهو عالم لامع، ينتظره مستقبل واعد ككيميائي محترف. ولكن انفجاراً وقع في مختبر الكيمياء في يونيو كامريدج جعله أصمم جزئياً، وتطلبه الأمر التغيب عن المختبر لمدة ستة أشهر

مدفوعة. وأمضى هربرت ذلك الوقت في حضور مباريات كرة القدم، ومساعدة نساء شابات جميلات، والانكباب على الحاجات الأساسية للحياة، كتجديد رخصة القيادة.

وأدى هذا النشاط الأخير إلى نقطة تحول في مهنته.

لقد لاحظ هربرت اختفاء السوق إلى كتيبات القيادة، وتوقّر الوقت لديه، أخذ على عاتقه طباعة نسخات وبيعها للسائقين المحتملين.

وبما أن عدداً كبيراً من الأشخاص أخفقوا في الامتحان الكتابي لاختبار القيادة، ووجدوا أنفسهم مضطرين إلى إعادة الاختبار، استخدم سكرتيرة لطباعة واستنساخ مئة نسخة من الكتيب تتضمن إجابات عن مختلف الأسئلة.

بعد ذلك، عرف هربرت عن نفسه عند مدخل مكتب الرخص في ماغنتان وباع بسرعة الكتيبات كلها لقاء دولار واحد للنسخة. وطبع ألف نسخة إضافية ووجد أصدقاء له وطلاباً لبيعها في أنحاء مدينة نيويورك كافة على أن يتقاضى كل منهم ربع دولار لقاء كل نسخة يبيعها.

واستمر هذا الإجراء عدة أشهر، وقام هربرت بتحقيق أرباح بلغت عدة آلاف من الدولارات في الأسبوع، وهو مبلغ كبير جداً في أواسط الثلاثينيات وأكثر مما يأمل في جنيه يوماً ككيميائي.

كان معدل البطالة لا يزال مرتفعاً جداً بسبب ما يعاني منه البلد للخروج من حالة الركود الاقتصادي الكبيرة. ولم تكن الخدمة العسكرية شرطاً أساسياً في ذلك الوقت بل امتيازاً وحلاً للبطالة، وكان مستوى الأجر للمجنّد وفرصة إكمال دراسته مرهوتين بأدائه في امتحان الانتساب إلى القوات المسلحة. وبما أن الامتحان كان على

غرار كتيب السائق، مستنداً يتم إنتاجه على نفقة دافعي الضرائب، وجد هيربرت في ذلك فرصة أخرى لجني المال لقاء مساعدة الآخرين. فحصل على مجموعة الامتحانات المؤلفة بمعظمها من أسئلة أساسية في الرياضيات واللغة الإنكليزية، ونسخ ورقة الامتحان. وهكذا وُلد الكتيب الذي يحمل عنوان "تدرّب على اختبار القوات المسلحة". وكان هيربرت على الطريق المؤدي إلى جني مليونه الأول من الدولارات.

كان مبلغ المليون دولار في العام 1938 ثروة، عملياً، لا يمكن لرجل عازب إنفاقها من دون معاكسة، وهو أمر برع فيه هيربرت. كان يحب حياة البَذخ - وجبات مُسرفة، شراب جيد، رفقة نساء جميلات - وهذه الرفقة هي سبب قيامه بالزهرة البحرية. لقد واعد ليزا طوال ستة أشهر، وكانت شقراء فاتنة، زرقاء العينين، وتستوقع منه وضع خاتم الخطبة في إصبعها لتضمن لنفسها حياة متعة ورخاء. وبالرغم من كونه متيماً بها، لم يكن هيربرت يريد الزواج بها. فقبل كل شيء، لم يكن مستعداً للزواج. وإضافة إلى ذلك، وبالرغم من كونها فتاة مريحة في أثناء الحفلات، لم يكن يتخيل أنها المرأة التي سيستقر معها وينجب منها الأطفال.

ومع ذلك، لم يكن يبدو أنه يجد الشجاعة للنظر في عينيها وإخبارها بذلك، فقرر التواري عن الأنظار. كانت طريقة جبانة، ولكنه اعتقد أن غيابه قد يشفي رغبة ليزا في الحصول على السعادة الزوجية - معه على الأقل - ويستمر في حياته كعازب.

وهكذا، قال لها إن عليه الذهاب إلى هاغانا في عمل، وأعد كمية من الطاقات الريدية المكتوبة مسبقاً ليرسلها إليها من كوبا طوال ستة أشهر، مفصلاً لها ظروف العمل التي تزداد تعقيداً وتحول دون عودته.

كان هيربرت يعتزم العودة إلى نيويورك بالطبع، وأمل أن تكون ليزا قد تحلت عنه بعد انتهاء الأشهر الستة ووجدت رجلاً آخر. وهكذا وجد نفسه إلى مائدة القبطان، وما إن جلس بجانب مئ وجاين حتى شعر بوقوعه في حب جاين بشكل جنوني، تام، وأبدى... كانت ذات جمال لا يقاوم، ولم تكن تتباهى بذلك كما يبدو بالرغم من إداركها مدى جمالها. فوُكِد هذا الأمر شعوراً بالثقة والارتياح في نفس هيربرت أدى إلى انجذابه إليها. وفي أثناء العشاء، عرف سَتَها وأدرك أنها صغيرة جداً للمغازلة. وفي وقت لاحق، أبدى اهتماماً أكبر بمئ بسبب عمرها الملائم، وكانت مفتونة بمجاذيبته.

عندما رست السفينة في هاغانا، جاب الشبان والشابات الشوارع، وزاروا شواطئ العاصمة الحارة والرطبة ونواديها الليلية. وتدرّب هيربرت أمر مرافقة الشقيقتين في جولات عبر شوارع المدينة على متن عربة يجرها حصان. فاصطحبهما إلى عروض ترفيهية، واستضافهما على العشاء، واشترى لهما زهوراً وهدايا. لقد كانوا ثلاثاً لا يفترق طوال فترة إقامتهم، واستعادوا مقاعدهم إلى طاولة القبطان في رحلة العودة، وجلس هيربرت بنقة بين الشقيقتين متوّداً إلى مئ.

بعد عودتهما، انتهجت عائلة لفكوفيتش بقصص ابنتيهما عن متقدم محتمل للزواج بمئ. وكان الأمر بمثابة صدمة للعائلة عندما زارها هيربرت وطلب الإذن للتوّد إلى جاين.

لم تسمح غلاديس لفكوفيتش أو مئ أبداً هيربرت بسبب استبعاد مئ. وبعد سنوات، وعندما تزوجت مئ ورُزقت بطفلين، اعتبر هيربرت وغداً مقترياً استغلها للتقرب من شقيقتها الصغرى الجميلة. وعندما غدت أكبر سناً، أصبحت جاين جميلة بشكل مذهل. وفي العام 1953، وبعدما أصبحت والدّة، كانت وهيربرت يتناولان العشاء

في فندق لا مامونيا في مراكش، المغرب. كان ونستون تشرشل جالساً إلى طاولة مجاورة ولم يتمكن من رفع نظاره عنها. أخيراً، دعا جاين وهربرت إلى الانضمام إليه، وهي بادرة قام بها من دون عناء. وبالرغم من نشأتها البسيطة، شعرت بالراحة بين أشخاص من مختلف المستويات الاجتماعية.

كانت تتمتع بروح لطيفة، وتعاطف تخاطري غير معهود مكنتها من منح الناس أيّاً كانوا شعوراً بالاطمئنان. هذا ما كانت عليه حال رجل الدولة الأكبر سناً. فتحادثا كما لو أنهما يعرفان بعضهما بعضاً منذ سنوات، في حين أسند هربرت ظهره إلى الكرسي متفاحراً.

انتهى كل شيء بالنسبة إلى جاين في 16 حزيران/يونيو 1963 عند الساعة الرابعة وأنتين وعشرين دقيقة بعد الظهر على طريق سليلبي هولو درايف في سليلبي هولو، نيويورك، على بُعد عشرين ميلاً تقريباً من شمال مدينة نيويورك.

كانت تُقَلُّ لويس لشراء مرطبات للحفلة التي ستقام بمناسبة تخرّج ماكس من الصف الثامن، وقد اختير لإلقاء كلمة الوداع للطلاب وأهاليهم في اليوم التالي. وبما أن طلاب الصفوف العليا والدنيا في مدرسة هاكلي الخاصة سيكونون حاضرين، فقد كان من المتوقع أن يكون هناك مئات الأشخاص. وشعرت جاين أنه يُفترض بها القيام ببادرة للإقرار بنجاح ماكس الأكاديمي المدهش.

كان ماكس في المنزل يُعدّ كلمته. فأوقفت جاين سيارة الستايشن البيضاء عند إشارة المرور حيث تتقاطع ثلاثة طرقات. ودنت منها سيارة شيفي بيّة اللون تقودها السيدة أليسون برودستريت.

كانت جاين تملك حق المرور، ولكنها ترددت.

وبدلاً من التوقف غماً، أخطأت السيدة برودستريت بين دواسة الوقود ودواسة المحك، فانطلقت السيارة بقوة وبلغت سرعتها أربعين ميلاً في الساعة، لم تكن سريعة بما يكفي، والحمد لله، لقتل جاين ولويس، بل لقتل لويس خارج السيارة وإصابة والدته بجروح في الرأس والوجه.

فُتِلّا إلى المستشفى على عجل، وتطلب الأمر ثلاثاً وأربعين قطبة لإغلاق الجرح فوق عين جاين اليسرى. ووفقاً للأطباء، أدى الحادث أيضاً إلى احتياج في الدماغ.

وأكمل ماكس استعداده وألقى كلمته في اليوم التالي، كما هو مخطّط، في احتفال التخرّج في مدرسة هاكلي. كان شقيقه لويس، الذي لم يصب بأي أذى في الحادث، الفرد الوحيد الحاضر من العائلة لأنه طالب في هاكلي أيضاً ويتعين عليه الحضور.

أما هربرت فاختار البقاء قرب جاين التي عادت إلى المنزل بعد مدة قصيرة، وكانت لا تزال جميلة بنظر زوجها والآخرين كما في السابق، ولكن ليس بالنسبة إلى نفسها لسوء الحظ.

لقد أصيبت جاين بخلل قليل الخطورة تمثّل بعجزها عن التحكم بأعصاب الجانب الأيسر من وجهها. واحتفظت بابتسامتها التي تغيّرت، ولم تكن قادرة على تجاهل هذا الشذوذ في وجهها. لم يسبق لها أبداً أن شعرت بالغرور، مستخفةً بجمالها تقريباً. لقد أحسنت الحياة إليها، وأنعم عليها بهربرت، وأبناء، ومنزل مريح، وأصدقاء، وقِيض من الأمور الأخرى.

كانت تشعر على الدوام بالرعاية، والحب، والعيش في حالة دائمة من النعمة. ولكن كل ذلك تلاشى بعد الحادث، وأصبحت يائسة وفقدت متعتها بالحياة.

بعد واحد وأربعين يوماً من الحادث، بدأت جين تشكك في جدوى حياتها. لم يتحقق حلمها بإنكلترا، وهويتها مرتبطة بشكل وثيق بهربست الذي تحبه كثيراً، ولكن العيش في ظل هذا الرجل المقترن والناجح منحها شعوراً بالدونية، وبدأت تشعر بامتناع منه.

لقد فقدت كل ثقة بنفسها. لم يسبق لها أن كانت متديّنة، وانتابتها شكوك حيال وجود الله ولا سيما بعد الحادث. وازدياد مشاعر الأسف والحيرة في نفسها، بدأت بتدخين السجائر بإفراط واحتساء الشراب الروسي لتحدير ألمها.

كان هوارد غراي طبيبها الخاص، ويرتاد ابنه مدرسة هاكلي أيضاً، وغالباً ما يجتمع وزوجته، زيلدا، هيربرت وجين في مناسبات اجتماعية ويتناولان العشاء معهما. وما أن هذه الصداقة تعود إلى عدة سنوات، لقد بدا من الطبيعي أن يقوم هوارد بالاتصال بهيربرت لتقديم النصيحة والمساعدة بعد عودة جين من المستشفى وتشخيص إصابتها بكتئاب سريري.

في صغرها، كانت جين تمضي أسبوعين على شاطئ جرسبي كل صيف، وتحب رحلات الاستحمام تلك، وتُجري الترتيبات على الدوام عندما كانت والدّة صغيرة السن لتمضية إجازات الصيف مع هيربرت وأبيّهما في كايب كود، لونغ آيلند ساوند، أو حتى في كُرم مارتا، في أي مكان حيث يمكنها تمضية ساعات وهي تحدّق إلى الأمواج. وأيّاً يكن الوقت في النهار أو الليل، كان استغراق جين في النظر إلى البحر بأصواته، وانتفاحه، واندفاع مياهه وتراجعها، وحركته المستمرة بأسرها ويجعلها في حالة من النعيم.

وهكذا، وعندما سمع بتشخيص الاكتئاب، نصح هوارد غراي جين باستئجار كوخ لمدة شهر والاستمتاع بالمحيط.

فوافقت جين شريطة عدم قيام أي شخص برؤيتها في هذه الحالة "المعيّبة" برأيها، لا سيما وأنّها مصابة بالاكتئاب وبأضرار في أعصاب وجهها تحول دون ابتسامها بالطريقة الممهودة.

لم تكن تريد استقبال أي زائر، ولا حتى أبيّتها، أو هيربرت، أو عاملات التنظيفات. لقد أرادت الانفراد بنفسها تماماً من دون أن يقوم أحد بتفقدّها.

ولكن الطبيب غراي كان يتفقدّها من حين إلى آخر. وأشار إلى أنه وبالرغم من حاجة جين إلى الراحة والبحر، فإن العزلة التي أصرت عليها غير مفيدة لها أبداً، وكان يقوم كل نهاية أسبوع بتفقدّها لتزويدها أيضاً بمقاهي مسكّنة للألم وبأقراص منومة.

لقد أقام في البدء في موتيل على الشاطئ في الجوار، ولكنه عمد في ما بعد إلى تمضية أمسيات السبت في الكوخ، واصطحب جين لتناول الطعام في الحسّارح والسير معها على الشاطئ. وبدأ يخفها شيئاً فشيئاً على التفاعل مجدداً مع الناس، ممكناً إياها من الشعور بأنّها لا تزال جميلة وجديرة بالحب الذي ملأ حياتها على الدوام.

وحدث المصنوع، ووقع هوارد في حب جين. وأزهر الحب حالة تلقائية من الإثارة لم يتمكن أي منهما من مقاومتها، ولم يرغب في مقاومتها. لم يكن هيربرت سعيداً في زواجه، ولكنه لم يكن من أولئك الذين يقيمون علاقات غرامية أو يسيئون إلى قديمة العلاقة بين الطبيب والمرضى، وذلك بسبب أبيّته ومسؤولياته العائلية.

وبرّر ما يقوم به على أنه تصرف شفائي، طريقة لإعادة التأكيد لجين بطريقة تنطوي على أكبر قدر من الحميمية أن الحادث لم ينتقص من جمالها. كانت لا تزال امرأة مثيرة وبحاجة إلى الطمأنينة وإزالة مخاوفها، لا بل إلى حب رجل آخر أيضاً غير هيربرت، وهو الرجل

الوحيد الذي أقامت معه علاقة حميمة. كان هوارد مستعداً للتخلي عن زوجته وإبنيه نزولاً عند رغبة جاين، ولكنها أبته ذلك. فحبها لهربرت وإبنيها لم يضعف.

ولكن حب جاين لنفسها ضعف. وانتهت علاقتها الغرامية بهوارد مع انتهاء الصيف. صيف هندي حار ورطب امتد بين شهر أيلول/سبتمبر وأواسط تشرين الأول/أكتوبر. لقد شُفيت إلى حدٍّ ما وعادت إلى الحياة الطبيعية بالرغم من أن الحياة لم تُعدَّ أبداً بالنسبة إليها كما كانت في السابق. لم تُعدَّ تشعر أنها تنتمي كلياً إلى عائلتها، وباتت هناك مسافة تفصلها عن ماكس بصفة خاصة.

لقد أدى تدخين السجائر، والإفراط في تناول الشراب، وفقدان العيش في حالة من النعمة، إلى تغيير جاين على نحوٍ لاحظته الجميع، ولا سيما ماكس. لقد فُقدَ الرابط القوي الذي كان يتشاطرهُ والدته، تاركاً في نفسه شعوراً بالوحدة.

عندما عادت والدتها، علم ماكس ولويس حينذاك أن شيئاً ما تبدّل.

كانت والدتها مقبّبة الحاجين، وتعتمر قبعات وتضع قفازات من مختلف الأشكال والأحجام، وترتدي كنزات صوفية غير ملائمة ولكن مُدقّقة وملينة بالحب.

واستمر الطبيب غراي في زيارة عائلة دوف، وبدا ذكياً بالنسبة إلى الفتيين، وتصدر منه باستمرار تعليقات سريعة البديهة. كان طبيباً عائلة على معرفة وثيقة بالسجل الطبي لكل فرد من العائلة، ويُجري اتصالات بالمنزل في حين أن قليلاً من الأطباء يستمرون في القيام بذلك.

في التاسع عشر من شهر شباط/فبراير 1965، أُصيب ماكس بإنفلونزا خطيرة مُرفقة بأعراض رئوية جعلت من تنفّسه أمراً مؤلماً. كان قد تعيَّب عن المدرسة لمدة ثلاثة أيام، ولكن الأعراض ازدادت سوءاً ولم تتحسن. لم يكن العصير والحساء وجوب الدواء بمختلف أنواعها ذات فائدة.

"من الأفضل لك أن تصطحبيه إلى عيادتي". قال الطبيب غراي عندما اتصلت به جاين بعد ظهر ذلك اليوم المشؤوم. كانت الساعة الثانية وأربعاً وأربعين دقيقة تماماً عندما دخلت وماكس غرفة الانتظار التابعة لعيادة الطبيب.

وبدا الأمر كما لو أن حواسّ ماكس ازدادت قوة، فجلس هناك يراقب التفاصيل كافة؛ الصورة المعلقة على الجدار لجورج واشنطن وهو يعبر بحر بوتوماك مع رجاله، مجلات ناشيونال جيوغرافيك بأغلفتها الصفراء الموضوعية على طاولة بنية اللون، الكرسيّان الأخضران حيث يجلس مع والدته منذ ساعات كما بدا له الأمر ولكنها لم تكن سوى دقائق فقط، ولباس المريضة إثيل الرسمي بياضه الناصع والتي رحبت بماكس بلطف في أثناء مرافقته إلى مكتب الطبيب.

وتطلب الأمر دقائق قليلة فقط لقيام الطبيب غراي بفحصه. فوضع السمّاعة على صدر ماكس وطلب منه أن يتنفس. فتنفّس ماكس مُصدراً صغيراً، وسعل بعد ذلك بسبب الألم.

وتفحصت المريضة إثيل حرارته وأعلنت أنها معتدلة. فقرر الطبيب غراي إعطاء ماكس حقنة بنسلين مخصصة للمرضى الذين تظهر عليهم أعراض ماثلة. وشرح قائلاً إن من شأن هذه الحقنة القضاء على الإنفلونزا في غضون يومين على الأكثر، وطلب من ماكس بعد ذلك رفع كمّ قميصه.

كان ماكس يكره الحقن، ولكن الألم في حنجرته أتعبه فلم يتذمر من غرس الإبرة في ذراعه.

لقد شعر بوخز وألم، وقضى الأمر بعد ذلك.

"اجلس هنا". قال الطبيب غراي لماكس وتابع: "سأعود بعد دقيقة".

لم يكن ماكس يملك أي فكرة عن مدة تغيب الطبيب غراي، ولم يكن يعلم ما إذا كان الطبيب قد غادر غرفة الفحص نهائياً. فما تذكره ماكس هو أنه دخل فجأة في حالة من الغبطة.

لقد اختبر شعوراً وكأنه مخلوق نوراني بحث بطفو مع كائنات نورانية أخرى في التوهج الأكثر إشراقاً الذي عرفه يوماً. كان جسده ينبض بمشاعر الحب، وكل نبضة تضفي مزيداً من النور حوله وفي داخله.

ودخل في حالة من الغبطة التامة.

فجأة، انبثقت مجموعة ألوان جميلة من النور البراق، وطففت حوله متذبذبة كما لو أنها أشياء قائمة بذاتها. وازدياد ذبذبات الألوان حدة، رأى ماكس اسم شخص في كل من هذه الذبذبات. فعذائي عشر لوناً واثني عشر اسماً لم يكن يعرف أيّاً منها.

ومن ثم، اختفت الأسماء والألوان بسرعة ظهورها، وعاد النور ناصع البياض. وشعر ماكس بأنه يعرف أصحاب هذه الأسماء منذ زمن، وشعر بهم يحيطونه بالحب، ويحيونه كما لو أنهم أصدقاء أعزاء أو أنسابا يعودون إلى المنزل.

كان في حالة من الهدوء التام المغمر بالغبطة اللطيفة والمتذبذبة فرحاً. حركة ناشطة من دون أي جهد أو عائق من أي نوع، شعور بالذات، بمزمل عن جسد مادي.

الفصل الثالث

ماكس والنورانية

1965

تحرك ماكس دوف بحماسة باتجاه نفق النور.

في أنثناء ذلك، عكّرت سلسلة من الأصوات المرتفعة صفو وعيه الطائفي، وتحول انتباهه إلى رجل مقعم بمشاعر الانفعال والخوف. كان الرجل يتكلم بصوت مرتفع.

كان راكعاً، وكانت يده مضغوطتين على جسد ملقى على أرض غرفة صغيرة. فتساءل ماكس عن سبب استياء الرجل إلى هذه الدرجة، ثم أدرك أن الرجل طيسب منزوعج بسبب عدم تجاوب الجسد مع كلماته أو محاولات إحيائه.

بعد ذلك، أدرك ماكس أن الجسد الملقى هناك ليس سوى جسده. وبشعوره بالانزعاج من حالة القلق التي تنتاب الطبيب، اتخذ قراراً واعياً بالعودة.

وهكذا، ويتصرف غير أناني وشجاع، غادر نفق النور الذي وفر له ما بدا عالماً مألوفاً ومريحاً، وعاد إلى المأساة الإنسانية المتمثلة بكونه ماكس.

وباستعادة شكله الجسدي مجدداً، فتح عينيه، وتراجع الخوف والدُعر الباديتين على وجه الطبيب غراي.

"ظننت أننا فقدناك". قال الطبيب غراي، ولم يكن يملك أي فكرة عن التضحية التي قام بها ماكس بسبب تعاطفه مع الطبيب. ولكن الألم الذي شعر به الطبيب لم يكن الأمر الوحيد الذي حث ماكس. كان مدفوعاً أكثر من أي وقت مضى بأمر أكبر، رسالة أكثر أهمية... تتطلب منه أن لا يكون في حالة النورانية سابقة الذكر. كان ماكس لا يزال يشعر بالمرض، ومذهولاً بسبب اختبار حالة النورانية. وبقي في العيادة ساعتين إضافيتين تحت المراقبة، ولازمته جاين.

"يا أمي، لا فكرة لديك عن مدى جمال الحالة التي نكون فيها خارج جسدنا". قال لها وتابع: "كانت هناك تلك الكائنات النورانية المليئة بالحب".

"أستطيع أن أتخيل ما الذي مررت به". أجابت جاين، وضمته إلى صدرها وقالت: "يبدو الأمر مائلاً إلى حد ما لما أشعر به عندما أحتق إلى موجات المحيط حيث أتخيل أن كل موجة هي قوة حب وحياء.

"ولكن أخبرني المزيد عن هذه الأسماء الاثني عشر التي رأيتها". "حسناً، كانت أسماء لم أرها من قبل، وبدأ لي بعضها بلغات أجنبية والاسم الوحيد الذي أتذكره هو الأخير، وكان غريباً؛ الدب الراكض".

أضاف: "ولكل اسم لونه الخاص. وذئبهذه الخاصة، وعندما تندمج تشكّل قوس قزح كاملاً وسيمفونية من الذبذبات. كان الأمر غريباً جداً ورائعاً".

"هل تعتقدين أنه كان من المفترض بي تذكر الأسماء؟". سأل ماكس، وشعر فجأة بالقلق من إمكانية إغفال فرصة كبيرة لاكتساب المعرفة.

فطمأنته جاين.

"قد لا تكون ذات أهمية على الإطلاق، وحتى وإن كانت كذلك، فلا معنى للسماح لها بالتسبب لك بالألم. عيش حياتك فقط وراقب ما الذي يتكشف لك". وتوقفت قليلاً ونظرت إلى عينيها قائلة: "العالم واسع وشاسع وغريب، ولن تفهم أبداً كل ما يحدث". وطبعت قبلة على جبين ماكس، ومن ثم عانقته، وانتظرت قرار الطبيب غراي بأنه بات من الآمن له العودة إلى المنزل.

* * *

بعد اقتناع الطبيب من أن حالة ماكس لن تتكرر، غادر ماكس العيادة.

فأجد بنصحية والدته وأكمل حياته، واستمر في التآلق في الميدان الرياضي في المدرسة، مكتسباً مهارات قيادية بارزة في النشاطات كافة، ومتفوقاً على الصعيد الأكاديمي، ولا سيما في الرياضيات.

ومن جهة أخرى، كان يحقق إنجازاته من دون عناء لدرجة أنه بدأ بالبحث عن تحديات إضافية. وواضحاً هذا الأمر نُصِبَ عينيّه، تقدّم بطلب الالتحاق إلى برنامج "عام دراسي في الخارج" لدراسة الإسبانية. لقد فتته ذلك البلد منذ أمد طويل، ويعود سبب ذلك جزئياً إلى تأثره بـ"مدرسة الإسباني فرناندو إغليزياس".

فالسنيور إغليزياس، كما طلب من طلابه أن يدعوه، هو الرجل الذي كان غلوه مدرساً أمراً بعيد الاحتمال، ناهيك عن طريقته في الإحياء للطلاب. إنه الابن الأصغر للعائلة التي تحتل المرتبة الخامسة في الثراء في كوبا. فعائلة إغليزياس تدير سياسة البلد إلى جانب العائلات الكبيرة الخمس الأخرى، وتملك مطاحن السكر، وسكك الحديد، والنوادي الليلية، وكل ما هو جدير بأن يتم امتلاكه. كان يقوم على خدمة فرناندو بشكل متواصل خدماً يتمتعون بالرزانة والمهارة، وقد

برع في تنظيم الحفلات بطريقة لا يفهمها إلا كوبي حقيقي برأيه. نوع مختلف من الكرنفالات البرازيلية يتصف بحماسة كبيرة، وحب الجمال، وتقدير الفن الراقي.

لقد ارتاد فرناندو كلية الحقوق بالرغم من عدم حاجته إلى ذلك لأنها اعتُبرت مهنة محترمة بتعيين عليه مزاولتها بانتظار أن يرث ثروة. ومن جهة أخرى، فقد كان مثاليا ويريد رؤية تحقيق الإصلاح، لا سيما الإطاحة بفولجنسيو باتيستا، حاكم كوبا الدكتاتوري والقمعي. وعندما كان طالباً، قدّم تمويلاً كبيراً إلى إيديولوجي شاب يدعى فيديل كاسترو. ولم يدرك فرناندو أنه دعم دكتاتوراً توتاليتارياً مماثلاً لباتيستا حتى بعد تسلّمه مقاليد الحكم.

وعندما بات فرناندو مستعداً للفرار من كوبا، لم يُسمح له إلا بأخذ خمسة دولار معه فقط وحقبة ملابس حملها على ظهره.

وهبط في ميامي، وحصل على وظيفة نادل بقدّم المشروبات الغازية والمربطات في مطعم هوارد جونسون. كان طليق اللسان بالإنكليزية، واستناداً إلى خلفيته الثقافية، تقدّم بطلب لتدريس اللغة الإسبانية في مدارس خاصة متنوعة على الساحل الشرقي. لقد مكّنته نشأته في الطبقة الاجتماعية العليا من تلبية متطلبات مدرسة هاكلبي في تارستان، نيويورك. وهكذا، وجد نفسه عام 1964 يدرّس الإسبانية للصف التاسع في هذه المدرسة الخاصة النهارية والداخلية التي تستقبل الفتيان فقط.

* * *

لم يكن السنيور إنغليزاس يتمتع بخبرة التدريس، ولكنه يمتلك معرفة وافرة بالحياة في حضارته اللاتينية. نتيجة لذلك، وجد ماكس أن طرائقه التعليمية غير مألوفة بل مثيرة على الدوام. لقد تُلخّصت فلسفته

بأن لا شيء مستحيل، فاصطحب طلابه إلى مدينة نيويورك لحضور حفلات مع منفيين كوبيين آخرين حيث فتح الشبان عيونهم واسعاً إعجاباً بأنواع الطعام الأنحسي، والموسيقى المثيرة، والنساء الجميلات. وعندما فُتح الجناح الإسباني عام 1964 في المعرض العالمي في كونسرو، نيويورك، نظّم السنيور إنغليزاس رحلة للصف بأكمله شملت لقاء راقصات الفلامينغو العجريات وراء الكواليس. وشعر ماكس بالذهول لأن هذا المدرّس البسيط الذي لا مال لديه عملياً، تمكّن من العثور على هذا الفرح والإثارة في حياته اليومية.

كان حب فرناندو لثقافته الأم مُعدياً تماماً، وسرعان ما اكتسب ماكس محبة عميقة لكل الأشياء الإسبانية، بما في ذلك قصص عن حضارتي الإنكا والمايا وكيف أن الفاتحين الإسبان تغلبوا بسرعة على نبيك الحضارتين المتطورتين جداً بسرعة ومن بدون عناء كما يبدو. وهكذا، وفي 9 أيلول/سبتمبر 1966، وفي سن السادسة عشرة، انطلق ماكس المليء بالحماسة والعجب في رحلة بحرية مع مجموعة من الطلاب على متن سفينة يو أس أس أوريلي إلى ساوثامبتن، إنكلترا، في طريقهم إلى برشلونة، عازمين على تعلّم المزيد عن الثقافة التي أنتجت كورتيس ويزارو.

ولدى وصوله، ألحق بعائلة سيغوفيا المؤلفة من سيّدة العائلة، أرملة سيغوفيا، وابنتها وابنتها، وخادمتهن وطاهيتهن، حوليتها، التي انضمت إلى العائلة منذ ولادة الابن البكر أليخاندرو.

كان أليخاندرو فتى حفلات وسيماً على نحو استثنائي في الثامنة والعشرين من العمر، ويتحادن عارضات الأزياء والفنانين، بمن فيهم سالفادور دالي. كان مهندساً معمارياً غير ناجح جداً، ويتحادل باستمرار مع والدته بشأن المال وإنجازاته المهنية المغمورة.

كان الابن الثانى، روبرتو، فى الرابعة والعشرين من عمره ويدرس أيضاً الهندسة المعمارية. هو لا يمتاز بطلعة أليخاندرو البهية بل بوجه لطيف، وجسم ممتلئ. لقد عخطب حبيبته فى المدرسة الثانوية، كريستينا، فى أثناء إقامة ماكس مع العائلة، وكانت أطول من روبرتو وأكثر نحولاً منه، وقد شكّلا ثنائياً ترفيهياً، إضافة إلى كونهما بارعين وذكيين ولطيفين.

أمضى ماكس كثيراً من الوقت مع روبرتو يلعبان الورق ويتناقشان فى أمور الطعام، والموسيقى، والهندسة المعمارية. وبما أن روبرتو يحب تناول الطعام، فقد عرف ماكس إلى مجموعة كبيرة ومتنوعة من الأطعمة الإسبانية والكاتالونية والباسكية اللذيذة.

ومن جهة أخرى، أمضى ماكس معظم وقته مع الابنة الأصغر سناً، إميليا، البالغة من العمر عشرين عاماً والأقرب إلى سنّه. كانت تدرس الأدب فى جامعة برشلونة، ويتحدثان لساعات عن كبار المؤلفين والشعراء فى العالم، ويغامران بالغوص فى موضوعات فلسفية. كانت إميليا شقيقة حقيقية لماكس، ولم تطرح أبداً فكرة إقامة علاقة رومانسية. فى الواقع، كان لديها صديق شديد الثراء، كويتانو، يقيم فى مدريد ويقوم بزيارة أسبوعية للعائلة ويدعو إميليا وماكس إلى المسرح، والباليه، والمطاعم الممتازة، والحفلات الموسيقية.

ولكن السّيرة، أرملة سيغوفيا، كانت الوجه الأبرز فى العائلة.

لقد أنشأ زوجها مؤسسة ناجحة جداً فى ميدان التأمين الطبى، ولكنه توفى باكراً لها ثلاثة أولاد تتراوح أعمارهم بين أربعة وثمانية أعوام. وفى العام 1956، لم تكن إسبانيا تمنح النساء حقوقاً مساوية للرجال، وكانت القليلا - إذا وجدت - يملكن مؤسسات تجارية. وبما أن القانون الإشباني يمنح النساء العازبات من امتلاك

مؤسسات تجارية، فقد احتفظت السّيرة باسمها الرسمى أرملة سيغوفيا.

كانت متعددة أعمال بالفطرة. فبالإضافة إلى إدارة شؤون شركة التأمين، اشترت غسالات كهربائية للعموم، وعدداً من المتاجر العامة الصغيرة، ومنزلاً على الشاطئ لتمضية إجازات نهاية الأسبوع فى كوستا برافا، الشاطئ الإشباني شمال برشلونة. كانت تعتقد بشدة بالعمل الشاق، وطبعت مناقية العمل هذه فى ذهن روبرتو وإميليا، ولكن ليس فى ذهن أليخاندرو الذى كان أكثر انجذاباً إلى فنة عالم الفن.

كانت أرملة سيغوفيا قوية فى مختلف الأمور التى كانت والدّة ماكس، حزين، ضعيفة فيها. وهى لم تكن جميلة، بل تملك طاقة لامتناهية وذوقاً جمالياً ممتازاً.

أما الخادمة والطاهية جوليتا فكانت بمثابة الوالدة الثانية للابنتين والابن. إنها متحدرة من عائلة فقيرة فى قرية أراغون الريفية الصغيرة، وبدأت العمل لدى العائلة فى سن السادسة عشرة فقط، وكانت فى أواخر العقد الخامس من عمرها عندما قدم ماكس للإقامة معهم. كانت تصطحب ماكس دائماً للتسوق فى سوق الهواء الطلق، وتعلّمه كيفية اختيار الخضار الطازجة والدجاج الحىّ الصالح لإعداد أفضل وجبة.

"هذا الفتى المقيم لدى السّيرة أشد ذكاءً من الشرير!". كانت تقول بفخر لكل من يرغب فى الإصغاء إليها، مستمتعة كما يبدو بكون هذا الشاب الأمريكى فى عهدها، مما يحمل ماكس على الابتسام.

في الأشهر التسعة التي أمضاها في برشلونة، تعلم ماكس تكلم الإسبانية بلكنة مماثلة للكنة أي مواطن كاتالوني. لقد شعر برابط بالشعب الإسباني من القلب إلى القلب، وهو أمر لم يكن في إمكانه الشعور به أبداً عندما يتكلم الإنكليزية، التي بقيت بالنسبة إليه على الدوام لغة المنطق والجميز الفكري، ولكن ليست لغة العواطف العميقة.

لقد سافر إلى كل مدينة رئيسة في إسبانيا، وبات خبيراً بشؤون المهندس المعماري البرشلوني أنتوني غودي، وزار مكان ولادة إل غريكو، ودُهِش بإنشاء لألهامرا في غرانادا، وتناول إوزات قطبية في غاليسيا، وحباب شوارع سالامانكا القديمة مسقط رأس أوتامونو، وأصبح أكثر افتناناً بالثقافة الإسبانية وحبها للحياة، وحماسها الشديدة، وانفعالاتها. لقد بدا كل شيء مألوفاً بالنسبة إليه، وشعر كما لو أنه في وطنه.

كان على ثقة تامة أنه المكان الذي ينتمي إليه. لقد تعلم ماكس في إسبانيا العيش من دون خوف حيث يمكنه التحول في أي مكان من المدينة، وفي أي ساعة من النهار أو الليل، بأمان تام. كان فنانكو يحكم بقبضة حديدية، حتى إن المنطقة الخطرة لم تكن تشهد حدوث أي جرائم باستثناء البغاء المنظم إلى حد ما، ووجود متاجر للسلع الخاصة بالجمعية عند كل زاوية، وغرف للنزلاء منخفضة التكلفة فوق كل مشرب.

وبالرغم من إلغاء ماكس سن السادسة عشرة في ذلك الشتاء، كان لا يزال يبدو وكأنه في الرابعة عشرة من عمره، حتى إن البغايا ظنن أنه صغير السن جداً لتتمكن من لمسه. ذات ليلة، قرر مع ثلاثة من أصدقائه أن الوقت قد حان لإقامة علاقة. فنجح أصدقاؤه، وسجحوا

لأنفسهم بالإصابة بأمراض معدية ليثبتوا للآخرين ما قاموا به بالرغم من استخدام الواقيات. ولكن البغايا رفضن إقامة علاقة مع ماكس بسبب مظهره، وكان سعيداً بذلك.

كان ماكس ينام جيداً في منزل أرملة سيقوفيا ويرى أحلاماً سارة، باستثناء إحدى الليالي عندما احتسى كمية كبيرة من الشراب بعد مباراة في البيسبول. فبعد عامين من الإخفاقات المتتالية، فاز فريقه الإسباني في مباراة ضد خصمه الرئيس بسبب قدرة ماكس العظيمة. وأصر كل فرد من الفريق المؤلف من عشرة رجال على شراء جرعة من الشراب للفريق بأكمله، مما أدى إلى تناول كل منهم عشر جرعات في غضون ساعتين.

في تلك الليلة، حلم ماكس أنه يقابل مجموعة متدفقة من التانين النافقة للنار. كان يحمل سيفاً وقد تمكن من قتل كل التانين في أثناء اقترانها منه. ولكن، كان هناك دفق لا ينضب من المخلوقات.

وبعد قتل ما بدا أنه مئة تانين - هذا إن لم تكن الآفا - نظر ماكس إلى السماء وسمع صوتاً عالياً يسأله:

"هل تريد التوقف عن قتال التانين؟"

"أجل. الأمر مُنهك وأشعر بالإرهاق". اعترف ماكس.

"حسناً، يمكنك التوقف متى شئت".

"ولكن إذا توقفت، فستستمر التانين في القدوم فتدمر العالم".

"أنت تفكر بطريقة صحيحة". أقر الصوت باللغة الإسبانية.

"ولكنك لن تتمكن أبداً من هزم كل التانين لأن عددها لامتناه".

"هل أنت واثق من رغبتك في مواصلة قتالها؟". سأل الصوت،

فهزم ماكس كنفه ببساطة وعاد قتل التانين.

واستيقظ بعد ذلك.

"فهم الفهم"

1968

ارتاد ماكس أكاديمية فيليبس أندوفر في عام التخرج، وأتمه من دون تحقيق أي تفوق، لا سيما في ما يتعلق بنشاطاته خارج المنهج الدراسي. لقد ركّز بدلاً من ذلك على دروسه، وعلى التطبيقات في الكلية، وزيادة معرفته بشؤون الحب.

كان يواجه صعوبة في دخول أي كلية يختارها، وبعد تلقّي عدد من رسائل القبول، قرّر ارتياد يال.

في غضون ذلك، طوّر ماكس علاقة جميلة وصامتة مع ليزي السبّاعة من العمر خمسة عشر عاماً والتي التقى بها في حفلة راقصة في نادي ريفي في سليبي هولو. لقد رقص ماكس في ذلك المساء مع العديد من الشابات النشيطات اللواتي يرتدين ملابس براقّة، ولكن ليزي كانت مختلفة. وعندما سألها عن كتابها المفضّل، أجابت: "كاندي". وهي رواية جريئة كانت على لوائح الكتب الأكثر رواجاً في ذلك الوقت.

لقد أثارت تلك الشابة اهتمامه بسبب جرائها، ووجد نفسه منجذباً إلى عينيها الصوفيتين، وجسدها الناعم الأنثوي، وابتسامتها الفاتنة. وقبل انتهاء المساء، قرر السعي وراءها.

لقد قيل لماكس إن عليه أن يعلم أنه ماهر بالإسبانية عندما تكون أحلامه باللغة الإسبانية. وبما أن ماكس لا يتذكر أحلامه أبداً، فقد كان اختياراً ساراً وغير عادي.

ويشير ذلك أيضاً إلى أنه حقق هدفه الرئيس من تعلّم الإسبانية قبل العودة مجدداً للتغلب على أي تانين قد تكون بانتظاره في أثناء استعداده لإكمال دراسته وتحقيقه نفسه للكلية وسنّ الرشد.

كانت تقييم على مسافة قريبة من منزله، ولكن لقاءهما اقتصر على الإجازات المدرسية لأنه كان موجوداً في أندوفر معظم الوقت. وبالرغم من ذلك، نشأت بينهما علاقة غرامية.

فقد كانا يقومان بنزهات طويلة سيراً على الأقدام، أو يذهبان إلى غرفة نوم ماكس الموجودة فوق المرائب والتي تمتاز بمدخل منفصل، وتؤمن خلوة تامة.

واعتبر علاقته بليزي "صامتة" لأنها نادراً ما كانا يتحدثان عندما يكونان بمفردهما. كانا يفتلان بعضهما بعضاً، ويخدعان إلى عيني أحدهما الآخر لأكثر من خمس ساعات متواصلة. ولكنهما كانا يتولين ولم يكن أي منهما مستعداً لاستكشاف المستوى التالي من الخصوصية بسرعة كبيرة.

استمرت هذه المغازلة بعيدة المدى طوال عام التخرج الذي أمضاه ماكس في أندوفر. وبعد ذلك، وفي الصيف السابق لذهابه إلى يال، استمتع كلاهما بزيارة قاما بها إلى مدينة نيويورك في نهاية الأسبوع، وأقاما في شقة والده الفارغة في الشارع الثامن عشر وارفين بلايس قبالة بيتس تافرن. عندئذ، قرر ماكس وليزي استكشاف الخصوصية الجسدية النهائية من خلال حب جارف مشحون بالعواطف.

وعندما بدأ بالحميمية لم يتوقفا أبداً. كانت أغنية البيتلز في ذلك اليوم: "لماذا لا نقوم بالأمر على الطريق؟". وبالطبع، هذا ما قامت به ليزي وماكس هناك، وفي كل مكان تقريباً.

بعد دخول ماكس يال في أيلول/سبتمبر التالي، بات من الصعب عليه رؤية ليزي، ولكنه كان يرأسها بانتظام. أما هي، فلم تكن مثابرة على غراره في توجيه رسائل جوايية، ولم يكن يُدرك أنها لم تُعد مهمة لأمره.

كانت لا تزال في السادسة عشرة من عمرها فقط وترتاد المدرسة الثانوية، ولم يكن وجود صديق لها في الكلية يعني أي شيء لها. فكتبت لماكس رسالة وداع تلقاها في 12 كانون الأول/ديسمبر 1968، تاريخ مولده التاسع عشر.

وشعر ماكس بصدمة عندما تلقى الرسالة، ودخل في حالة من اليأس المطلق.

وازدادت كآبته لأنه لم يتمكن من التكيف في يال. لم يكن وجوده في مبنى سكني للطلاب قائم عند حادة الكلية أمراً ممتعاً بسبب قيام الشاحنات بتبديل جهاز نقل الحركة طوال الليل، فتوقظه أو تمنعه من النوم. ولم يكن وجود صديقه بعيداً عنه، وصفوف تحتوي على سمعة طالب وأستاذ لا يعرفون أسماء بعضهم بعضاً، أمرين ممتعين كذلك.

وكونه يتخصص في الرياضيات، لم يكن يعجبه حضور الصفوف الدراسية حيث يقوم أستاذ رياضيات أسترالي باستخدام مجموعة رموز رياضية مختلفة عن تلك التي تعلمها في المدرسة الثانوية. وفي عالم قلبته حرب فيتنام رأساً على عقب، وانتشرت فيه المخدرات الترفيهية بين زملائه الطلاب، لا بل بين الأساتذة أيضاً، تساءل عن سبب تخصصه في الرياضيات.

لم تكن دراساته الأخرى توفر له العزاء. لقد درس بياحيه، وعلم أنه وفقاً لمراحل التطور التي مر بها هذا الأخير، يستحيل على فتى صغير اعتماد مفاهيم نظرية وتفحصها. لقد شعر بالإحباط لأنه لم يتمكن من صرف النظر عن حقيقة رؤاه وخبراته في سن الطفولة.

وحدث بعد ذلك الاضطراب السياسي؛ اغتيال الشقيقين كندي، وكنت ستيت، وأبسي هوفمن، ومارتن لوثر كينغ أخيراً. ووسط هذه

الفوضى العارمة، أزيلت مرساته العاطفية الهامة الوحيدة ولم يتمكن من التعاطي مع الأمور.

في حريف ذلك العام، انتقل هيربرت وجاين من سكارسدايل، نيو يورك، إلى غرينويتش، كونكتيكت، ليكونا أقرب إلى ماكس، في الواقع على بُعد خمس وأربعين دقيقة فقط من يال بالسيارة. كانت كلمة "الاندماج" هي الكلمة الشائعة، وقد سعت ليتون إنداستريز إلى تملُّق هيربرت، وهي إحدى الشركات الكبيرة التي قررت ضمَّ دور نشر أخرى إليها في مؤسسة إعلامية كبيرة. وبدأت ليتون بشراء ناشرين أصغر حجماً، وتلقى هيربرت عرضاً... تلو الآخر.

وتناثت العروض التنافسية من شركات أخرى، وكانت الأسعار مرتفعة. أخيراً، وجد أحد الشارين طريقة لإنهاء مقاومة هيربرت. لقد وعدت برفكت فيلم، وهي شركة صور فورية، بتعيين هيربرت رئيساً لقسم النشر، ويكون في إمكانه استخدام أموال برفكت فيلم لشراء شركات نشر أخرى.

لم يكن هيربرت راغباً في الواقع في بيع شركة النشر التابعة له، ولكنه أحب كثيراً فكرة إدارة مؤسسة أكبر حجماً، لذلك شرع بالاستعدادات. وتضمنت الصفقة الانتقال من ولاية نيويورك إلى كونكتيكت حيث كانت الضريبة على الأرباح الرئيسة في العام 1968 أكثر انخفاضاً، ولا تفرض الولاية ضريبة على الدخل.

وهكذا، وعندما عاد ماكس إلى "النسزل" في الكريسمس، لم تعد غرفته فوق المرأب وفقد كل أساس عاطفي. كانت جاين ثمة في أغلب

الأحيان أو نائمة، ولم يكن هيربرت يلتقي بماكس إلا نادراً بسبب التركيز على البيع المحتمل لشركته. لقد تم إهمال ماكس.

كان زمناً مضطرباً، وخشي شبان عديدون من تجنيدهم بالقرعة وإرسالهم إلى فيتنام حيث الوضع في تدهور مستمر. وبما أن رقم ماكس هو 321، فهو لم يكن معنياً بالقوات المسلحة، ولكنه لم يكن يجد سبباً لبقائه في يال.

"يا أمي، لا أدرك حقاً مغزى ذلك. المدرسون ليسوا بكفاءة أولئك الذين درست على أيديهم في أندوفر، أو في برنامج "عام دراسي في الخارج"، أو حتى في هاكلي". قال متذمراً وأضاف: "لم أشاهد سوى ثلاثة أو أربعة أفلام سينمائية على الأكثر، وأمضي بقية الوقت شاعراً بالملل في أثناء الصفوف الدراسية".

"ابذل القليل من الجهد للتواصل مع مدرّسيك والطلاب الآخرين، وأنا على ثقة بأنك ستختبر أموراً أفضل". نصحته جاين. "أهم ما في الأمر هو عدم الاستسلام، توصيلك العلمي هام جداً".

"سأبقى إذا كان ذلك يُسعدك". وأضاف: "ولكن الأمر يبدو مضيقاً للوقت وهدرًا للمال".

"نقُ بي في هذا الأمر". قالت متوسّلة: "ستمتع بمزيد من النفوذ في حياتك كبائع إذا أدركت حقيقة الأمر وتحرّجت. وصديقي، ستكون بحاجة إلى النفوذ".

وتابعت: "لذلك، عدني أنك ستبقى وتخرج، رجاءً، يا ماكس".

فوعدها، رغبةً منه في عدم تقييد أمله.

من جهة أخرى، وبالرغم من شعوره بالعزلة، كان لماكس أصدقاء في الكلية، بمن فيهم أرشيبالد بنسن، الذي كان فرداً من المجموعة التي ذهبت إلى برشلونة، وكريس غاري، وكارل بيكر.

وفي بداية إجازة الربيع التي تمتد عشرة أيام، اقترح كريس وكارل على ماكس تلوث حلوياتهما اللذيذة المفرومة، فشعر أنه لن يخسر شيئاً إذا قام بذلك.

كان قسم كبير من طلاب يال في العام 1968 يتعاونون المخدرات بوصفه جزءاً من ثقافة الكلية التي تقبلت أيضاً التغييرات الجذرية في الموسيقى والموضة.

فالتهم ماكس الجائع الحلويات اللذيذة، وبدلاً من شعوره بسعادة غامرة استسلم لنوم عميق، خلافاً لتوقعاته، دام لأربع وعشرين ساعة كاملة.

* * *

استيقظ ماكس ممتلئاً حيوية وازحراً بأفكار جديدة. وطوال الأيام العشرة للإجازة، التهم كل الكتب المطلوبة لدورته الأكاديمية الربيعية الخامسة. ولم يشعر بالحاجة إلى النوم، بل كان يغفو لمدة عشرين دقيقة أو ساعة متواصلة فقط.

وعاد ماكس إلى حرم يال، ووضع في الليلة السابقة لامتحان الفلسفة المسبقة النهائية لبحث كان أستاذه روبرت فوكس، الذي يشاطره العديد من الميزات الجسدية، قد طلب منه إعداده. وكان الموضوع، "وفقاً لطرائق تفكير وايتهيد، اكتب بحثاً نقدياً عن نظام التعليم في يال".

كان ألفرد نورث وايتهيد يُعتبر المفكر الرائد عالمياً في شؤون الأنظمة، وقد شرح كيف أن المعرفة تكون قائمة ضمن حدود

وإمكانات الأنظمة التي يتفاعل فيها البشر. وأدرك ماكس بسرعة أن قدرتنا المحدودة متأينة من كوننا بشراً.

وأدرك أيضاً أنه لا يمكن بلوغ الفهم الحقيقي إلا عندما نكون بشراً بالكامل، ونسمح لمشاعرنا وانفعالاتنا بدخول عالم الاستقصاء العلمي التحليلي. فاستنتج أن أداء يال كان دون المستوى في هذا الإطار. لقد صُنّت الجامعة كل وجه من أوجه الموضوعات، وقسمتها إلى اختصاصات، ويقوم المدرسون والمحاضرون بالتحدث إلى بعضهم بعضاً من دون التحدث إلى أحد خارج النظام المغلق. كان الطلاب يتعلمون المزيد عن أمور متناقضة، ولا يقترحون من هدف وايتهيد المتمثل بفهم الفهم، ولا ينتقدون عنه في الواقع.

وبينما كان ماكس يستعد لكتابة البحث، أنهى قراءة روح على الجسد للدريدج كليفر، وهي رواية عن حركة القهيد الأسود وشعور السود بالغضب بسبب تعرضهم للقمع نتيجة لقيود النظام القضائي وعدم عدالته في الولايات المتحدة في النصف الأول من القرن العشرين. كان أسلوب كليفر لاذعاً لا بل عنيفاً أيضاً.

وبتأثره بهذا الأسلوب واعتباره فعالاً، كتب ماكس مقالته الفلسفية المولفة من ثماني عشرة صفحة بتعابير قوية، وضمّنها عناصر من حالته العاطفية، وتفصيل عن عدم خلوده إلى النوم، ودخوله في حالة من اليأس، وكيفية ارتباط تلك العوامل بالاحتراق الذي حققه في ميدان "فهم الفهم".

لقد وضع المقالة بعناية بعد اطلاعه على هدف يال وممارساتها. وكان شعار الجامعة "النور والحقيقة" جيداً بتقديره، ونيجاري انتقاد وايتهيد لأسلوب التعليم. واقترح وايتهيد أنه إذا كان في استطاعة أحدهم فهم الفهم، إذاً يمكن فهم كل شيء.

وكونه عالماً في الرياضيات، كان ماكس يعتقد أن الطريقة الوحيدة لإتمام هذا الأمر تتمثل بالخروج من النظام البشري، وقد عبّر عن تلك النظرية في تقريره.

وأخس التقرير بمعادلة "أيه مساوية وغير مساوية لأيه". على غرار المعادلة الأساسية التي تشرح كيفية النفاذ إلى ميدان "فهم الفهم" الفكري الذي لا يمكن النفاذ إليه. فالأمر مماثل لحجر الكيمياء العجيب الذي يحول الرصاص إلى ذهب، أو يحول أي جهل إلى معرفة. كان واثقاً يعتقد بشدة بوجود تركيز الطلاب والمدرسين في كل لحظة تعليمية على أفضل خبرة ممكنة للتعليم. وهكذا، اعتبر ماكس أن أفضل خبرة يمكن لزملائه الطلاب اكتسابها تتمثل بقراءة ومناقشة بحثه الذي يعتبره اختراقاً.

ورأى أولاً مناقشة أمر إرجاء الامتحان مع البروفسور فوكس السذي يرأس أيضاً قسم الفلسفة. وواضحاً ذلك نُصِبَ عَيْنُهُ، وحلّ ماكس إلى قاعة الامتحانات باكراً، واجتاز المنصة الخشبية، ووقف بالقرب من المنبر قبالة قاعة المحاضرات الكبيرة.

وبسبب أوجه الشبه بينه وبين مدرّسه؛ شعرُ بنَيّ اللون مجعّد وأشعث، نظارات، ومجموعة ملابس غير رسمية مؤلفة من سترة، وبسّاط كلاسيكي، وقميص من دون ربطة عنق، افترض العديد من الطلاب أن ماكس هو أستاذ فوكس. فطرح عليه طالبان أسئلة عن الامتحان، وطلب منهما ماكس بدوء الجلوس في مقعديهما وعدم الشعور بأي قلق.

"قد لا يكون هناك امتحان نهائي". قال على نحو غامض.

ونتيجةً لذلك، سرت شائعة في القاعة عندما ظهر البروفسور فوكس قبل دقيقة أو دقيقتين من بدء الامتحان. وعندما نظر إليه

الطلاب مُربكين، قام ماكس بتسليمه المقالة قائلاً: "أيه هي أيه وليست أيه".

"أمضيت الليل بأكمله أكتب هذه المقالة". شرح ماكس: "وأظن أنني بلغت الهدف النهائي لواجب التمثيل بفهم الفهم". وبينما كان الأستاذ يقلّب صفحات البحث، أضاف ماكس: "سيستفيد الصف من قراءة هذه المقالة أكثر من الخضوع لامتحان". قال مؤكداً.

فأصغى البروفسور فوكس إليه بحدوء وأجاب: "ربما اخترت في الواقع هذا الاختراق المدهش. ولكن لم يتسن لي بعد قراءة هذه المقالة. وكما أنك توافق رأي واثق بوجود قيام كل فرد بالتأبع ما يعتبره الوجهة المثلى للتعليم التربوي، يجب عليّ إجراء الامتحان".

وبالرغم من عدم تحقيق النتيجة المرجوة، تلقى ماكس هذا النبأ بحدوء وأجاب: "لقد فهمتُ. ربما في المرة القادمة. أردت فقط توفير الفرصة المناسبة لك".

"حسناً، لست بحاجة إلى إجراء الامتحان هذه المرة إذا لم تكن راغباً في القيام بذلك. لقد كتبت مقالة أطول من المطلوب، وبما أنك سهرت طوال الليل، كما قلت، لإتمامها، قد لا يكون الظرف مواتياً لك لإجراء الامتحان".

"لا، سأكون بخير". أجاب ماكس: "يمكنني إجراء الامتحان الآن، لست مُتعباً إلى هذا الحد".

وبينما كان متوجهاً إلى مقعده، أدرك أنه يفترض به تمضية وقته في التأمّل بفهم الفهم، انسجماً مع طرائق التفكير وفقاً لواجبه، وعدم

تضييع وقته بالإجابة عن أسئلة حول سينوزا، وكانت لا شيء إلا للحصول فقط على علامة أنه تحدث انطباعاً في نفوس الآخرين.

وهكذا، استدار ماكس نحو البروفسور فوكس وقال: "أجل، أظن أنك مُحق. من الأفضل لي ربما عدم إجراء الامتحان في الوقت الحاضر. شكراً لك، يا سيدي".

وخرج من قاعة المحاضرات.

في أثناء مغادرته المبنى، فكّر ملياً في تفاصيل مقالته، وازدادت حماسه. والتقى بأستاذ علم الاجتماع، أوجينيو رودريغيز. ومتحمساً بشدة لمشاطرته قلقه حيال ما توصل إليه، قام ماكس بإيقافه وشرع بالتحدث إليه.

"لقد اكتشفتُ للتوّ طرائق التفكير وفقاً لوائتهد، وكشفت النقاب عن سر فهم الفهم". قال بسرعة.

وأثير اهتمام البروفسور رودريغيز بعد أن لفّت حماسة الشاب انتباهه، وتبين دور محامي الشيطان.

"هل يوصلنا هذا الفهم إلى القمر، أو يسمح لنا بإيجاد حل لأيّ من المشاكل الاجتماعية الراهنة؟". سأل.

فتردد ماكس للحظة، وانطلاقاً من مستوى نظري معيّن يوحى أن أولئك الذين رفضوا التقيد بالنظام البشري يستطيعون إنجاز أي شيء، أجاب مبتهجاً.

"أنا بحاجة إلى التفكير في الأمر قليلاً، ولكنني أعتقد أنه يتناول تلك المسائل إضافةً إلى مسائل أخرى!".

"إذاً، استمر في التفكير". أجاب البروفسور رودريغيز: "وأعلمني بما توصل إليه". وأكمل سيره إلى داخل المبنى.

وبعد شعوره بالفضول حيال اقتراح الأستاذ، قرر ماكس أن القيام بنزهة على القدمين في هواء كانون الثاني/يناير المنعش سيساعده على غربة أفكاره. ومع صوت الدّوس على الثلج، بدأ يتأمل مختلف أنواع التطبيقات "لأيه هي آيه وليست آيه" وما قد يعنيه "فهم الفهم" حقاً لكل بشري على الأرض.

قد تكون هناك تطبيقات عملية. فقانون عدم إمكانية الاختراق المتأمل بعدم إمكانية تواجد شيئين في المكان نفسه وفي الوقت نفسه قد لا يكون صحيحاً على الدوام. ومن شأن هذا الأمر أن يبدّل طبيعة الفيزياء، ويسمح بتطوير تكنولوجيات جديدة يمكنها تخطي حدود سرعة الضوء، إضافةً إلى ثوابت أخرى في المعادلات، مما يؤدي إلى خطوات كبيرة متقدمة في ميدان السفر في الفضاء واستيطان كواكب أخرى.

ومن شأن تحقيق "آيه هي آيه وليست آيه" أن يبدّل متغيرات كل منطق، والاستنتاجات التي يمكن للظرية المنطقية البحتة أن توفرها، إضافةً إلى المسلمات التي تركز عليها الرياضيات العامة، مما يؤثر في التحقيقات العلمية العسيرة كافة.

وبدأ عقل ماكس يحلل الاحتمالات كافة.

قد يكون الجواب عن السؤال المطروح حول وجودنا بالذات... وهدف حياتنا، قال في نفسه. كلنا متصلون ببعضنا بعضاً وليس بشكل سطحي فقط.

وفي أثناء تأمله هذه المفاهيم، دنا منه البروفسور فوكس الذي كان يبحث عن ماكس كما يبدو. فنظر الأستاذ إلى عينيه بإعجاب واضطراب.

"مقالتك مثيرة للإعجاب، يا ماكس، ولكنني لست واثقاً من أنني فهمتها". قال: "لقد طلبت من غوردون هويل، المتخرج المسؤول عن

قسم الفلسفة، أن يأخذها ويلقي نظرة عليها. يريد أن يراك في مكتب العميد في أقرب وقت ممكن".

* * *

"لا معنى لهذا الأمر بالنسبة إليّ". قال غوردون هويل بوضوح. "لا أفهم نظريتك المطروحة على الإطلاق. نلن أن المشاعر يجب أن تكون بطريقة ما جزءاً من التحليل التحليلي في النصف الأيسر من الدماغ. هذا الأمر ليس منطقياً أو علمياً".

ونظر إلى عيني ماكس مباشرة.
"وسيدو أنك غاضب جداً ليس من يال ومدرّسك وزملائك الطلاب فحسب، بل من كل البشر".

"لقد أغفلت النقطة الرئيسة". قال ماكس، وبدأ السخط في صوته. "أنا غاضب من رياء هذه المؤسسة، وليس من المؤسسة نفسها. هناك الكثير من الأمور الرائعة في يال، ولكنني أتحدث عن أعلى مستويات الحقيقة. أنت بحاجة إلى إعادة قراءة المقالة، وستتحقق من أن ما أقوله صحيح وفقاً لآرائك، وهو أن آيه هي وليست آيه".

عندئذ، دخل رجل آخر الغرفة، وعرف ماكس أنه العميد بريدجز. فسلم ماكس استمارة.

"يا ماكس، لقد تحدثت إلى البروفسور فوكس والسيد هويل". قال بحدوء. "يبدو لهما أنه في استطاعتك اللجوء إلى الراحة والتغيب ربما أيضاً عن صفوفك الدراسية المنتظمة لبعض الوقت". وأشار إلى الورقة التي يعملها ماكس. "رجاء، وقّع استمارة الانقطاع عن ارتياد الجامعة، وسيكون في إمكانك العودة إلى يال بعد أخذ قسط من الراحة".

فتردد ماكس للحظة، وأدرك بعد ذلك أن من الأفضل له أن يدرس بشكل مستقل أثر "آيه هي آيه وليست آيه" على كل البشر المتعلمين. ونظر مجدداً إلى العميد.

"أين تريدني أن أوقع؟". سأل.

وبعد لحظات، كان قد انقطع رسمياً عن ارتياد يال. ودخل الغرفة رجل ضخم البنية ذو شعر أسود مجعد، وعرف نفسه قائلاً إنه الطبيب وينشتاين من قسم خدمات السلامة العقلية في يال. وأخبر ماكس أنه تدبّر أمر بقاءه في المستوصف حيث يوصف له دواء للنوم.

وبينما كان ماكس يفكر ملياً في الأمر، شرح الطبيب وينشتاين الأمر قائلاً إنه رأى آثار سوء استخدام المخدرات لدى عدد كبير من الطلاب من خلال سلوكهم المنحرف والأرق القسري الناجم عن الاستخدام المفرط للمنشطات التي تساعدهم على إجراء الامتحانات. وقال إن ماكس هو حالة نموذجية.

وهكذا، تبع ماكس الطبيب وينشتاين إلى سيارته من دون إحداث أي جلبة، وتم اصطحابه إلى المستوصف حيث أعطى دواءً للنوم.

بعد ثلاثين دقيقة، استدعى الممرضة وسألها إذا كان في استطاعتها إحضار بعض الكتب من المكتبة. فأعلمته أنه لن يكون في إمكانها القيام بذلك، وقالت إنه بحاجة إلى النوم.

"أحضري لي ورقة وقلم على الأقل". قال ماكس متوسلاً. "هناك بعض الأفكار في رأسي أحتاج إلى تدوينها. فهذا الأمر يساعدني على النوم".

لم تبد الممرضة مرتاحة إلى الفكرة، ولكنها لبّت طلبه.

وهكذا، أمضى الساعات الأربع التالية في كتابة وتحليل كيف يمكن "لفهم الفهم" تبديل تصرفات الإنسان وطريقة تفكيره. وعبر عن أفكاره استناداً إلى طبيعة العلاقات البشرية.

فإذا كانت "أيه هي أيه وليست أيه"، إذاً، تكون كل العلاقات، ولا تكون كما تبدو عليه في الواقع. وقد يكون رجل ما ابناً ولا يكون ابناً في الوقت نفسه. وقد تكون الزوجة زوجة ولا تكون زوجة في الوقت نفسه. وقد يكون الطالب طالباً ولا يكون طالباً في الوقت نفسه.

لقد بدا التحليل واضحاً في بادئ الأمر، ولكن ماكس وجد كيف أن معظم الناس لا يفهمون البتة المعنى الضمني لذلك. فالتحليل عني لماكس أن كل التخطيط البشري مركّز على فرضيات مغلوطة ومسلّمات مغلوطة تؤدي في غالب الأحيان إلى إرباك، وتُغفل الفرص المناسبة لحدوث أفضل تفاعل بين الناس.

كان في استطاعته أن يرى كيف أن "فهم الفهم" يساعد على إيجاد حلّ للنزاعات السياسية والاقتصادية. فبعد الكشف عن فرضيات مغلوطة، قد تنشأ بنيات جديدة تماماً، بنيات لا تتطلب تمييزاً هرمياً.

وواصل التركيز على المعاني الضمنية للرياضيات والفلسفة. "فأيه هي أيه وليست أيه" حلّت عقداً فلسفياً جوهرياً، وعملت تناقضات ظاهرياً، وسمحت بمستوى نظري أعلى لمعادلات رياضية أكثر تعقيداً.

كان ماكس في عالم خاص به، ويستمتع بصيغته الرياضية وأفكاره المثيرة. وقد منعه ذلك من النوم بالرغم من تناول عقاقير منومة قوية.

ومرّ الطبيب وينشتاين به لزيارته، ووصف له جرعة أقوى من الحبوب المنومة التي وفّت بالمطلوب أخيراً. وبعد عشرين دقيقة من زيارة الطبيب، استغرق ماكس في نوم متقطع.

واستيقظ في صباح اليوم التالي، وكان مستعداً لمغادرة المستوصف. وشرع بارتداء ملابسه، ولكن الممرضة أوقفته.

"رجاءً، انتظري لأتصل بالطبيب وينشتاين". قالت بسرعة. "لا يمكنك الخروج من الباب من دون موافقته".

"ولكنني أشعر بأني في حال جيدة"، قال معترضاً. "لقد حصلتُ على بعض الراحة، وأريد الذهاب إلى المكتبة للتحقق من تأثير ما اكتشفته".

فأصرت الممرضة على بقاءه، وعاد ماكس إلى سريره بعد أن رأى مدى اعتمادها. لم يشأ التسبب بمزيد من الإزعاج لها.

عندما وصل الطبيب وينشتاين، طلب من ماكس ملازمة غرفته حتى يقوم والداه، الموجودان في أوروبا، باصطحابه لدى عودتهما بعد يومين. وأبلغ الطبيب ماكس أن والده فوضاه بإبقائه تحت السيطرة، لا بل أيضاً بنقله إلى مصحة للأمراض العقلية، وذلك حماية له وحفاظاً على سلامته.

"إذا قمت بأي محاولات إضافية للمغادرة، فهذا ما سيحدث بالتحديد". قال الطبيب وينشتاين، وأشارت نبرة صوته إلى أن المسألة غير قابلة للنقاش.

وبدا ماكس مشدوهاً.

"ولكن والدَيّ لن يسمحا أبداً بهذا التصرف". قال ماكس مؤكداً.

"حسناً، لقد سمحاً بذلك". أحاب الطبيب. "وسأودعك مؤسسة مماثلة إذا اضطُرت إلى ذلك". ولأن صوته بعد ذلك، "نرغب حقاً في إبعادك عن مصحة الأمراض العقلية إذا أمكن. يا ماكس، أنت تعاني من ممرض نفسي. فهذا الأمر يحدث مع أفضل طلابنا في غالب الأحيان.

هناك الكثير من الضغوط في يال، ولا يتعين عليك الشعور بالإحراج بسبب ذلك، ولكن يجب عليك التعاون والسماح بمعالجتك".

وأضاف: "يتم إعطاؤك التورازين وبعض الأدوية المضادة للأمراض النفسية، ستساعدك على النوم والتغلب على أوهامك. يجب عليك التعاون". كرّر: "وما دمت تقوم بذلك، ستتمكن من دون شك من التسجّل في الخريف التالي وإكمال تخصّصك".

ومع ذلك، لم يستطع ماكس تقبل ما تعرّض له.

"ولكنني لا أعاني من الأوهام. لقد صودف أنني فهمت الفهم. الأمر غير منصف بتاتاً"، قال معترضاً.

وانتهت المحادثة، ورمقه الطبيب بنظرة مبهمّة عند مغادرته الغرفة، واتضح لماكس أن الطبيب وينشتاين يظن حقاً أنه يعاني من مشكلة عقلية. وبعد ثلاثة اضطرابه الداخلي، فكّر مليّاً في مسائل السلامة العقلية المتأصلة في عائلته. فشيقة والدته الصغرى، ميريام، أدخلت إلى مصحة للأمراض العقلية عندما كانت صغيرة. وشاء القدر أن تلقى بزواجها مايكل هناك الذي كان مريضاً أيضاً. لقد اعتُبر مايكل مختل العقل، ولكن انتهى به الأمر إلى شراء مستنقع خارج مدينة نيويورك، في نيوجرسي، باع بملايين الدولارات لشركة بنّت فيه إستاد ميدولاندز لكرة القدم.

وانتحرت والدته جدّة ماكس لجهة والده برمي نفسها عن سطح مبنى بروكلين السكني الذي كانت تقيم فيه، وذلك عندما اكتشفت أن زوج ابنتها، جدّ ماكس، لم يكن يلتزم بتناول الكوشر، وكان يُدخل لحم حيوان مفرّزاً مدخناً إلى مطبخها.

وبالرغم من اعتبار أفراد آخرين في عائلته الموسّعة مختلّين عقلياً، لم يتم إدخال أي منهم إلى مصحة للأمراض العقلية، باستثناء عمّته.

وعلى ضوء تأملاته، فكّر ماكس مليّاً في احتمال كونه مصاباً باحتلال عقلي. وبينما كان يستنتج أنه ليس كذلك، أدرك أن نظريته "أيه هي آيه وليست آيه" تنطوي على عنصر قصامي متأصل، نوع من أنواع الجنون الذي يمكن السيطرة عليه، ومع ذلك فهو يُعتبر جنوناً.

في أثناء بقاءه في المستوصف لمدة ثلاثة أيام، عان ماكس من انعدام النشاط ومن آثار جانبية أخرى للدواء. وبدأت فترات نومه تزداد طولاً، ولكن حماسه لم تقفّر حيال صوابية معادلته.

ووصل والده لاصطحابه. وعندما دخل الغرفة، حاول ماكس أن يناقش معه الإنجاز الذي حققه، ولكن هربرت لم يُبدِ أي اهتمام. لقد تكلم بطريقة واقعية وأشار إلى مقتنيات ماكس.

"لننحني إلى السيارة فحسب، ولنخرج من هنا". قال بسرعة.

وعندما وصلا إلى المنزل، رَحّب به جابن بحرارة وحب، وشرحت له أن الطبيب وينشتاين تدبّر لماكس أمر لقاء طبيب نفسي محليّ. وشرحت أيضاً أنها لن تتحدث وهربرت إليه بشأن "فهم الفهم" أو أيّ من نظرياته الفلسفية مخافة تفاقم المشكلة. ويُسمح للطبيب أوسن فقط، الذي تم اختياره، بمناقشة الإنجاز الذي حققه.

لقد أحبطت هذه الظروف ماكس، ولكنه وافق والديه الرأي حتى لا يقلقهما، وذهب بعد ذلك إلى غرفته ليهذئ من روعه.

وفي صباح اليوم التالي، أفلّت جابن ماكس للقاء الطبيب أوسن، وهو رجل مهيب ذو شعر رمادي ويضع نظارة. كان ابنه موسيقياً محترفاً عمل مع جيري جيف وأكر على إصدار أسطوانة مسجّلة تتضمن إحدى أغنيات ماكس المفضّلة وهي "السيد بوجانكلز". وأدى هذا الواقع إلى نشوء انسجام بين الطبيب والمريض.

لقد وضع الطبيب أوستن كتاباً شهيراً حول القوى السيكلوجية التي شكّلت شخصية أدولف هيتلر وأثارت اهتمام ماكس أيضاً. كان الطبيب فخوراً لأن مارك توين، الذي تناولت بعض رواياته دراسة الطبيب أوستن، كان يمتلك منزلاً في تاريتاون ذات مرة.

وشرح الطبيب أوستن قائلاً إنه عاج في السابق مفكرين عظماء، ولا شك في أنه يعتقد أن ماكس يعاني من حالة تُعرف "بجنون العظمة". وبالرغم من ذلك، أمضى ماكس جلساً الخمس الأولى محاولاً شرح الفوارق الدقيقة لمعادلة "أيه هي أيه وليست أيه"، وسبب كونها اختراقاً.

ولكن الطبيب أوستن لم يكن مقتنعاً بذلك.

واستمر في زيادة جرعة التورازين حتى بات ماكس يشعر بالترنح في معظم الوقت. وكان يزور الطبيب أوستن خمس مرات في الأسبوع حتى إشعار آخر.

* * *

شعر الطبيب أوستن في أواخر شهر أيار/مايو بمحدث تحسن كبير في حالة ماكس، فخفض عدد الجلسات إلى ثلاث مرات أسبوعياً.

وشعر ماكس أيضاً بهذا التحسن. كان قد تعلّم الإجابة عن الأسئلة بطريقة تحمل الطبيب أوستن على الاعتقاد أنه لم يُعد يعاني من "أوهام أو من"جنون العظمة".

لم يُشر ماكس أبداً إلى ما خبره في حالة النورائية، أو إلى الألوان الاثني عشر والأسماء الاثني عشر؛ فهو لم يعتقد ببساطة أنها ضرورية. كان يعلم أنه منسجم مع ذاته بالرغم من عدم فهم الأشخاص الآخرين لنظريته.

وبالرغم من تحسنه الظاهري ورضى الطبيب عن حاله، فهو لم يكف أبداً عن التفكير في أن "أيه هي أيه وليست أيه" نظرية ألمعية،

واعتبر أن غوصه في كُنه الأمور سيؤدي إلى تبدل العالم. لم يفهم ماكس أنه بحاجة إلى مزيد من الحرص لدى مشاطرة أفكاره. ولكن ذلك لم يعني أن أفكاره لم تكن صالحة.

وفي أيلول/سبتمبر، قبل ماكس مجدداً في يال بشرط واحد:

لا يستطيع حضور أي صفوف في الفلسفة.

محتجَز في بوليفيا

1970

بالرغم من حرصه على اتباع الاتجاه السائد في يال، احتفظ ماكس بالكثير لنفسه، وأكمل مقرراته الدراسية، ومارس رياضات ضمن الجامعة، واعتمد بشكل عام أسلوباً يُسرّ والديه ومدرّسه وأولئك الذين يخشون استقراره العقلي.

بالطبع، كان يعلم أنه لا يزال يفهم الفهم وكل ما يستتبع ذلك، ولكنه تجنّب المقررات الدراسية في الفلسفة كما طُلب منه. وتدبّر أمر التسلل إلى مقرر دراسي في الأنثروبولوجيا الثقافية يتناول كلود ليفي؛ ستروس والثنوية، وهو طريق آخر إلى تأمل التابعات الحارقة للدماغ البشري في الثقافات وعبر الزمن.

* * *

في ربيع العام 1970، التقى ماكس ببول هازلتن، وهو متخصص في العلوم السياسية وذو اهتمام خاص بشؤون أميركا اللاتينية. كان بول قد شارك في برنامج في البيرو يدعى مشروع الصداقة، ويتنمي إليه طلاب أميركيون جامعيون يريدون برنامجاً مباشراً أكثر من برنامج بيس كوربس، ويسمح بإجراء اتصال فوري بين طلاب أميركا الشمالية وشعوب أميركا اللاتينية.

وتمثلت الفكرة بإرسال أربعين طالباً جامعياً إلى أريكويا، البيرو، للعمل على إنشاء مدارس، وتنفيذ برامج في ميدان الخدمة الاجتماعية، والمساعدة بصورة عامة بأي طريقة ينصحهم مضيفوهم باعتمادها في المركز الثقافي البيروفي - الأميركي الشمالي في أريكويا.

وتقوم عائلات أريكويسية بإيواء الطلاب كجزء من التبادل الثقافي.

وبما أن ماكس يجيد الإسبانية بطلاقة، اعتبر أن مشروع الصداقة سيكون برنامجاً صيفياً مثالياً بالنسبة إليه يمكنه من خوض مغامرات جديدة والحفاظ على طلاقة لسانه باللغة الإسبانية.

وبدأت الرحلة بشكل يدعو إلى التفاؤل. وكانت العائلة التي ألحق بها ماكس في أريكويا ماثلة لعائلته في برشلونة، باستثناء أن السنيورة رودريغيز أرملة وأن لديها ابنتين: ألبرتو في الخامسة عشرة من عمره، وخافيير البالغ من العمر سبعة عشر عاماً. كانت شقيقة السنيورة رودريغيز تقيم أيضاً معهم، وكان الجميع عازمين على تعلّم الإنكليزية والحفاظ على الحرية الاقتصادية التي ضمنها لهم انتمائهم إلى أعالي الطبقة الوسطى عندما كان السنيور رودريغيز لا يزال على قيد الحياة. وعلى غرار الجميع في ذلك الوقت، وباستثناء العائلات الأشد فقراً في أريكويا، كان لدى العائلة عدة خدام: بستانيان، طاهٍ واحد، وخادمتان. علماً أن المنزل لم يكن كبيراً جداً.

كانت غرفة نوم ماكس تُشرف على مركز أريكويا الأبيض البراق بحدسته المعمارية التي تعود إلى زمن الاستعمار. فوقاً للقانون، يجب طلاء كسل المباني باللون الأبيض. وعندما تُشرق الشمس، تتألأ المدينة في الواقع بنور راتع يُعطي الأبنصار. ويترك غروب الشمس بألوان السماء البرتقالية والقرنفلية قبل حلول الظلام انطباعاً في النفوس لا يُمحى.

وبوجود جبل إل ميسني الركابي المدهش في خلفية المشهد إزاء سماء زرقاء ساطعة لا تغلظ من السحب، كانت أريكويا إحدى المدن الأكثر لفتاً للأنظار التي رآها ماكس يوماً، وكما كانت حاله في إسبانيا، فقد شعر بصلة عميقة بهذا البلد وشعبه، وبقدرة كبير من الراحة.

لم يكن قد تخطى فقدان ليزي تماماً، ولكنه خرج من حالة الركود العاطفي عندما التقى كارولينا العاطفية على نحو لا يصدق وذات الجمال غير العادي، وكانت في الثالثة والعشرين من عمرها، وتقيم على بُعد خمس دقائق من منزل رودريغز سيرا على الأقدام. فكارولينا هي نسيبة خافيير وألبرتو والابنة الوحيدة لشقيق والدتهما الذي أنجب اثني عشر ابناً قبل ولادتهما.

وبالرغم من سنّها، لم تنفرد كارولينا يوماً بشباب. كان والدها أستاذاً في الجامعة ويؤلف كتاباً مدرسياً عن الرياضيات، والتقى ماكس في أثناء حفلة أقيمت في منزل شقيقته للترحيب بزائرها. لقد أثار اهتمامه كون ماكس عالماً ماهراً في الرياضيات، وتدرّب له مهمة تدريس علم الجبر في إحدى المدارس الثانوية المحلية.

وبسروعه بمهارات ماكس التعليمية، اعتبر الأستاذ أن ماكس هو الشخص المثالي لترجمة كتابه المدرسي إلى الإنكليزية. وهكذا، وجد ماكس سبيلاً لدخول منزل كارولينا والتقرّب منها في النهاية.

لقد أثار تقرّبه من كارولينا رغبة أشقائها الذين كانوا على ثقة أن هذا الأمر لا يمكن أن يكون جيداً، ولكن والدهم كان مأخوذاً بقدرة ماكس لدرجة أنه تجاهل مخاوفهم، لا بل وافق أيضاً على اقتراح كارولينا اصطحاب ماكس في زيارة إلى الأماكن الهامة على أن يرافقهما أحد أشقائها.

وبعد رحلتين مماثلتين، طلبت كارولينا من ماكس مرافقتها لمشاهدة النسخة الجديدة لفيلم سينمائي بعنوان "ماش" لروبرت ألتمان. ولم يكن الأشقاء متاحين لمرافقتهم، ولكن والد كارولينا منح موافقته. لقد بدا قيام الثاني الشاب بمشاهدة فيلم معاً أمراً بريئاً، ونزولاً عند اقتراح كارولينا، اشترى ماكس تذكرتين لحجز بيوتكا في مسرح كولونبال بالاس الموسيقي.

لم يكن ماكس يعلم أن البيوتكا هي غرفة خاصة مع ستائر تفصلهما تماماً عن الموجودين في المسرح. وكان في استطاعة كارولينا وماكس النظر إلى الشاشة إذا أرادا ذلك من دون أن يكون في استطاعة أحد رؤيتهما.

ولم يتذكر ماكس أي مشهد من الفيلم السينمائي. لقد سعت كارولينا في هاتين الساعتين إلى الاستكشاف واستيعاب ما مُنعت من مشاهدته واختباره في السنوات الثلاث والعشرين من حياتها.

بعد ذلك، غمرت كارولينا ماكس بعاطفتها القوية، ولم يستطع في أثناء إقامته في أريكويا لمدة ثمانية أسابيع إبعاد تفكيره عن الجمال السيروفي. ووضعت هذه العلاقة الغرامية الغامرة في حالة من الغبطة، ولكن بترفع اعتبره مُربكاً ومحرراً.

* * *

هذه الحالة الغريبة من الترفع، تقرّب منه رولف آينس، وهو أحد المشاركين في مشروع الصداقة، وطلب من ماكس مرافقته إلى مجاهل الدُّغل البوليفي بحثاً عن الجاغوار. فرولف هولندي في سن السادسة والعشرين، وقد أتم خدمته العسكرية في هولندا، وكان الفرد الأكبر سنّاً في مشروع الفريق، طويلاً ونحيفاً، يزيد طوله عن ست أقدام، يضع

نظارة، يرتدي ثياباً أنيقة، وكان شعره نسيّ اللون قصيراً ومُهَنْدَماً على السدوم مما يُضفي عليه بعض الفرادة، وذلك لأن الشعر الطويل كان مألوفاً في ذلك الوقت.

كان رولف طالباً في عامه الأخير في الهندسة المدنية في جامعة فاندربيلت في تينيسي، وثبتت فائدة معرفته بالشؤون الهندسية في تصميم المدارس والمنازل التي ساعدت مجموعة المشروع على بنائها في مختلف أنحاء أريكويا في صيف ذلك العام 1970.

لقد هَزَّ زلزال في ذلك العام شمال البيرو، وكان رولف قد حصل على إجازة لمدة أسبوعين للمساعدة على رفع الأقباض هناك. كان مُحِبّاً للمرح، وذا طَبْعٍ متهوّر، وكان أحد أهدافه الشخصية في تلك الرحلة صيد الجاغوار بعد إنهاء مشروع الصداقة. لذلك، كان يبحث عن رفيق يتحدث الإسبانية بسبب عدم إجادته هذه اللغة البتة حتى بعد أسابيع من التفاعل مع السكان المحليين.

لقد اعتبر ماكس مرشحاً ممتازاً لمرافقته، وكان قد حدّد مكانين محتملين للصيد، أحدهما مدينة إيكيتوس البيروفية في الأمازون، والآخر منطقة يانغاس بالقرب من بوليفيا.

"يا ماكس، هل فكرت يوماً في صيد الجاغوار في أدغال البيرو أو بوليفيا؟" سأل رولف ماكس في أثناء تناولهما البيسكو سورز في مشرب المركز الثقافي البيروفي - الأميركي الشمالي وسط مدينة أريكويا.

"لا يمكنني قول ذلك". أجاب ماكس. "لم أحمل أبداً بندقيّة، ولكنني أحب زيارة دَغَلٍ حقيقي. فيمَ تفكر؟".

"لقد درستُ الموضوع". قال رولف بحماسة: "قمتُ بزيارة القنصلية البوليفية، وأعلموني بوجود مكان في الدَغَلِ يدعى كارانافي

حيث يمكنك استخدام مرشدين وصيد الجاغوار. الأمر غير مرتفع التكلفة، لذلك سأعطي نفقات الصيد إذا كنت راغباً في الانضمام إليّ".

وأضاف: "تعرف أن لغتي الإسبانية ليست جيدة، لذلك سيكون من الجيد أن ترافقني كمتراجم لي، وسنمضي وقتاً رائعاً معاً بالطبع". "أدعيني في حسابك"، أجاب ماكس بالندفاع. "يبدو الأمر مثيراً للحماسة". وشرّباً غيب التصديق على التزامهما من كوتبي بيسكو سورز. "ولكنني أملك مئة دولار فقط لكل الرحلة التي ستدوم أسبوعين، لذلك سيكون سفراً منخفض الميزانية". أضاف ماكس.

"يا ماكس، المال الذي أدخرته لصيد الجاغوار، أعاني من ضيق في الميزانية أيضاً". اعترف رولف. "مع ذلك، لا تقلق. لقد عشطت لكل شيء، حتى إنه يمكننا أيضاً زيارة كوزكو، وماتشو بيتشو، وأماكن رائعة أخرى".

"ممتاز". أجاب ماكس، وأشرق وجهه. "كنت أمل في زيارة ماتشو بيتشو، وبحيرة تيتيكاكا، وتياواناكو إذا أمكن". "كلها ضمن الأماكن التي ستجري زيارتها". أكد رولف بينما كان يتلّع ما تبقى من شرابه.

بعد يومين، غادر الثنائي بالقطار إلى بونو. وبعد غمضة يوم هناك، تابعا رحلتهما إلى كوباكابانا.

كانت كوليكتييفو وسيلة النقل الأقل تكلفة من بونو إلى كوباكابانا، وهي حافلات صغيرة من طراز فولكسفاجن تتسع كل منها لاثني عشر راكباً. ومع ذلك، كانت هناك تسع حافلات مليئة بالكامل عندما وصل رولف وماكس إلى محطة الانطلاق.

فقدّر أحد السائقين حجمهما، وأبلغهما أنه سيؤمّن لهما مكاناً في حافلته. وشرع بالتحدث بلغة الكويشوا بسرعة إلى الركاب الجالسين، فوقف فجأةً هنديان، وغرحا من الحافلة، وصعدا على سطحها لقاء أجرة سفر منخفضة على الأرجح. كان الطريق غير معبد، ومغطى بالغبار، وملبناً بالخفر. كانت فعلاً رحلة منهوّة تطلبت من الركاب الذين دفعوا نصف الأجرة التثبيت بجياهم العريزة.

وركاب الحافلة قادمون من قرى صغيرة محيطة ببحيرة تيتيكاكا حيث توجد منازل السكان القدماء، أي الإنكا الأصليين الذين حكموا الأنديز وقسماً كبيراً من أميركا الجنوبية - إن لم تكن كلها - طوال عقود من الزمن.

لم يتكلموا الإسبانية أبداً، بل لغتي الأمارا والكويشوا الأصليتين. كان العديد منهم متجهين لحضور المهرجان الموسيقي الذي يقام لمدة يومين في شهر آب/أغسطس من كل عام، والعزف على الآلات الموسيقية نفسها، وإنشاد الأغاني نفسها، وتكرار خطوات الرقص نفسها على غرار أجداد أجدادهم، لا بل أيضاً على غرار أسلافهم في الماضي البعيد.

يعتقد الهنود بالمكانة المجلّلة للحياة. فهم لا يميّزون بين الأشياء المتحركة وغير المتحركة. بالنسبة إليهم، هناك حياة في كل شيء، وهم يسعون إلى إلحاق الهزيمة بالزمن عبر طقوس إعادة إحياء موسيقاهم المجلّلة. ويسعون أيضاً إلى الإسراف في الرقص والأغاني وتناول أوراق الكوكا. كان جميع من في الحافلة ثلثين أو متهجين حتى قبل أن يجلسوا، باستثناء السائق، كما أمل ماكس ورولف.

* * *

لدى عبور الحافلة الحدود من البيرو إلى بوليفيا، طلب ماكس من السائق التوقف كي يتمكن من ختم جوازَي سفرهما. فأبلغهما السائق أن حراس الحدود لا يتحققون من جوازات السفر. "يعرفون أن المئات من شعبنا سيعبرون ويعودون بعد انتهاء المهرجان غداً"، قال شارحاً، "هم يعرفوننا ويعرفون أن كل شيء بخير". لقد بدا الأمر منطقياً بالنسبة إلى ماكس ورولف، لذلك لم يسألاه شيئاً.

وبعد ساعتين، توقفت الحافلة على شاطئ بحيرة تيتيكاكا في مدينة كوباكابانا. كان الليل قد بدأ يهبط وهناك حشود من الناس على الشاطئ وفي الساحات العامة، وكانت هناك أغاني ورقصات تُؤدّى في كل مكان. لقد صدر من آلات الناي والآلات الوترية ذبذبات غير عادية جعلت الجميع يرغبون في الرقص ليس بطريقة جامحة على غرار كرنفال ريو، بل ببطى تنم عن قبض من المشاعر العميقة، كنوع من الحزن الصوفي الذي يتضمن جوهر الفرح الذي يبدو متجسداً بمؤلاء الأشخاص الذين يشعرون بالفخر بالرغم من إخضاعهم.

فالرجال والنساء متدنّون بدثارات وعباءات ذات ألوان برّاقة صنعوها من صوف القرمّل والأغنام، وتعتمر كل النساء قبعات من أشكال وأحجام مختلفة. وتُعرّف كل بلدة صغيرة بفراة قبعاتها، رمز الشكل إلى هوية الإرث الخاص بالمكان، والغاية من اعتماد هذا الشكل.

تنقل ماكس ورولف في المكان الذي يسوده جوّ مشحون إلى حدّ كبير بالموسيقى وحيوية الناس كما لو أنّهما في حلم. لقد تناولا دُرّة مشوية، ولحماً، ومأكّل لذينة أخرى من البائعين، وشعرا أخيراً بالحاجة إلى النوم.

ومما أن كل الفنادق مليئة، سمح لها مزارع لطيف بالنوم في الحظيرة مع ماعز القرم، جاعلين من الثن سريراً لهما. ورمى لهما زوجاً من البطانيات الجميلة متعددة الألوان.

ظن رولف أن هاتين البطانيتين تصلحان كرداءٍ بونشو رائعين، فسدفا للمزارع منهما مبلغاً من المال، عالمين أنهما سيكونان بحاجة إلى ملابس أكثر دفئاً لرحلتهما الطويلة والشاقة عبر الممرات الجبلية قبل النزول إلى الدّغل.

في اليوم التالي، عاد ماكس وروولف إلى وسط البلدة، مرتدين رداءَ البونشو الجديدَين اللّوئين. واشترى قِيعَتين من القش مصنوعَتين وفقاً للطراز المكسيكي ليكملا الرّئي ويبدوا مثبرين للسخرية تماماً. كان في الإمكان تمييزهما بسهولة عن الآخرين.

وطافا المكان وصولاً إلى الشاطئ حيث التقيا بفتاتين جذابّتين في السابعة عشرة من عمرهما قدمتا مع عائلتيهما وأصدقائهما للمشاركة في المهرجان الموسيقي. كانتا تعيشان في لا باز، وتمكّنتا من تدبير أمر عودتهما في حافلة المدرسة.

وفي أثناء المخادشة، توددت الفتاتان إلى هذين الأجنبيّين اللذين يمثلان العوالم التي لا يمكن لهما حتى أن تخيّلها. فدعنا رولف وماكس للانضمام إليهما على متن الحافلة في رحلة العودة إلى لا باز، فاجتمعا الفرصة، عالمين أن رفقة الفتاتين قد تجعل الرحلة أكثر إمتاعاً.

في صباح اليوم التالي، وبعد وقت قصير على شروق الشمس، وبعد قضية ليلة أخرى مع ماعز القرم، صعد رولف وماكس على متن حافلة المدرسة. لم تكن الرحلة زاحرة بالأحداث بالرغم من وجود عشرين نقطة تفتيش على الأقل على امتداد الطريق إلى لا باز. كان الجنود عند الحواجز يعرفون الحافلة والسائق، ويشيرون إليه بالمرور.

ووصلا إلى لا باز في وقت متأخر من بعد الظهر، وودعا الفتاتين وعائلتيهما شاكرين، وقررا التوقف عند المقهى الخارجي بالقرب من محطة الحافلات. وكونه هولندياً، كان رولف مولعاً بشراب الشعير بصفة خاصة، وشراب الشعير البوليفي شراب ممتاز ابتكره الألمان الذين استقّدموا إلى بوليفيا لإنشاء مصانع شراب الشعير بصفة خاصة.

كان شراب الشعير المحلي مميّز بسبب عذوبة مياه جبال الأنديز، ويُقدّم في زجاجات يبلغ حجمها ضعف حجم نظيراتها الأميركية.

"إنه أفضل شراب شعير تناولته يوماً". أكد ماكس. "حتى إنه أفضل من شراب أريكويينو البيروفية". وطلب وروولف المزيد من الشراب الملائم لأنواع الطعام اللذيذ في المشرب.

"أظن أنك مُحق". قال رولف في أثناء إنزال كوبه.

فجأة، قفز ماكس عن الطاولة.

"آه، يا الله". قال. "إنه أرشي بنسن".

"أرشي، أرشي، أنا هنا". صاح ماكس بينما كان يومئ بعشوائية للفت انتباه أرشي. "ماذا تفعل هنا؟". سأل في أثناء توجه صديقه إلى الطاولة وبجانبه شابة جذابة.

وجرى التعريف، وشرح أرشي.

"لا أعتقد أنك قابلت زوجتي من قبل، إليزابيث، أليس كذلك؟ لقد تزوّجنا في حزيران/يونيو بعد انتهاء الصفوف الدراسية مباشرة، ونحن هنا في أميركا الجنوبية في مهمة لصالح الأمم المتحدة. سنُعفل الفصل الدراسي في الخريف لنكمل مشروعتنا. ولكن ماذا تفعل هنا؟". سأل أرشي.

"نزور المكان ليس إلا، ولكن رولف يريد الذهاب إلى يانغاس لصيد الجاغوار". وابتسم ماكس بينما كان يتكلم.

"حسناً، لقد عدنا لتونا من يانغاس". قال أرشي. "إن أفضل طريقة للوصول إلى هناك هي عبر القفز إلى متن ما يدعونه مركب الموز. إنها شاحنة تأتي من الدغل محملة بالموز، وعندما تُفرغ حولها تعود فارغة في اليوم التالي، فيقفز السكان المحليون إلى منها. ويمكنكم الذهاب إلى آخر الخط حيث توجد بلدة كارانافي، وذلك لقاء بنس واحد لكل ميل. من هناك، أنا على ثقة أنه يمكنكم الحصول على مرشدين لصيد الجاغوار".

وكم كانت دهشة ماكس كبيرة عندما سلمه أرشي مفتاح غرفة فندق.

"لقد دفعنا أجر ليلتين إضافيتين. لماذا لا تنزلان في الغرفة إذا كنتما بحاجة إلى مكان للإقامة فيه؟".

فسرّ الثنائي بالأمر. لقد عثرا مجدداً على مسكن بأفضل سعر ممكن؛ في هذه الحالة، مسكن بخان.

وعما أن بوليفيا بلد العديد من الثورات، وتنص القوانين بوضوح على ضرورة تسجيل أسماء كل الأحياء، يتبع كل فندق سياسة صارمة بالاطلاع على جواز سفر كل أجنبي وتدون معلومات عن كل زائر. وهكذا، دخل رولف وماكس الفندق المتواضع بتكتم واستقرا في غرفتهما المجانية.

في اليوم التالي، أعلن كل العاملين في وسائل الإعلام الإضراب، خرجوا إلى الشوارع وأغلقوا كل صحيفة وإذاعة ومحطة تلفازية.

وانطلق ماكس ورولف في مغامرتهما لصيد الجاغوار، قلقين، وسارا حتى آخر محطة للوقود على الطريق الممتد من لاباز إلى يانغاس، وصعدا على متن مركب الموز حيث جلسا بشكل متراص بجانب أربعة عشر هندياً من السكان الأصليين، بمن فيهم ثلاث أمهات يُرضعن

صغارهن الذين تتراوح أعمارهم بين أشهر قليلة وخمسة أعوام تقريباً، فالنساء البوليفيات يعتقدن أن أفضل طريقة لتحديد التسلسل هي إرضاع صغارهن أطول مدة ممكنة، لذلك لم تكن رؤية صغير في السادسة من عمره يرضع من صدر والدته أمراً غير عادي.

كان الهنود قد اصطحبوا معهم المأكول والمشرب، فتشاطروها مع رولف وماكس، متفحصين بعناية رداءيهما الشبيهين بملابس السكان الأصليين. كانت هناك نقاط تفتيش كل عشرين كيلومتراً تقريباً، ومع ذلك فإن مركب الموز لم يُطَيَّأ أبداً. كان السائق خوسيه معروفاً من قبل الهنود، وبدا أنهم يعتقدون أن لا سبب يدعوهم إلى تفتيش الشاحنة.

كانت الرحلة على متن الشاحنة إحدى الرحلات الأكثر إثارة التي قام بها رولف وماكس يوماً، وكان في الإمكان أن تكون الأخيرة ببساطة. فخوسيه يعرف كل بوصة من الطريق، ولكن المنحدرات شبه العمودية، والقنوات، والمنعطفات، قاسية جداً لدرجة أن أي شخص عاقل لا يحاول عبورها.

وفي الساعات الست التالية، قفز كل الركاب الآخرين من الشاحنة، وقصدوا منازلهم وقراهم الواقعة داخل جوانب الجبال التي اجتازوها.

فدعنا خوسيه ماكس ورولف للانضمام إليه في حجرة السائق، طارحاً عليهما أسئلة حول أميركا، ومشاطراً إياهما ما يعرفه عن بلده كارانافي وحبه لها. وعندما وصلوا إلى نقطة التفتيش العسكرية الأخيرة قبل دخول كارانافي، تمكن الجندي الشاب قيد الخدمة من ملاحظة أن ماكس ورولف راكبان غير عاديين. فحلّق إليهما مرتاباً، وطلب رؤية بطاقة هوية كل منهما. فسلم ماكس جوازَي السفر إلى الجندي المرتبك

الذي لم يسبق له أن رأى أجانب - أو حتى جواز سفر - في هذا المركز الثاني.

"إنها بطاقات هوية دولية، كذلك التي تستخدمونها هنا في بوليفيا، ولكنها أفضل". شرح ماكس.

ونظر الجندي إلى خوسيه الذي ابتسم وعبر عن رأيه بوضوح. "هذان الفتيان صالحان". قال السائق: "لقد رافقاني طوال الرحلة.

لن يتسببا بأي مشكلة، يا خورخي. لا بأس، دعهما يمران".

لقد ثبت أن الجندي متزوج بنسبية وخوسيه. وهكذا، عبر رولف وماكس نقاط التفتيش التسع والثلاثين، ونقطة التفتيش الأخيرة، داخل بوليفيا من دون أن يتم إيقافهما أو استجوابهما، متحذرين كل الاحتياطات الأمنية التي تتخذها الحكومة العسكرية البوليفية.

وأكمل مركب الموز طريقه إلى داخل بلدة كارانافي، وأنزل خوسيه ماكس ورولف عند المشرب الأقرب، وتوجه إلى منزله حيث زوجته وأولاده. وفي أثناء استمتاع المغامرين الشابين بالشراب والطعام، تبادل أطراف الحديث مع مالك المطعم الذي وعد بتدبير بندقتي صيد لهما وإرشادهما إلى أماكن وجود الجاغوار.

بعد انتهاء الحديث، أَسندا ظهرَيهما إلى كرسيَّيهما وراقبا محيطهما.

فبالرغم من كونهما وسط الدَّغل في أميركا الجنوبية، شعرا كما لو أنهما في الفيلم السينمائي جون واين وأيلد وست. كانت هناك أكواخ خشبية وضبعة على جانبي الطريق الرئيس الجاف والمكسوة بالغبار، إضافةً إلى ممر يرتفع ثماني أقدام تقريباً عن الشارع، وبصلح كرصيف. وعلموا أن الطريق يتحول إلى ممر في موسم المطر، لذلك أنشبت معظم المباني على ركائز درءاً للفيضانات.

وعندما أُنسى كل من ماكس ورولف كوب الشراب الثالث، اقترب منهما جندي بلباسه الرسمي، وألقى التحية عليهما، وتحدث إليهما بالإسبانية.

"إن ديتشي يريد رؤيتكما. هل يمكنكما القدوم معي؟". قال الرجل. لم يكن ماكس يملك أي فكرة عن الشخص الذي يتحدث عنه، وعندما أصّر على الجندي مستوحشاً، أعلمه هذا الأخير أن إن ديتشي يوازي المدير، ورئيس البلدية، وحاكم المنطقة، في آن معاً. فتكوّن لديه انطباع أنه لا يُفترض بأحد العبث مع إن ديتشي، لذلك كان عليه وعلى رولف إلغاء كوتي الشراب ومراقبة الرجل إلى كوخه الخشبي الصغير الواقع على الجانب الآخر من الشارع، والذي يُستخدم كمكاتب حكومية وسجن.

كان إن ديتشي رجلاً ممتلئ الجسم، مهيأً. وأول ما طلبه هو رؤية جوازي سفرهما اللذين تفحصهما بعناية. واستجوب ماكس بعد ذلك بمهذوء ومن دون انفعال. وعندما قيل له إنهما موجودان هناك لصيد الجاغوار، ابتسم وقال لهما إن الجندي سيقوم باصطحابهما إلى الفندق الوحيد في البلدة، وإنه سيحتفظ بجوازي سفرهما طالما بقيا في منطقة نفوذه.

مدرّكين تضاؤل مدّخراتهما المالية، قال رولف لماكس إنه يُفترض إخبار إن ديتشي أنهما ليسا مستعدين للذهاب إلى الفندق بعد لأنهما يرغبان في التعرف إلى البلدة أولاً. في الواقع، كانا يخططان للتخييم بجانب النهر وتجنّب دفع فاتورة الفندق، وهكذا كان.

لسموء الخط، وضع ماكس ورولف رداءيهما على كتيب ناحم عن حفر النمل، وعندما استيقظ النمل في صباح اليوم التالي، استيقظا أيضاً وكانا يعانيان من عدة قضمات كبيرة.

كان الصباح حاراً بضراوة. وفي أثناء عودتهما إلى البلدة لتناول الغداء ولقاء مرشدهما إلى الدُّغْل ومالك المطعم، التفت رولف إلى ماكس واعترف أنه فقد حماسه لرحلة الصيد بسبب الحر والقضبات.

"كان يجب علينا رؤية هذا الدُّغْل غير العادي، إضافةً إلى الكثير من الطيور والحيوانات النادرة". وأضاف: "لقد كان هذا هدي الرئيس حقاً. لم يكن صيد الجامغاوار من أولى اهتماماتي في الواقع، وميزانيتنا محدودة جداً. ربما يُفترض بنا العودة إلى لاياز فحسب، ومضية مزيد من الوقت في زيارة كوزكو وماتشوبيتشو".

"هو الحل المناسب لي أيضاً". أجاب ماكس.

وهكذا، عادا إلى البلدة مُحمَّرين قُبَعَيْهِمَا المكسيكيتين، ومتأبطَّين رداءَي البونتشو.

فطلباً طبقين أميركيين يحتويان على قطع لحم بقري صغيرة مقدَّمة مع أرز، وموز مقلي، وبيض، ونوع من القرنيات الوليفية. بالطبع، أُرْفق هذا الطبق بالعديد من أكواب شراب الشعير، وطلباً قهوة بوليفية دسمة بعد وجبة تناولها رويداً رويداً. وبينما كادا ينهيان كوبيهما الأولين، توقفت سيارة جيب بسرعة أمام المطعم، مُحدثةً سحابة كبيرة من الغبار.

وخرج منها جندي بلباسه الرسمي، ودخل، وتوجَّه نحو طاولتهما. "يبدو أن هناك بعض الشواطي في أوراكاما الشبوتية". قال بفظاظة: "يريد الملازم أول التحدث إليكما في التكنة العسكرية".

فنظر ماكس إلى رولف للتحقق مما يُفترض القيام به أو قوله. وابتسم رولف ودعا النادل إلى القدوم وسكب كوب ثانٍ من القهوة له.

وطلب ماكس كوباً ثانياً من القهوة، غير عَالِمٍ بما يتوجب القيام به، والتفت إلى الجندي.

"دعنا ننهى وجبتنا فقط، وسنذهب إلى هناك".

فغادر الرجل ذو اللباس الرسمي، وطلب رولف بعد عشر دقائق كوباً آخر من القهوة. وحذا ماكس حذوه.

"يا رولف، ماذا سنفعل؟". سأل ماكس بعصبية وتابع: "لا أستطيع تناول كوب رابع من القهوة، وأعتقد أن صبر أولئك الجنود في سيارة الجيب قد نفذ بسبب انتظارنا".

"لا تقلق". أجاب رولف بثقة وقال: "سينتظرون قدر ما يكون عليهم الانتظار. كنت في القوات المسلحة في هولندا، وهذا أمر مسلَّ بالنسبة إليهم. قد يكون الملازم أول راغباً فقط في التحقق من مخططاتنا بما أننا لم نلازم الفندق ليل أمس".

وهكذا، دفعاً فاتورتهم على مَهْل وتوجهوا إلى الجهة الأمامية من المطعم حيث كان لا يزال أربعة جنود بلباسهم الرسمي جالسين في سيارة الجيب وبجانبيهم بنادق ثقيلة.

كانت الشمس لا تزال في كبد السماء، وكان الطقس حاراً. فحدَّق رولف إلى الطريق الوعر المكسو بالغبار، وتبع صديقه.

"ماكس، قل لهم إننا بحاجة إلى السير بعد هذه الوجبة الكبيرة. في استطاعتهم أن يتبعونا بسيارة الجيب، ولكنني أعلم أننا سنشعر بحال أفضل إذا سرتنا مسافة ميلين وصولاً إلى التكنة من دون أن نُضطر إلى الجلوس بشكل مترصٍّ في ذلك الجيب غير المريح".

ونقل رغبة صديقه إلى القائد الذي كان ينتظر بصبر، وعندئذٍ أدرك ماكس أن الأمر لم يُعد مجرد لعبة.

فأصدر القائد أمراً، وقفز الجنود الأربعة خارج الجيب، وصَوَّبوا بنادقهم باتجاه رولف وماكس.

"ستدخلان الجيب، وستدخلانه الآن". قال لهما القائد بصوت مرتفع وجازم من دون أن يكون في إمكانهما إبداء أي اعتراض. فشرع

ماكس بالخوف، ولكن رولف استمر في الاعتقاد كما يبدو أنها دُعاة كبيرة.

"استرخ". قال: "هذا ما دُرّبوا على القيام به. لن يطلق علينا أحد النار في الواقع". وابتسم، وصعدا إلى الجيب.

لم يتطلبهم الأمر سوى خمس دقائق للوصول إلى الثكنة العسكرية، وهو المركز الأمامي الأكبر حجماً في يانغاس. كان هناك أكثر من أربعمئة رجل، ولكنهم بدؤوا أقل عدداً في ذلك الوقت بالذات.

وعندما رحّب بهما ملازم أول شاب لدى وصولهما، سأله ماكس عن بقية الرجال. فشرح له الملازم أول أنهم يتعقبون آخر أفراد ثوار تشي غيفارا. وكانت كل المنطقة قد أغلقت بوجه الأجانب يوم قفز ماكس ورولف إلى متن مركب الموز، وهو الأمر الذي لم يعرفا به بفضل إضراب وسائل الإعلام. ولدى سماع هذه الأنباء، تبادل ماكس ورولف نظرات قلقة من دون أن يقولوا أي شيء.

كان الملازم أول شاباً أنيق المظهر وعفويّاً. لقد اعتذر عملياً بسبب اصطحابهما إلى هناك في أثناء وجود كل كبار الضباط مع الجنرال في حملة البحث عن المتمردين. وقال إنه بالرغم من كل شيء سيكون لهم شرف القيام بهذه الاعتقالات الأخيرة.

وشرح أن لا وجود لسجن رسمي لديهم، لذلك سيضع ماكس ورولف تحت الحراسة في مساكن الضباط حيث سيمضيان الليل. وأعلمهما كذلك أنهما سيتناولان العشاء معه ومع زوجة الجنرال في ذلك المساء بما أنها الطريقة الأكثر ملاءمة لمراقبتهما.

وبسبب قُبُوعتهما المكسيكيتين وغطاءيهما المبهرجين، بدا كما لو أنه يصدّق ما قالاه عن نفسيهما في الواقع، إنهما سائحان لم يسلكا

الطريق المعهود، وتمكنّا، عن غير عمد، من تجنّب ثلاث وتسعين نقطة تفتيش منفصلة.

ولكنها قصة يصعب تصديقها، وبما أن كبار الضباط كافة موجودون خارج الموقع، كان خياره الوحيد أن يبعث برسالة بشأهما إلى القطاع الخامس، القطاع الأمني الأعلى في مقر قيادة القوات البوليفية المركزية المسلحة في لاباز. وطلب تلقّي الأوامر بشأهما. قال إنه سيُعلمهما بمصيرهما في أثناء العشاء.

على جانب الطريق، لاحظ رولف وجود بعض ملاعب التنس الجميلة المخصّصة للضباط كما يبدو. وطلب من ماكس أن يسأل الملازم أول عما إذا كان في الإمكان لعب التنس في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم. فمنح الملازم موافقته لأنه لم يجد سبباً للاعتراض. وبالتسوية، وبعد فترة قصيرة، كان هناك حارسان يتبعان كرات التنس في حين أبقى الآخرون أسلحتهم مصوّبة نحو ماكس ورولف لضمان عدم حدوث محاولة للفرار.

في وقت متأخر من مساء ذلك اليوم، وفي أثناء تناولهما إحدى الوجبات اللذيذة التي لم يسبق لهما أن تناولوا مثلها، وبعد أن تبادلّا أطراف حديث مشوّق مع زوجة الجنرال، أرشدهما الملازم أول إلى المكان الذي سيمكثان فيه.

"يشك القطاع الخامس في صحّة روايتكما". أوضح متابعاً: "لقد طلبا مني أن أرسلكما إلى لاباز صباح يوم غد ليمكنوا هناك من استجوابكما بالطريقة الملائمة. ما دام يتم التحقق من روايتكما، فلا شيء يدعوكم إلى القلق".

"حسنًا، لسنا جاسوسين بالتأكيد". أكد ماكس قلقاً.

"أعرف ذلك". اعترف الملازم: "سأرسل راوول معكما كمراقق لكما على متن حافلة الساعة السادسة صباحاً المتوجهة إلى لا باز. ستكون الرحلة مجانية، ولكن يتعين عليكما شراء الطعام على حسابكما".

ونحس عن كرسية.

"لقد استمتعنا بتناول العشاء معكما، وأمل أن يسير كل شيء بشكل جيد في لا باز". قال الملازم.

وفي أثناء مغادرتكما، رمق رولف ماكس بنظرة ساخرة.

"راو، إن التكلفة أقل بدولارين مما دفعناه للوصول إلى هنا". علّق قائلاً: "لا يمكنك الحصول دائماً على رحلة مجانية!".

كان ماكس أقل ثقةً بكون هذه الرحلة مجانية، ولكنه ابتسم وأبقى معنوياته مرتفعة.

ومع ذلك، صعب عليه النوم.

ثبت أن الرحلة على متن الحافلة وقّرت لهما راحة أكبر مما كانت عليه حالهما على متن مركب الموز، وتوقفا في بلدة صغيرة، وتناولوا الغداء. لقد مُنحا فرصة الاختيار من بين أصناف الترويت الصغيرة التي تسبح في برك طبيعية بين الصخور على امتداد النهر، وشوّيت بعد ذلك. كان مذاقها رائعاً، وشعر الجندي راوول بسعادة غامرة بما أن تعيينه كمراقب لهما منحه فرصة الحصول على إجازة لمدة ثلاثة أيام بمضيه في لا باز حيث يكون في استطاعته زيارة خطيبته.

لقد سار كل شيء بشكل جيد حتى وصلت الحافلة إلى لا باز، وقام راوول بتعريفهما إلى خوان، مرافقهما الجديد إلى القطاع الخامس. كان خوان لائقاً، ولكن من الواضح أنه لم يكن يصلق قصة القبتين

المكسيكيتين، والغطاءين الملوّتين الرّاقين. ورافق ماكس ورولف إلى سيارة جيب عسكرية فيها سائق وجندي مسلّح.

عند الرابعة من بعد الظهر، وصل الغريبان إلى القطاع الخامس. فأخرج رولف آلة التصوير الصغيرة من طراز مينولتا، وبدأ بالتقاط الصور، ولكن جندياً أخذها من بين يديه وأدخلهما إلى غرفة كبيرة قبل أن يتمكن من الاعتراض. وقيل لهما إن الجنرال أناهولا سيلتقيهما ما إن يفرغ من عمله.

عند التاسعة مساءً، شعرا بالجويع. فسألا خوان إذا كان في إمكانهما تناول الطعام، وتفاعلاً عندما أمر الجندي بمرافقتهما إلى نادي الضباط حيث قال لهما إن في استطاعتهما طلب وجبتي طعام، علماً أنهما سيدفعان لهما.

بعد نزهة قصيرة سيراً على الأقدام من قسم الاعتقال، توقفا أمام مبنى عسكري يصعب تصنيفه. وعندما دخلا، أذهلت أنيقة نادي الضباط كلاً من ماكس ورولف. كان يشبه نادي ضباط إنكليزي بطاولاته الخشبية قائمة اللون، وزخرفته التي تنم عن حُسن ذوق، وتوجد فيه ثمان طاولات فقط، ولا عيب في الخدمة مع وجود أربعة نذل. كان متناولو العشاء يشغلون ثلاث طاولات، ولكن آيّا منهم لم يجد أنه من الحكمة الدخول في أي محادثات في الظروف الراهنة.

في أثناء تناول الوجبة، استبدل خوان مرافق جديد، خورخيه. وعند انتهاء الوجبة، كان رولف لا يزال يعتقد أن الأمر ليس سوى ممارسة عسكرية مريحة، واقتراح على ماكس أن يشرح لهما "ضيوف" الجنرال أناهولا، وأن هذا الأخير سيرفع عنهما الحراسة المشددة. وشرح ماكس الأمر بالرغم من عدم اقتناعه بجلدوى ذلك وقدرته على الحكم

على واقع الأمور بشكل أفضل، فابتسم النادل واستمعا بوجعتهما
المجانيتين قبل أن يعيدهما خورجيه إلى قسم الاعتقال.
كانت الساعة قد قاربت الحادية عشرة، ولم يظهر الجنرال بعد.

* * *

شاعراً بالسأم والتعب، حلّ الاضطراب والقلق على مشاعر
رولف وقضياً على مرحه المتواصل الذي يعبر عنه بعبارة هذه هي
الحياة. وأصبحت لكنته المولندية أقل وضوحاً وأصعب على الفهم.
"يا ماكس، اسأل خورجيه إذا كان في استطاعتنا الاتصال
بالفئصليتين المولندية والأميركية والتحقق مما إذا كان في إمكانهما
مساعدتنا". قال، وبدا الإجهاد في صوته. "لا نريد تمضية الليلة في
السجن، لا بد من وجود مخرج لذلك".

"يا سنينور، هل نستطيع إجراء مكالمات هاتفية؟". سأل ماكس
خورجيه. كان الجندي يجلس وراء مكتب في منطقة الانتظار حيث
احتجزوا في الساعات الأخيرة، وهناك هاتف على مرأى منهما.
"دعني أسأل النقيب موراليس، وأتحقق مما إذا كان يُسمح لكما
بذلك". أجاب خورجيه.

مُنحت الموافقة بعد خمس دقائق، وكان عند الطرف الآخر من
الخط الهاتفى موظف في الفئصلية الأميركية.

"ذهب القنصل إلى المنزل منذ ساعات". أبلغ الموظف ماكس:
"سيكون وضعك أول أمر أطرحه عليه في الصباح، ولكنني لا أستطيع
القيام بأي شيء هذا المساء".

وهكذا، أمى الموظف المكالمات الهاتفية.

من جهة أخرى، وعندما اتصل رولف بالفئصلية المولندية، تم
تحويله على الفور إلى منزل الدبلوماسي. فتحدثت القنصل المولندي

إلى كبير الضباط في مركز الاعتقال، النقيب موراليس، وتمكّن من نقل
رولف وماكس إلى عُهدة الفئصلية المولندية. وقال أيضاً إنه يتعهد بعدم
محاولتهما مغادرة بوليفيا حتى حل قضيتهما.

في غضون خمس وأربعين دقيقة - قبل منتصف الليل تماماً -
وصل القنصل المولندي بنفسه إلى القطاع الخامس، ووقع المستندات
المطلوبة، وتمت مواكبة رولف وماكس إلى فندق متواضع حيث بقي
جندي من القوات المسلحة البوليفية عند باب غرفتهما لضمان عدم
حدوث أي محاولة للفرار.

في صباح اليوم التالي، تمّ إيقاظهما عند السادسة واصطحبهما إلى
القطاع الخامس. وبعد فترة انتظار دامت ساعة ونصف، استدعى
الجنرال أناهولا ماكس.

دخل ماكس غرفة صغيرة تحتوي على مصباح كهربائي واحد
متدلي من السقف؛ كما شاهد في الأفلام السينمائية القديمة التي يجب
مشاهدتها. كان مستعداً للأسوأ، لا بل للتعرض للتعذيب أيضاً، ولكن
آلة التعذيب الوحيدة لم تكن سوى آلة كاتبة يدوية قديمة موضوعة على
طاولة، وتحدثت ضحيجاً مزعجاً كلما تم استخدامها.

كان الجنرال جالساً إلى الآلة الكاتبة، وشرع على الفور بطرح
أسئلة عليه.

"كم مضى على كونك عضواً في الآن آل أف؟". سأل.

"ما هي الآن آل أف؟". أجاب ماكس بتيّة صافية.

"جبهة التحرير الوطنية". أجاب الجنرال: "أولئك الذين يدعمون
تشي غيفارا وحيواناته".

"لا، أنا لست عضواً في تلك المجموعة. حتى اللحظة، لم أكن
أعرف بوجودها".

"إذا، لا بد من أنك عضو في السي أي أيه". قال الرجل العسكري بفظاظة.

"لا". أجاب ماكس، محاولاً المحافظة على ثبات نبرة صوته: "لا أظن أنني بلغت سنّاً كافية تمكّني من الانضمام إلى السي أي أيه، ولما انتسبتُ إليها على كل حال".

"ما حزبك السياسي؟". سأل الرجل.

"لا أزال صغير السنّ للمشاركة في انتخابات الولايات المتحدة، ولكنني لو كنت أكبر سنّاً لانتسبتُ إلى الحزب الديمقراطي".

واستمر الاستجواب لمدة سبع ساعات، وتناول كل لحظة أمضاها ماكس ورولف، وتطرّق إلى كل حافز ممكن. ودُكر في التقرير كل شخص؛ بدءاً بالمسؤول البوليفي الأعلى في الفصيلة في أريكويا وانتهاءً بنادل المشرب في كارانافي.

بعد انتهاء الساعات السبع، كان الجنرال أناهولا قد أعدّ مستنداً من صفحتين لا يحتوي على أي سطور فارغة بين سطر وآخر، ويتطرّق إلى أربع وأربعين نقطة. فقرأ ماكس المستند ووقع عليه، مؤكداً أن كل ما كُتب هو اعتراف صحيح وحقيقي.

ويسود المستند بالتحديد كيفية انسلال ماكس ورولف عبر الأجهزة الأمنية، وكيفية عملهما مع مشروع الصداقة، واتخاذهما قراراً باستقلال حافلة كوكليكتيفر من بونو، ومصادفتهما أرشيبالد بنسن في الشارع في لاباز، وتفصيل رحلتهما غير المحتملة كافة لصيد الجاغوار.

لقد وجد ماكس صعوبة في تصديق ما دُوّن، ولكنه وقّع المستند وعاد إلى غرفة الانتظار، مرهقاً، حيث كان رولف ينتظره بقلق حاملاً آلة التصوير الصغيرة من طراز مينولتا. وبدا الاضطراب على وجه

رولف، وشرح قائلاً إن التقاط صور للسكان المحليين والحيوانات في الدُغل هو الذي أفسد الأمور.

لم يكن ماكس متعاطفاً معه كثيراً؛ لقد أرهقته ساعات الاستجواب السبع. وحن دور رولف، ولكن الاستجواب لم يذم سوى خمس دقائق، وعاد بانتسامة واسعة على وجهه.

"ماذا حدث؟". سأل ماكس غير مصدّق.

"حسناً، كما تعلم، إن لغتي الإسبانية غير جيدة. لذلك، سألوني فقط عما إذا كان كل ما قلته صحيحاً. فقلتُ ماكس لا يكذب أبداً، ووقعتُ على اعترافك نفسه".

بالرغم من التوقيع على "اعترافهما"، أبقى ماكس ورولف تحت المراقبة العسكرية طوال سبعة أيام. وسُمح لهما بتمضية ليلتهما في الفندق، ويقوم مرافق عسكري بإيقاظهما عند السادسة من صباح كل يوم، ويُعيدهما إلى القطاع الخامس لمزيد من الاستجواب.

وماكس هو الوحيد الذي خضع للاستجواب في الواقع، ولم يتم إدخال رولف معه إلى غرفة الاستجواب.

لقد تم التحقق تكراراً من كل تفصيل في روايتهما، فأجري اتصال بالفندق في لاباز، وتبيّن أنه لم يكن لديه أي سجل يشير إلى نزولهما فيه. وأرسل محققون إلى أريكويا، وكوباكابانا، وكارانافي، للتحقق من كل تفصيل، واسم، و"مصادقة".

في الليل، كان في استطاعتهما الذهاب إلى المكان الذي يختارانه، بما أن الاثنين قد كفلهما الفصلاان الهولندي والأميركي، ولكن تحت الحراسة. وذهبا ذات مساء لحضور مباراة في كرة القدم، وكان المرافقون التسعة مسرورين جداً بذلك، وقد حضروا كلهم في الوقت

نفسه - بالرغم من تناوهم - للتأكد من أن ماكس ورولف لن يحاولا الفرار.

لقد تمكنوا بالصدفة من الاستمتاع بالمباواة الكبيرة ضد بيرو المجاورة.

في نهاية الأسبوع، وبعد أن عجز المحققون العسكريون عن العثور على أي ثغرة في تأكيد الموقوفين الأحتيين المذهل بالرغم من عدم احتمالية حدوثه، أبلغا أنهما يملكان حرية الذهاب في صباح اليوم التالي، وأنه سيتم اصطحابهما إلى محطة الحافلات ونقلهما إلى تياهوآناكو، وهو الموقع الصوفي القديم، ووضعهما على متن مركب يُقلّهما إلى بينو في البيرو حيث يُعاد إليهما جوازا سفرهما عندما ينزلان من المركب. وتمّ تعيين ضابطين عسكريين لمرافقتهما في المرحلة الأخيرة من مغامرهما البوليفية.

كان الضابطان مسرورين بهذا التعيين لأنهما رافقا ماكس ورولف في زيارتهما إلى الأطلال العائدة لحضارة الإنكا في تياهوآناكو. وبعد انقضاء أسوأ ما في "مغامرتهما"، انتاب ماكس شعور بالارتياح عند الأطلال، إضافةً إلى شعور بالعجب. كان قد قرأ عن فيراكوشا سيد الشمس القديم، الذي يُعتقد أنه خرج من مياه بحيرة تيتيكاكا المجاورة وابتدع حضارة أول شعب أصلي.

وأطلال تياهوآناكو هي نُصب تذكاري لهذا المعلم والقائد العظيم، وتسرد الأساطير حول وصوله ومغادرته. وتمتاز الأطلال بطابع فريد كما لو أن الصخور نفسها لا تزال تنفث الدروس القديمة لفيراكوشا الأسطوري.

وأكد الضابطان أنهما يصدّقان الأساطير القديمة والاعتقاد المحلي أن بحيرة تيتيكاكا ومياهها المجددة للشباب والنشاط هي مهد البشرية.

وهناك أيضاً من يعتقد أن البحيرة ستغدو مجدداً في الأزمنة القادمة مركز القوة الروحية للكوكب بأكمله، مبشّرين بعصر جديد للبشرية.

بعد وصولهما إلى مكاتب مراقبة المحجرة في البيرو، رحّب بماكس ورولف مسؤولان رسميان مبتهمان كانا يحملان جوازَي سفرهما. "نحن في انتظاركما. أهلاً وسهلاً بكما في البيرو". وسلّمهما جوازَي السفر، وقد خُتمت على الطابع البوليفي عبارة "شخص غير مرغوب فيه"، وكان يوجد تحتها ما يوضح بالإسبانية أن هذين الفردين المريّين غير مرغوب فيهما كزائرين إلى بوليفيا في أي ظرف من الظروف.

شخص غير مرغوب فيه

نيسان/إبريل 1973

عندما بلغ ماكس الثانية والعشرين من عمره، تخرج من يال، وبدأ العمل في شركة النشر التابعة لوالده، وأصبحت مغامراته البوليفية مجرد ذكرى ماثرة.

وسمح له العمل بكسب المال وتعلم القواعد والإجراءات المعمدة في عالم النشر. لقد تعرض والده لنوبة قلبية طفيفة سمحت لماكس بالتقرب منه بشكل وثيق.

كان قد عمل لدى والده مدة تسعة أشهر عندما تولى مهمة إعادة كتابة وتطوير كتاب الاستعداد للاختبارات بعنوان: "كيف تُحجز نقاطاً عالية في اختبار دخول كلية الطب؟"، مستمراً في النجاح الذي حققه والده في ميدان مساعدة الطلاب على اجتياز طريقهم إلى النجاح. لم يكن ماكس يعرف شيئاً عن الطب، ولم يسبق له أن حضر أي مقرر دراسي في هذا الشأن بعد المدرسة الثانوية، ولكنه يعرف كيفية إجراء بحث إضافة إلى الكثير عن إعداد الاختبارات.

كان يُقيم آنذاك في نيويورك، كونكتيكت، ويتوجه كل يوم إلى المكتبة العامة للشروع بعمله اليومي. وعند الظهر، يكون جاهزاً للاستراحة.

وبما أن "الوأي أم سي أيه" موجودة في المبنى المجاور، ويقوم دوري كرة القدم بالبحث عن لاعبين جدد، عمد ماكس إلى التسجيل. عندها التقى بجورج هاردي، وهو منتج أفلام مستقل وكاتب. وبالرغم من كون جورج أكبر سناً منه بعشرين عاماً، كان لاعباً كفواً وتنافسياً، وأصبح وماكس خصمَيْن وشريكَيْن في المباريات الثنائية بشكل منتظم. كان ماكس يتطلع باستمرار إلى لعب كرة القدم مع جورج في "الوأي أم سي أيه"، وتخضية بعض الوقت في التحدث بعد كل مباراة، فيشاطره ماكس شغفه بأميركا اللاتينية، والثقافة، والشعب، واللغة، ويُظهر حماساً بالغة لدى سرد خبراته لجورج الذي لم يكن التأثير فيه أمراً سهلاً، ومع ذلك فقد كان يُؤخذ بحماسة الشباب لدى ماكس.

لقد وافق جورج على إنتاج فيلم مؤسسة رالف كوهين برودكشنز بعنوان البحث عن ألفاز قديمة، وكان يبحث عن شخص يساعده لاستكشاف المواقع في أميركا الجنوبية. لقد أعجبه ماكس بسبب تمتع هذا الأخير بمناقجية جيدة في العمل، وإجادة اللغة الإسبانية، ومعرفة بثقافة أميركا الجنوبية.

"ما الأمر؟" قال ذات يوم: "إنها ليست عملية جراحية في السماغ". وهكذا، عرض جورج العمل على ماكس في غرفة الخزائن بعد مباراة اتخذت طابع المنافسة بصقة خاصة.

"هل سمعت يوماً بإريك فون دانيكن وكتابه البحث عن روّاد الفضاء القدماء؟" سأل بينما كانا يرثشفان معاً القهوة.

"لا". أجاب ماكس بصدق. "إنه الشخص الذي يعتقد أن روّاد فضاء قادمين من الفضاء الخارجي استوطنوا الأرض طوال آلاف السنين، وكانوا سبب أحد ألفاز الحضارات القديمة التي لا يمكن تفسيرها. لقد شرح رود سرلينغ

في برنامج خاص على شاشة الأن بي سي مضمون كتبه. فالعديد من المواقع التي ذكرها موجودة في أميركا الجنوبية، وأعتقد أنك خيار جيد للمساعدة على اختيار لائحة بمواقع خاصة بالفيلم. هل تعتقد أنك ستكون مهتماً بالأمر؟". سال جورج.
من دون تردد، اغتمت ماكس الفرصة.
"بالتأكيد، يبدو الأمر ممتعاً". أجاب.

في اليوم التالي، قام جورج بتسليم ماكس موجزاً عن الفيلم مؤلفاً من أربع عشرة صفحة، إضافة إلى لائحة أولية عن المواقع التي تتضمن تياهاواناكو في بوليفيا، وكوزكو في البيرو، وأماكن أخرى غير عادية تنبهي بالغاز لا يمكن تفسيرها، وتشير إلى احتمال وجود رواد فضاء من كواكب أخرى على الأرض في الأزمنة القديمة.

كان جورج صريحاً تماماً حول تقلب مفهوم الفيلم.
"ما نكتشفه قد لا يكون على مستوى الآمال". قال: "ليس هناك ما يثبت أن فون دانيكن على صواب، أم أنه يصدق الأمر".
"حسناً، بعد أن أطلعتني على نظريته، أطلعت على كتابه في المكتبة، وعليّ القول إن قسماً كبيراً من محتوياته بعيد الاحتمال على الأقل، هذا إذا لم تكن هناك أمور ملفقة بشكل كامل". أسرّ ماكس.

"إذاً، حسناً، أعتقد أن هذا المشروع لا يثير اهتمامك". قال جورج بنبرة تنم عن خيبة أمل.

"لا، بل العكس تماماً، أحده مشروعاً فائتاً، ويسعدني أن أساعدك. أحب استكشاف الألغاز القديمة والحضارات القديمة. إن العمل معك مثير للحماسة".

"عظيم!". أجاب جورج: "سيكون راتبك الأساسي 125 دولاراً في الأسبوع، وأعتقد أنك ستقوم بعمل رائع. وبالإضافة إلى اختيار فريق العمل ووضع لائحة بالمواقع، أنا بحاجة إليك أيضاً للإعداد لإدخال فريق عملنا وتجهيزنا إلى كل من البلدان التي نخطط لتصوير الفيلم فيها. هل تظن أن في استطاعتك القيام بهذا الأمر؟".
"بكل تأكيد". أجاب ماكس بثقة.

وهكذا، طلب إحجازة من دار نشر الكتب التابعة لوالده للتغيب عن العمل، وكرّس نفسه للمشروع بحماسة. وبدأ البحث الأساسي، وقرأ في غضون أربعة أسابيع كل موضوع نشرته *النشويونال جيوغرافيك*، ووضع لائحة بالأماكن المرتبطة بالغاز والمواقع القديمة في بوليفيا، وإنكلترا، وسوريا، وفلسطين المحتلة، واليونان، والهند، واليابان.

وعندما التقيا، أعجب جورج بما أنجزه ماكس حتى ذلك الحين، وعرض عليه منصب منسق الإخراج في المشروع، مما يعني أنه سيشترك في أعمال التصوير اليومية في البلدان كافة. ورفع جورج الأجر الأسبوعي لماكس إلى 150 دولاراً.

فحاةً، وصل خير تقدم موعدهم الشروع بتصوير البحث عن الغاز القديمة. سيكون عليهم مضاعفة جهودهم ليكونوا مستعدين للمواعيد الجديدة ووصول الفريق الجديد.

"هل يمكنك الذهاب إلى البيرو خلال الأسبوعين التاليين؟". سأل جورج ماكس.

في الواقع، كان ماكس مستعداً للذهاب، ولكن هناك مشكلة. لم يتسلم الأذونات الضرورية من السفارات التي تسمح لهم بالتصوير في الدول المعنية.

ولم يبدُ جورج شديد القلق، وقد عبّر عن ثقته أن كل شيء سيجري في الوقت المناسب، وهو أمر فاجأ ماكس ولم يكن واثقاً من ذلك، فتوجّه إلى ليما والبيرو بعد أيام وحجز في فندق شيراتون، وهو الأكبر والأفخم في ليما.

لقد ثبت أن جورج يحافظ على رفاهيته باستمرار في أسفاره (فنادق من الدرجة الأولى، وأفضل المطاعم...)، وكان يتوقع أن يعامل فريقه بالطريقة نفسها. لقد علمته سنوات في ميدان الأعمال الترفهية، كما قال لماكس، أن فريق عمل مكثيفاً يؤدي إلى فيلم ناجح.

وعما أن ماكس عضو في الفريق - مستطليح - فقد جنى فوائد المساكن الفخمة. ولكن كان لا يزال يتعين عليه القيام بمهمة عسيرة؛ يصل بقية أفراد الفريق في غضون خمسة أيام، ويتعين عليه التأكد من تلبية متطلباتهم كافة.

ومثلت الخطوة الأولى بقاء السكرتير الثاني لوزير الشؤون الثقافية البيروني، السنيور ألتامونتانا، ولكن الأمر لم يجر بشكل جيد. كان ألتامونتانا قصير القامة، يضع نظارة، ويتمتع بطاقة كبيرة. وعندما رُحِبَ بماكس، بدا كما لو أنه لا يعرف شيئاً عن إنتاج الفيلم.

فصعق ماكس، ولكنه استعاد تركيزه بسرعة.

"ولكن، ألم تستلم رسالتي؟". قال: "لقد أرسلتها منذ أكثر من أسبوعين".

فأجاب السكرتير الثاني للوزير قائلاً إنه لم يستلم الرسالة، وحتى ولو استلمها فإن الأمر يتطلب اثني عشر أسبوعاً للحصول على الموافقات المطلوبة وانتهاء الإجراءات الجمركية للسماح للتجهيزات بالدخول وتصوير الفيلم.

بازياد قلق ماكس، شرح ألتامونتانا بدهوء قائلاً إن القانون الجديد وُضع في ذلك العام لحماية صناعة الأفلام البيروفية.

"لن تكون هناك أي استثناءات". قال السكرتير الثاني لماكس بنبرة الأمر الواقع.

فشعر ماكس بالإرباك.

ماذا الآن؟ قال في نفسه، مفكراً في حلول سريعة.

في تلك اللحظة، دخل مساعد السكرتير الثاني الغرفة حاملاً كدسة صغيرة من المغلفات على صينية فضية؛ البريد اليومي.

هناك، وفي أعلى الكدسة، رأى ماكس شيئاً مألوفاً: الرسالة التي كان قد أرسلها مع مزيد من الطوابع البريدية ليتم تسليمها بسرعة. "ها هي رسالتي". صاح ماكس فرحاً: "رجاء، افتحها فحسب. ستجد كل ما تحتاج إلى معرفته هناك".

وبالرغم من ظهور أمارات الارتباك على وجهه، فتح السكرتير الثاني المغلف، وقرأ الرسالة المطبوعة تحت شعار فيوتشر فيلمز.

لقد تأثر السكرتير الثاني بتوقيت تسلّم الرسالة والتأكد من قانونية المشروع، ولكنه تشدد بشأن استحالة منح الإذن خلال هذه المدة القصيرة. فشرح لماكس قائلاً إن اللجنة الخاصة بالشؤون الثقافية ستكون بحاجة إلى الاطلاع على نص الالتماس. وكرّر أن شهر أيلول/سبتمبر سيكون أقرب تاريخ للنظر في الطلبات المقدمة.

كان ذلك الشهر شهر حزيران/يونيو.

"ولكن فريقتي سيصل في غضون خمسة أيام". قال ماكس معترضاً. "أيّ يكن الظرف، لن يُسمح لأعضاء الفريق أو لتجهيزاتهم بالدخول". أحاب ألتامونتانا بحزم: "لذلك، من الأفضل لك أن تعلمهم بعدم القدوم".

وانتهى الاجتماع، وخرج ماكس مغتمًا. لقد بدا أن نجاحه الباهر والفرحاني في مهنة البرامج التلفزيونية انتهى قبل أن يبدأ.

كان من المقرر أن ينضم إليه جورج في ليما، ولكنه لم يستطع انتظار وصوله. فالتصل على الفور بأحد المنتجين، دان براندون، في لوس أنجلوس وقال له: "هناك مشكلة".

"لا تقلق". أجاب دان مبتهجًا، وغضن ماكس جبينه مُربكًا. "لقد استبقنا اضطرابنا إلى تسريع جدول الأعمال وإمكانية مواجهة مشكلة مع المسؤولين البيروفيين. لحسن الحظ أن جوليان جاسير من يو أس سي هو أحد أصدقاء ألف كوهين المقرين".

فلم يعرف ماكس الاسم، وأضاف دان. "كان جوليان في فريق السباحة وشارك في الألعاب الأولمبية. إنه عنصر جيد، ويدير صناعة الأفلام في البيرو، حتى إنه يملك شركة الحافلات الرئيسية في ليما وعدده من المؤسسات الأخرى. لقد وافق على لقاءك. هو يقيم في ميرافلوريس وينتظر على الغداء".

بالرغم من ابتهاجه بقدر ابتهاج دان بسبب هذا الأمر، كانت لا تزال لدى ماكس شكوك قوية عندما أُنهِت المكالمات الهاتفية. قد يكون جوليان "شخصاً قوياً" ومنتج أفلام مقتدرًا، ولكن مساعد السكرتير الثاني لوزير الشؤون الثقافية البيروفي كان واضحاً، يتطلب الأمر الحصول على موافقات، والتقدم بنموذج عن السيناريوهات، وانتظار اثني عشر أسبوعاً على الأقل.

مع ذلك، كانت ميرافلوريس بمثابة بغري ليما، لذلك، سيحظى ماكس على الأقل بغداء تمتع.

وعندما وصل إلى ملكية جاسير، استقبله خادم منزلي يرتدي ثياباً لا عيب فيها، ورافقه إلى البستان حيث يجلس جوليان إلى مائدة

غداء أنيقة مع زوجته وابنته، وقد وُضعت عليها زهور وأوان خزفية صينية، وكان البستان مليئاً بأشجار الفاكهة وبعدد كبير من مشاتل الزهور المزروعة بطرائق غير عادية.

كان جوليان شخصاً ضخم البنية ومبتهجاً. فنهض وعانق ماكس وعرفه إلى عائلته.

كان الطعام ممتازاً والمحادثة لطيفة ومليئة باقتراحات حول المشاهد التي يُعتقد أن ماكس سيلتقطها في ليما. وبالرغم من قلقه حيال وصول فريق التصوير، بدأ ماكس بالاسترخاء في الواقع.

وبعد الغداء، انتقلوا إلى بناء مُطلّ في جزء آخر من البستان، حيث تطلّق جوليان إلى الموضوع الرئيس.

"ليس عليك القلق". قال مبتهجاً: "لقد اهتممتُ بكل شيء. لن يواجه فريق عملك والتجهيزات أي مشاكل تتعلق بالحصول على إذن للتصوير".

فصنّع ماكس.

"ولكن، هل هذا ممكن؟ لقد غادرتُ مكتب مساعد الوزير منذ ساعات قليلة فقط، وأُبلغت أن القانون الجديد لن يسمح بأي استثناءات".

فكشف جوليان أنه من وضع قواعد وقوانين تصوير الأفلام بنفسه، وأنها وُضعت بشكل أساسي بحيث تحميهِ وتحمي أصدقائه. وبما أن ريتشارد كوهين هو صديقه، اتفقا على أن يكون فيلم البحث عن ألفاز قديمة إنتاجاً مشتركاً مع جاسير بروداكشنز.

وهكذا، فقد غدا إنتاجاً بيروفيًا ولن يخضع لأي قوانين جديدة. وأضاف أنه قد تكون هناك مشكلة صغيرة مع الجمارك بسبب وجود قانون وطني يقضي ببقاء تجهيزات ماثلة أسبوعاً على الأقل في عزلة إلزامية درءاً لأعمال التهريب.

بدأت الرحلة بالحب

حزيران/يونيو 1973

تنزل ماكس من الطائرة في تروجيلو، واستقل سيارة أجرة إلى الفندق المحلي. فبالرغم من الحجم الأكبر للمدينة في شمال البيرو، كانت تروجيلو لا تزال تستعيد حياتها الطبيعية بعد الزلزال، ويوجد فيها فندق فخم رئيس واحد.

بعد تسجيل اسمه، كشف ماكس عن مهمته لموظف الفندق الذي يدعى نخوسيه، وسأل عن مدى بُعد الحرم القديم والأطلال. كان نخوسيه سعيداً جداً بتقديم المساعدة، ولم يمض وقت طويل حتى وصلت سيارة الأجرة لاصطحاب ماكس في مهمة لاستكشاف هرم هواكا دي لا لونا، أو معبد القمر.

في أثناء تجوله في هذا البناء الضخم الذي يحيط به الغموض، وعلى بُعد ميلين ونصف فقط من المدينة، دنا من ماكس عدد كبير من "علماء الآثار المسواة"، وعرضوا عليه شراء ذخائر قديمة مُبجَّلة ومنحوتات. وبالرغم من جدران الحرم المثقنة والمثيرة للإعجاب، لم يكن يحتوي على أسرار هامة لحبكة رواية فون دانيكن.

وبعد عودته إلى الفندق، وجد شاباً حيوياً وذا شعر أسود في انتظاره. فعرف الرجل بنفسه قائلاً إنه إنواردو، وشرح أنه يعمل لصالح المخططة التلفزيونية المحلية.

ومن جهة أخرى، كان جوليان قد حصل على ميدالية رئيس بلدية ليما الفخرية بسبب خدمة النقل بالحافلات التي يؤمنها لعامة الناس. وقد أهلتها الميدالية ليكون مستثنى من القوانين كافة المُلزمة لموظفي المدينة. وعما أن بعض مسؤولي الجمارك هم مسؤولون في المدينة، كان على ثقة تامة أن مكانته الفخرية ستسمح بإدخال التجهيزات.

كان جوليان مُحِقاً في كل شيء، وأنقذ النهار.

* * *

بضمان الجانب البيروفي، كانت بوليفيا المخططة التالية على جدول أعمال ماكس، وحين الوقت ليقوم بإختيار جورج أنه شخص غير مرغوب فيه في ذلك البلد مما يحول دون تمكنه من التوجه إلى جنوب لا باز حيث يُفترض به تصوير تياهوواناكو وبحيرة تيتيكاكا.

ووصل جورج إلى ليما، والتقى في ردهة الشيراتون. كان جورج قد احتسى البيسكو سوزر، وهو الشراب البيروفي الأصلي، لذلك جرى اللقاء بشكل أفضل مما يتوقعه ماكس.

"حسناً، ما دمت على اتصال بأشخاص هناك يلبون متطلباتنا، وبما أن جدول الأعمال معقد، أظن أن الأمر سينجح". قال جورج بين رشفة وأخرى. "تتحكك هذا الأمر يوماً أو يومين إضافيين هنا في البيرو. لم لا نصعد إلى تروجيلو لمعاينة الأهرامات، والتحقق مما إذا كان في الإمكان تصوير أي شيء أو أي شخص يمكننا إجراء مقابلة معه؟".

"لم يسبق أن قدم فريق عمل أميركي إلى تروجيلو لتصوير فيلم، باستثناء تغطية الزلزال، ونرغب في إجراء مقابلة معك". قال.

كان ماكس صادقا مع إدواردو وأخبره أن التصوير في تروجيلو هو أمر غير مؤكد. ومن جهة أخرى، لم يكن المراسل التلفزيوني الشاب المتحمس مهتماً كثيراً بذلك الأمر كما يبدو، وغادر لاصطحاب فريق التصوير.

فافترض ماكس أنه أسبوع إخباري مُمل.

بعد دقائق، عاد إدواردو برفقة المصور، ريجينالدو، والمرأة الأكثر جمالاً وفنّة التي رآها ماكس يوماً.

كان اسمها ماريّا، في العشرين من عمرها، وكانت نحيلة، وشعرها قائم اللون، وعيناها بنيتين داكنتين، وابتسامتها مسلة وناضجة بالحياة، وتتمتع بتركيز يُفقد المرء اتزانه.

كانت ماريّا ترتدي ملابس بسيطة عبارة عن بلوزة وبناطال فضيّين. وكما شرح إدواردو، فهي مساعدة المنتج في البرنامج الإخباري، وتقوم بالقليل من كل شيء. فابتسمت لماكس وبدت مهتمة له في أثناء وجوده معها.

بعد انتهاء المقابلة، غادرت برفقة ريجينالدو وإدواردو. وبعد لحظات، عادت لستطلب من ماكس تدوين اسمه، واسم شركة الإنتاج، وبعض التفاصيل الأخرى التي ذكرها خلال المقابلة. وبعد الحصول على المعلومات المطلوبة، استدارت للمغادرة ولكنها توقفت فجأة ونظرت إلى ماكس.

"هل أنت بمفردك هنا؟"، سألت، وقفز قلبه في صدره. "هل ترغب في فريق على العشاء؟ أعرف أفضل المطاعم في تروجيلو".

فاستعاد ماكس رباطة جأشه بسرعة وقال إن الانضمام إليها هو أمر يسره. ولم يمض وقت طويل حتى استقلا سيارة أجرة في طريقهما

إلى مطعم صغير تذوقا فيه أسياخ قطع قلب عجل مشوي ومبهّر، وتلا ذلك طبق لحم هندي مشوي مع خضار غريبة لم يتمكن من معرفتها، ولكنه استمتع بها بالرغم من ذلك.

طوال العشاء، لم يتمكن ماكس من الامتناع عن التحديق إلى عينيّ ماريّا. كانتا قاتمتي اللون ولا نهاية لغوريهما، ووجد نفسه يفقد تسلسل أفكاره أيّا يكن الموضوع المطروح.

وبدت ماريّا مسورة، بماكس بالطريقة نفسها، واعترفت أنه السائح الأميركي الأول الذي قابلته يوماً.

"هل كل الأجانب مثيرون للاهتمام على غرارك؟". قالت بمزاحة: "وهل يتكلمون كلهم لغة الكاستيلانو بهذه الطلاقة؟ أشعر تقريباً كما لو أنني أتحدث إلى ملك إسبانيا. لغتك الإسبانية أفضل بكثير من لغتي التي أحجل بها إلى حد ما". وضحكت.

ومتبسماً بطابع جدّي أكبر وناتهاً في جمال ماريّا، تمتم ماكس قائلاً: "حالفني... حالفني الحظ إذ قمت بجولة في أنحاء أوروبا والقارة الأميركية في سن مبكرة، ولكنني لست مثبّراً للاهتمام إلى هذا الحد. علمك يفتنني بقدر ما يفتنك عالمي، وربما أكثر. أحب طريقة حديثك، وفي صوتك عبوبة وموسيقى طبيعية بحتة".

وكلمّا تحدّث ماريّا شعر ماكس أكثر فأكثر كما لو أنه يفقد السيطرة على ذاته.

لقد بقيّا في المطعم إلى ما بعد منتصف الليل حتى أغلق المطعم أبوابه. لم يشأ أي منهما أن ينتهي الليل، لذلك طلبا من سائق سيارة الأجرة أن يُقلّهما إلى المتسوّء العام الواقع إلى جانب الفندق حيث يقيم ماكس. وبينما كانا يسيران وسط الأشجار ممسكين بيدي أحدهما الآخر تحت السماء الساطعة بضوء النجوم، قام رابط بينهما.

بالنسبة إلى ماكس، بدا الأمر كما لو أنهما يعرفان بعضهما بعضاً منذ زمن بعيد. وأخبرته ماريا عن عائلتها وجذورها الإنيتكية الأصلية. وتحدثت عن اعتقادها الراسخ بقوة روحية تتخطى الإدراك البشري، وكيف أن لكل الأشياء حياة. "حتى الصخور والأشجار تملك وعياً". قالت.

وأعربت عن اعتقادها بعودة أسباط الإنيتكا القدماء ذات يوم، فيحكم شعب الإنيتكا الحقيقي مجدداً أرضهم الأم. وتحدثت عن ثقافتها الطقوس والممارسات الكاثوليكية التي لا تسمح بممارسة الجنس إلا بعد الزواج فقط.

وبعد جلوسه بجانبها على مقعد خشبي، وجد ماكس أن الكلمات تخرج من فمه بشكل متعثر وعلى نحو غير متوقع ومضبوط. "أعرف أن هذا الأمر يبدو جنونياً، ولكنني مُعَرم بك تماماً". قال: "أرغب فيك بقوة أكبر مما رغبتُ في حياتي في امرأة أخرى. حبسي لك طاهر لم يسبق لي أن اخترته...".

"أعلم أن الأمر ضرب من الجنون التام...". وفجأة، طبعت ماريا على شفتيه بشغف قبلة طويلة. وحدثاً إلى عيني بعضهما بعضاً، وشاهد في ثلاثين ثانية عمراً بمضيانه معاً. ولدى النظر إلى وجهها، وجد أن الفكرة نفسها تستحوذ عليها. فسمعاً صوت طفل حديث الولادة يكي.

وشاهدًا نفسيهما يتقدّمان في السنّ معاً ويغدوان جدّاً وجدة. ورأيا مستقبلين مائلين ولم يتحدثا. لم يكن في الإمكان التعبير بكلمات عن وضوح الاختيار، ووصف الشعور المتبادل.

أخيراً، تكلمت ماريا.

"أحبك كما تحبني، وأنا مستاءة على غرارك. إنه حب لا يمكن تجسيده أبداً بالأعمال، ولكنه حب رفعته قبلتنا إلى مستوى الكمال في ملء الزمن وسيعيش في ذاكرتنا إلى الأبد".

ولزم ماكس الصمت، مصدوماً بهذا الاعتراف بالحب، ومُربكاً وحائراً على حدّ سواء. لقد رأى حياة مع هذه المرأة. كان يعرفها، وأراد البقاء معها حتى نهاية الأزمنة.

وأدرك أيضاً أن ماريا صادقة وأن ظروفهما لن تسمح بارتباط على مدى الحياة من النوع الذي نشأت ماريا على الإنفاء به.

كان عليه الاتصال بجورج في لا باز في غضون ساعات قليلة، وإبلاغه بما إذا كان هناك ما يمكن تصويّره في تروجيلو، على أن ينتقل بال طائرة بعد ظهر ذلك اليوم من ليما إلى كيتو، الإكوادور، ومن ثم إلى لندن. فهو يكاد لا يملك الوقت للاستحمام والتوجه إلى المطار في تروجيلو للسفر إلى ليما.

وبتبادر هذه الأفكار وغيرها إلى ذهنه، نظر ماكس إلى ماريا بمزيج من الفرح والحزن والتسليم، ورفع يديها ووضعهما على قلبه. "كانت ليلة، ولن أنساك أبداً".

فأخرج قلماً وورقة، وطلب من ماريا أن تدوّن اسمها وعنوانها كي يتمكن من الاتصال بها.

وسلّمته ماريا الورقة التي كتبت عليها اسمها وعنوانها الريدي الكامل.

ماريا ماغداлина راميريز

224 كالي دي لاس فلوريس

تروجيلو 9490 البيرو

ودخل ماكس في حالة صدمة.

هذه الكلمات، قُبِلَت ماريّا ماكس، ووقفت، وخرجت من
المتنزه العام، تاركةً إِيَّاهُ بمفرده أمام فندقه وهو يفكر ملياً في الكلمات
نفسها التي استخدمتها والدته بعد أن اختبر حالة النورانية.

هو اسم رآه قبل سنوات من دون أن يتمكن من تذكره بالرغم
من محاولته الجاهدة. ولكنه بدا شديد الوضوح في أثناء التحديق إليه
مدوناً على الورقة التي يُمسك بها بإحكام.
فاسم ماريّا هو أول الأسماء الاثني عشر التي اختيرها في أثناء
اختبار حالة النورانية.

ونظر إلى ماريّا ببلوزتها الفضية، وأعاد النظر إلى الورقة.
لقد ظهر اسمها لماكس باللون الفضي قبل ثمان سنوات. لا يمكن
أن يكون الأمر مصادفة. يجب أن يكون هناك معنى أعمق، ربما صلة
يُفترض بها في الواقع تبديل حياتهما. ربما كانت ماريّا رفيقة روحه حقاً،
لذلك رأى اسمها عند اختباره حالة النورانية.

وحاول أن يشرح لماريّا هذا المستوى الجديد من الربط بين الأفكار.
"ربما كان لقاءك السبب الوحيد لقدمي إلى البيرو". قال: "ربما
قُدِّر لنا حقاً أن نكون معاً، أم أن هناك مصيراً هاماً يربطنا".

وشعر بالارتياح لأن ماريّا لم تنصرف كما لو أنه أصيب بالجنون،
وبقيت هادئة وتقبّلت التزامنية الغريبة التي جمعتهم.

"العالم واسع وغريب، ولن نفهم أبداً كل ما يحدث". قالت
مؤكدّة: "إذا كان مقدراً لنا أن نكون معاً، فإن ذلك سيمتدق بطريقة
ماء، ولكنك إذا لم تغادر الآن، فإنك ستُغفل الرحلة الجوية ولن أسمع
رأي والدتي بالموضوع".

"أحبك، لقد أحببتك دائماً، وسأحبك على الدوام". وأضافت:
"أشعر حقاً بصلة بك أعمق من أي صلة شعرت بها حيال أي شخص
آخر، صلة أعمق من صلة الأصدقاء والأشقاء، لا بل أعمق من صلتني
بوالدي ووالدي، ولا أشك في أن حياتنا تتقاطعان لسبب ما. ومع
ذلك، لا أرى كيف يمكننا تبديل قدرتنا الحاليين".

ويستمر البحث

حزيران/يونيو 1973

الجزيرة الشرقية.

ستوننج.

غلاستنبوري.

متحف الرجل، كهوف لاسكو في فرنسا، أثينا، وجزيرة

سانتوريني اليونانية.

لقد عقد ماكس اجتماعات في كل من هذه الأماكن مع علماء في العلوم الطبيعية، وعلماء آثار، وكانت لدى الجميع معلومات إضافية حول البحث المستمر عن الألغاز القديمة.

من جهة ثانية، لم يتمكن ماكس من الكف عن التفكير في ماريا ماغديالينا راميريز خلال الدقائق القليلة من اليوم التي لا يكون منشغلاً فيها باستحار سيارات، ومراكب، وطائرات، وكل آليات العمل التي تساعد فريق الإنتاج.

وطور نمطاً محدداً للقيام بأعماله؛ يصل أولاً إلى كل مدينة، ويتصل بالمسؤولين الحكوميين، ومسؤولي المتاحف، وأشخاص آخرين يكون بحاجة إليهم للحصول على التصاريح. ويقوم باستكشاف المواقع، ويستقبل فريق العمل لدى وصوله إلى كل مطار دولي.

يوري أليك هو الخبير السينمائي في فريق العمل، وأثير في تلك الأيام أفضل مصور سينمائي في جيله على أرض وعرة. كان في العقد الرابع من عمره، نرجحاً، نحلاً، يرقى إلى مستوى لاعب رياضي محترف، ويستمتع بحمامات البخار والسونا، إضافة إلى ممارسات صحية أخرى لاكتساب لياقة بدنية تساعد على الاسترخاء.

إنه متماسك، واثق بنفسه في أثناء التصوير، يقصد أي مكان لتصوير مشهد ما، ولا يخاف شيئاً. ففي استطاعته تسلق المباني بسبب لياقته البدنية ورشاقته، والجثوم على الدرازين لتصوير مشهد ما، والستقاط المشاهد بأنواعها كافة من الحوامات والطائرات من دون أن يواجه أي مشكلة بسبب العلو، فينحني إلى الخارج أو يربط نفسه بمكبل طائرات صغيرة ثم استنحارها لتصوير خطوط نازكا المبهمة في الصحراء البيروفية، أو الأطلال في أماكن نائية.

يسهل على يوري الانسجام مع أي وضع، ويعامل الجميع باحترام، وتتم الاستعانة بخدماته باستمرار. يوري متزوج وله ابنان في لوس أنجلوس، ولكنه يلزم مواقع التصوير لما يزيد عن ثمانية أشهر في العام. ورأس آر تولد، وهو المصور السينمائي المساعد، في العقد الثالث من عمره، ضخم البنية وقوي. وفيلم البحث عن "ألغاز قديمة" كان بمثابة فرصة كبيرة لرأس كونه المشروع الأكثر أهمية في تاريخ مهنته الفنية. ويستمتع رأس باحتساء شراب الشعير، وهو أقل حركة من يوري ولكنه كفؤ ومحترف ويظهر مناقبية عالية في العمل.

رأس شديد التدقيق بالتفاصيل كونه خبير الفريق في التصوير والإضاءة، ويجب تناول الطعام وإطلاق الفكاهات، ولكنه لا يهتم بلياقته البدنية بقدر يوري، وغالباً ما يسرف في الأكل والشرب واللهو بعد انتهاء العمل.

أورلاندو سامرز في التاسعة والعشرين من عمره ومسؤول عن الميزانية. لقد منح ماكس علاقته اليومية وبقي على اطلاع على شؤون التجهيزات والتفقات. كان يرفع تقاريره إلى جورج مباشرة الذي يثق به تماماً. ويطمح أورلاندو أن يصبح منتجاً ومخرجاً، وكان ماكس على علاقة به أكثر من أي عضو آخر في الفريق، يعملان معاً بشكل وثيق لتنظيم عملية انتقال التجهيزات وفريق العمل. لقد تعلم أورلاندو الاعتماد على حكم ماكس بشأن إحداث توازن بين التكاليف وأهمية اختيار المشاهد وفقاً لأولويتها.

وأندي مونيتز هو العضو الأخير في الفريق. كان في السابعة والعشرين من عمره، نحيل، بارز العظام، ويرفع تقاريره إلى أورلاندو ويسوري مباشرة كونه تقي الصوت، ويساعد كلاً منهما على إعداد المشاهد المصوّرة وكل ما قد يكونان بحاجة إليه في أي ظرف.

بالنسبة إلى ماكس الذي لم يخدم أبداً في القوات المسلحة، كان البحث عن الألغاز قديمة بمثابة رفيقه في السلاح الذي تربطه به علاقة وثيقة. عمل الفريق الصغير من دون توقف تقريباً، واعتمد أعضاؤه على بعضهم بعضاً في شتى الأمور تقريباً.

السرهانات عالية لكل منهم، قد يكون المشروع خطوة كبيرة إلى الأمام في مهنهم. لقد اكتسبوا خبرة وافية نتيجة للضغط الذي يتعرضون له في أثناء التفاوض مع بلدان أجنبية، والذهاب إلى أماكن غريبة وبعيدة لم يزرها سوى عدد قليل من الناس بحثاً عن الألغاز القديمة.

وهناك حاجة ماسة إلى العمل لم يظن ماكس أنها موجودة في العمل المنتظم بين التاسعة صباحاً والخامسة بعد الظهر. إنه أمر مبهج تماماً.

أما تجهيزاتهم فتساوي مئات آلاف الدولارات، وأينما ذهبوا رُحِبَ بهم بفضول وتديق. ففي الهند، توقعوا أن يكون المستحيل

عليهم السير في الشارع. ولكن الأمر نفسه كان صحيحاً في القدس، وليسما، وأثينا، وسانتوريني، ولندن، وطوكيو، لا بل أيضاً في البلدات الأصغر حجماً المحيطة بكهوف لاسكو، وأعمدة ستونهنج الحجرية، وأطلال كوزكو.

لقد عملوا وتناولوا الطعام معاً، ولم يفترقوا أبداً إلا عند النوم. وطوّروا لغتهم الخاصة، فإذا سمعوا من يقول منهم في نهاية اليوم: "السادسة صباحاً، بعد الانتهاء"، فإن ذلك يعني الاجتماع عند السادسة صباحاً بعد تناول الإفطار، و"واحدة فقط في الأكروبوليس عند شروق الشمس"، تعني تصوير مشهد واحد فقط في الأكروبوليس عند شروق الشمس.

كانت كل دقيقة ويوم وليلة مغامرة. لقد تمت غرضية كل لحظة خارج العمل بزيارة مدن غريبة واستكشاف مواقع إضافية، وأمضوا الوقت في أثناء توقف الإنتاج بالذهاب إلى منتجعات المياه المعدنية أو تسوق هدايا للعائلة والأصدقاء. وبعد انتهاء فترة التصوير البالغة اثني عشر أسبوعاً، اعتبروا أنهم سيكونون أصدقاء حقيقيين وليس مجرد زملاء تشاطروا المغامرات فحسب... وهكذا كانوا.

كان ماكس يعرف أنواع الشراب الاسكتلندي والشوكلاته المفضلة، ولم يفتقر أعضاء فريق التصوير أبداً إلى مشروباتهم المفضلة وولائتهم بالرغم من تخصصاتهم المالية الزهيدة ووجود المتاجر التي لا تُعرض ضرائب على سلعها. وثبت في النهاية أنه يتمتع بمهارة أخرى فريدة ألا وهي قدرته على الركض وراء سيارات الأجرة.

ولسدى الوصول إلى المطارات، كان من السهل الحصول على سيارات الأجرة المطلوبة لنقل فريق العمل والتجهيزات، ولكن لم يكن هناك عدد كافٍ من السيارات لدى القيام بجولة في المدينة لتفقد

الأماكن. وبطريقته السلسلة الواقعية، بدأ ماكس قادراً على تأمين كل السيارات المطلوبة بشكل عجيب، حتى عندما تمطر أو يكونون في مكان لا توجد فيه العديد من سيارات الأجرة.

ولكنهم علموا أن الأمر سيكون مختلفاً في فلسطين.

فنظراً إلى الاحتياطات الإضافية المتخذة لتوفير الأمن، اتُخذ قرار بالاستعانة بمدير إنتاج محلي للاهتمام بلوجستيات استئجار السيارات كافة، والطائرات، ومتطلبات الإنتاج الأخرى. كان ماكس سعيداً تماماً بالتخلي عن تلك المهام الشاقة.

في القدس، سيركر ماكس على أعمال البحث والمقابلات. وبعد أيام من العمل على مدى أربع وعشرين ساعة، سيبدو الأمر كما لو أنه إنجازة.

كان مكتب نيويورك قد اتصل بـماكس في الفندق الذي ينزل فيه في أثلنا عندما كان يستعد للانطلاق إلى المطار، وأخبروه أن مدير الإنتاج السذي سيلتقي به في الطرف الآخر من الرحلة الجوية يدعى يوسكي حاسفور.

فابيض وجه ماكس مرة أخرى عندما تذكر هذا الاسم بشكل واضح.

كان يوسكي حاسفور الاسم الثاني في لائحة الاثني عشر.

في أثناء الرحلة الجوية التي دامت ثلاث ساعات، فكر ماكس ملياً في ما قد تغنيه الأسماء الاثنا عشر.

لقد مضت ثماني سنوات على اختباره الحالة النورانية، وقليلاً ما كان يفكر في الاثني عشر. ولكنه التقى في غضون أربعة أسابيع شخصين من الأشخاص الاثني عشر، علماً أنه لم يكن يملك أي فكرة عما قد يعني ذلك.

واعتبر أنه لا بد من وجود صلة بين إنتاج الفيلم وهذه الأسماء. هل للأمر علاقة بالقادمين من الفضاء الخارجي الذي يسعى الفريق إلى تسليط الضوء على إنجازاتهم؟ قد يكونون موجودين حقاً، وهي الطريقة الوحيدة لإثبات ذلك.

فاستناداً إلى خبراته في يال حيث ثبت عدم رغبة الأشخاص الأكثر ثقافة في أخذ أفكار جديدة في الاعتبار، قرر ماكس عدم الإفصاح ليوسكي عن طبيعة علاقتهما عندما يلتقيان. لا، فهو سراقب ويشاهد ويحاول العثور على رابط من نوع ما قد يقدم تفسيراً.

كان يوسكي شديد الانتماء في المطار، قصير القامة ولكن قوي، كان لديه شاربان وشعر مرتد إلى الوراء، يرتدي بزته العسكرية التي تعود إلى زمن خدمته العسكرية، يضع خاتماً، ويتدلى من خزامه عدد لا يُحصى ولا يُعد من المفاتيح، ويضع حول عنقه لفاع أبيض.

هو يضحك بسهولة ويجب رواية القصص والدعابات، ويشع وجهه عندما يتسم الآخرون.

ووفقاً لـماكس، لم يكن هناك شيء لا يستطيع يوسكي القيام به. فهو الرجل الأكثر تنظيمًا الذي التقى به يوماً، واعتُبر منسق الإنتاج الأفضل في كل فلسطين. لقد عمل على إنتاج العديد من الأفلام الوثائقية، ويعرف كل من يعملون في هذا المجال.

لقد أخذ يوسكي على عاتقه أمر التأكد باستمرار من توافر السيارات عند الحاجة، وتدبر أمر زيارة ماسادا في أريحا، والأماكن الأكثر بُعداً كذلك. كان يحب المرح والطعام والشراب الجيد مما جعله محبباً لراس وأندي. وأخذ على عاتقه أيضاً استمتاع فريق العمل بأفضل الفنادق، والمطاعم، والمناظر الطبيعية الجميلة، في فترات الاستراحة.

وتعرف ماكس إلى الحمامات التركية الأصلية في القدس التي يعود تاريخها إلى ألف عام مضت، واصطحبه إلى كل الأماكن المقدسة في القدس. وبقي ماكس خمسة أيام فقط مع يوسكي، ولكن تعاوناً قام بينهما لا يحدث إلا في أثناء الحرب، أو لدى إنتاج فيلم.

وفي نهاية تلك الفترة، وبينما كانا متجهين إلى المطار حيث يستقل ماكس الطائرة المتوجهة إلى دلهي في الهند، التفت إليه يوسكي وسأله عن زيارته إلى فلسطين.

"إذاً، يا ماكس، من بين كل ما عرفتك إليه في هذه الأيام الخمسة الأخيرة هنا في فلسطين، ما الذي ستذكره أكثر من سواه؟".

فكر ماكس قليلاً قبل الإجابة.

"كان كل شيء مثيراً للدهشة، لا يمكنني اختيار موقع واحد فقط، ولكن قد أختار الأرض نفسها وحبيوة الشعب. هناك الكثير من التركيز والحبيوة في الشوارع، والمطاعم، والمشارب، وفي كل مكان". قال.

"أنا سعيد جداً لأنك تشعر بهذه الحبيوة". أحاب يوسكي، وابتسم. "أجل، يكمن الجمال الحقيقي في فلسطين في شعبها.

"أما وقد اخترت فلسطين للمرة الأولى، فأنا على ثقة تامة أنك ستعود، وعندما تقوم بذلك، سأكون هنا للترحيب بك".

فشع وجه يوسكي ابتساماً في أثناء ركن السيارة في موقف السيارات في المطار.

وقبل أن يدخل ماكس إلى المنطقة الأمنية المُتَقَنَة في المطار، التفت إلى صديقه.

"كنت كوالد ثانٍ بالنسبة إليّ هنا". قال: "لن أتمكن أبداً من شكرك بما يكفي أو مُحَازاة حسن ضيافتك".

فابتسم يوسكي.

"لا تقلق. لقد استمتعتُ بكل دقيقة في أثناء عملي معك ومع فريقك. أنت شاب، ويوماً ما سيكون شاب ما بحاجة إلى مساعدتك. عندئذ، تذكرني وأكون لك شاكراً".

"الآن، اذهب وأعدّ فيلماً رائعاً. رافقتك السلامة".

وفي أنساء صعوده إلى متن الطائرة، كان ماكس على ثقة أنه اتخذ له صديقاً لمدى الحياة. وبالرغم من العلاقة الوثيقة بينهما، لم يتمكن من تبسيان أي صلة تفسّر وجود يوسكي في لائحة الاثنى عشر، فقرر عدم مشاطرته هذا السر.

عندما كان جندياً، لم يكن يوسكي يبدو أنه من الأشخاص الذين يمكن مشاطرتهم الخبرات، ولكن دخول يوسكي في حياته كان أمراً كافياً بالنسبة إليه.

الهند

تموز/يوليو 1973

إلى ماكس بصير، وشرح قائلاً إنه لن يتمكن من منح الإذن لدخول فريق التصوير إلى البلد ما لم يحصل على ثلاث نسخات كاملة من السيناريو تشير إلى كل المشاهد التي سيصورونها هناك. فحاول ماكس أن يشرح له عدم وجود سيناريو لأنهم يصورون فيلماً وثائقياً. وضحك بروجاب.

"حسناً، إذًا، لن يكون هناك أي فيلم". قال: "يجب عليك أن تزودني بالموضوع على الأقل، وبلائحة بالمواقع، وما الذي سيظهر ويقال في كل فقرة. ما لم أحصل على هذا السيناريو عند الخامسة من بعد ظهر اليوم، لن أتمكن من منح الأذونات التي تحتاجون إليها". ووقف ماكس من دون الشعور بأي إثبات للعزيمة.

"شكراً لك. سأعد لك سيناريو وأعود قبل الخامسة بعد الظهر". كان النهار قد انتصف تقريباً عندما عاد ماكس إلى فندق أشوكا بالائيس. كان يعرف كل الأماكن وحزراً من السيناريو مما يمكنه من إعداد المستند المطلوب، ولكن لم تكن لديه آلة كاتبة أو ناسخة لإعداد النسخات الضرورية.

كان يتعين عليه العمل بسرعة.

فشرح ماكس طبيعة المشروع لموظف الاستقبال، شيفا، الذي ابتسم وقال إنه مستخدم ماهر للآلة الكاتبة ويمكنه استعمال إحدى الآلات الكاتبة التابعة للفندق.

عند الثالثة من بعد الظهر، أعد ماكس سيناريو مكتملاً وطلب أن يوطنه. ولكن عندما شرح أنه بحاجة إلى ثلاث نسخات، أخبره شيفا أنه لا تتوفر أي آلات نسخ في دلهي في ذلك الوقت، لا بل في كل الهند أيضاً. ولكنه طمأن ماكس قائلاً إن لديه خطة.

* * *

بعد الخروج من مبنى الوصول والمغادرة في مطار دلهي، وجد ماكس نفسه مُحاطاً بمحّالين، ومتسولين، وسائقي سيارات أجرة، ومدّعين أنهم سائقو سيارات أجرة، ونشالين، ومساغرين يرتدون ملابس ذات ألوان برّاقة. كان عليه النضال لأجل التحكم بحقيبته، وبعد قليل من الإجهاد تمكن من دخول سيارة أجرة إلى فندق أشوكا بالائيس، أحد الفنادق الثلاثة الفخمة في دلهي.

وبعد استراحة جيدة في أثناء الليل، بات على استعداد للقاء الرئيس الأعلى للشؤون الثقافية، بروجاب أكبر، المسؤول عن كل مشاريع الأفلام الأجنبية المصوّرة في الهند. وبعد دخول المركز الحكومي، أجفل ماكس لدى رؤيته أربعين قرّداً ترتدي بذلات حمراء وتتولّى الحراسة في الناحية الخارجية من البوابة الرئيسة. كان الأمر أشبه بمشهد من قصر ويكد ويتش في فيلم *وزيرد أوف أوز*، ولم تكن هذه القردة أفضل من أتباع الساحرة الذليلين إذ يمسون السياح برفق ويلتقطون كل ما يمكنهم التقاطه من طعام أو أشياء صغيرة.

بعد عبور منطقة القردة، شق طريقه إلى داخل مكتب بروجاب أكبر، وكان مهيب المظهر وفي العقد السادس من عمره. فأصغى أكبر

شقت سيارة الأجرة طريقها داخل دلهي القديمة، وسط الأصوات المتنافرة الناجمة عن سائقين يجرّون عربات، وأولئك الذين يقودون دراجات هوائية ثلاثية الإطارات لنقل الركاب، ودراجات هوائية ثنائية الإطارات، إضافةً إلى أصوات الأبقار، والعربات التي تجرّها جياد، والجرارات، والشاحنات الخشبية، والسيارات الحديثة، والحافلات التي تنفث المازوت، وعدد لا يُحصى ولا يُعدّ من المشاة الذين يحمل العديد منهم أحمالاً ضخمة على رؤوسهم.

فجأةً، أشار شيقا إلى السائق بالتوقف أمام متجر للتصوير الفوتوغرافي لا يمكن تمييزه عن سواه من المتاجر. لم يكن ماكس واثقاً من الأمر، ولكنه تبع مرشدته عبر الباب. وبعد دقائق، شُرح له أن هذا المتجر لديه آلة تصوير قديمة الطراز بقياس "8 × 10". فأخذوا صوراً لكل صفحة من المستند وقاموا بتظهيرها بعد ذلك بالمواد الكيميائية في الغرفة المظلمة في الناحية الخلفية من المتجر.

وفي غضون أربعين دقيقة، حصل ماكس على ثلاث نسخات لا عيب فيها، جاهزة ليم تقديمها إلى الحكومة.

* * *

دخل ماكس مكتب بروجاب عند الرابعة وتسع وخمسين دقيقة تماماً. فسّر المسؤول ولكنه تفاجأ برويته، وتفاجأ أكثر فأكثر عندما قدّم إليه ماكس النسخات الثلاث "لسيناريو التصوير".

"سأطلع عليه وأتصل بك بعد يومين لأبلغك بما إذا كان كافياً لمنح الإذن بدخول فريق عملك والتجهيزات إلى الهند". قال بلطف: "إذا تمت الموافقة على طلبك، سيعيّن لك مشرف على التصوير".

وبارتياح كبير، أسرع ماكس عائداً إلى فندقه، وجمع مقتنياته، وطار إلى باكستان حيث يتعيّن عليه الإعداد للتصوير في لاهور.

كان عليه العمل بسرعة لأنه سيعود إلى دلهي في اليوم التالي. لذلك، قام بتحديد المواقع الباكستانية خلال يوم واحد في عمل كان من المقرر له أن يدوم يومين.

لقد عمل بسرعة كبيرة وكان سعيداً بالجلوس على متن الطائرة والتقاط أنفاسه. وفكّر ملياً في الصدفة الجميلة والثيرة للدهشة التي جمعتها بماريا ويوسكي، وشعر بوجود صلة وثيقة بهما، ولكنه لم يعتقد أنه قد يراهما مجدداً.

وعمله على فيلم بعنوان البحث عن الفاز قديمة هو أمر مثير للسخرة في الواقع لأن الأمر بدا كما لو أن خبرته الخاصة تتطور لتغدو رحلة هامة من الاكتشافات الشخصية. لم تكن لديه أي فكرة عما يوجد وراء كل زاوية، وجعلته العلاقة الغرامية يشعر بالحماسة وكانت حافزاً له.

لقد شعر ماكس أنه يعي الاحتمالات التي قد يحملها المستقبل في طياته.

القيم على القرى الخامس عشر

تموز/يونيو 1973

"وفقاً لمعلوماتي، لم يمنح الإذن أبداً لأي فريق عمل للتصوير داخل المتحف الوطني، لذلك أشك في نجاحك". قال لماكس. كان هناك في طريقة قول ذلك ما يُلمح إلى أنه قد يكون في الإمكان تجاوز مدير المتحف... عندما تكون الظروف مناسبة.

أدرك ماكس منذ البدء أن للمال سلطة تفتح الأبواب الموصدة. ومع ذلك، فقد كان متردداً بسلوك ذلك الطريق وعازماً على القيام بأي شيء بنزاهة. حتى ذلك الوقت، جرت الأمور بنجاح وشق طريقه في أوضاع صعبة.

لم يتوقع أن يكون هذا الوضع مختلفاً. ومتسلحاً بأفكاره، انطلق إلى المتحف. ولدى وصوله، شرح مهمته للحراس الموجودين عند المدخل، فأرشدوه وسط المسؤولين والسائعين الجوالين إلى المدخل المخصص للموظفين وأولئك الذين يقومون بأعمال رسمية.

كان المتحف واسعاً، ويعرض لحضارة شبه القارة الهندية العظيمة التي تعود إلى عشرين قرناً مضى. وبنار إلى كل عصر بفترة الزمنية، وقيل لماكس إن المسؤولين عن كل فترة مُنحوا لقب القيم. ووجد أنه من المدهش أن يكون شخص واحد مسؤولاً عن قرن كامل من التاريخ والحضارة.

وأينما ذهب دُهل بمحتويات المتحف. وفي أثناء جلوسه في غرفة الانتظار خارج مكتب المدير، تأمل بمزاج عصبي كيفية تمكنه من إقناع المدير بمنحه الإذن لتصوير الفيلم.

"يمكنك الدخول الآن". قالت موظفة الاستقبال المبتهجة لماكس بينما كانت تُدخل تحسينات على مظهر ساريها. وبعد ثوانٍ قليلة، جلس ماكس أمام رجل طويل القامة، مثير للإعجاب، في العقد السابع من عمره، ولديه لحية بيضاء، ويضع نظارة.

تحقق ماكس بسرعة مما يتعين تصويره في لاهور، وأمضى بقية اليوم متنقلاً في المدينة القديمة على ظهر الحمير وعلى متن عربات تجرها الجياد، أكثر منه بواسطة الحافلات على الطرقات الرئيسة.

ومن جهة أخرى، كان قلقاً ويريد العودة إلى دلهي بأسرع وقت ممكن للتأكد من الموافقة على سيناريو التصوير، ومنح الإذن لفريق العمل والتجهيزات بدخول الهند. لذلك، عاد إلى الهند في أول رحلة جوية متوافرة، ومكث في فندقه بانتظار الجواب.

في اليوم التالي، كان ماكس مسروراً لدى تلقيه من بروجاب نبأ موافقة لجنة الأفلام على السيناريو وتعيين مشرف لضمان التقيد بالقوانين المحلية في أثناء التصوير. وعلم أيضاً أنه يحظر عليهم تصوير الجسور، والمسؤولين، ومحطات سكك الحديد، وإذا لم يتفقدوا هذا القانون تتم مصادرة كل الفيلم وترحيل فريق العمل.

وأحد هذه الأماكن، المتحف الوطني الهندي في بنودلهي، يتطلب الحصول على إذن من مدير المتحف نفسه، ويجب تقديم رسالة الإجازة هذه إلى بروجاب في اليوم التالي.

إنه في. أس. نايبول الذي شغل منصب مدير المتحف لأكثر من عشرين عاماً. وبينما كانا يتحدثان، شعر ماكس أنه لا يزال يملك ذلك الفضول الفكري نفسه الذي جعله بحّاثاً مهيباً يشغل المنصب الذي يرغب فيه الجميع بقوة. كانت عيناه تشعان بحكمة ومعرفة.

"تقوم سياستنا على عدم السماح بتصوير أي شيء في هذا المتحف". شرح بطريقة واقعية: "تحفنا الفنية القديمة دقيقة تماماً، ولا يمكننا السماح بنقل أي منها عندما لا تكون هناك حاجة إلى ذلك بسبب ما قد يلحق بها من ضرر يستحيل إصلاحه".

"تمثل مهمتنا بالحفاظ على تحفنا الفنية القديمة لصالح البحّاث والجمهور الهندي". أضاف: "إذاً، لماذا يُفترض بنا السماح لك بالتصوير؟".

فَوَزَنَ ماكس كلماته بعناية.

"لستُ واثقاً من أنك ستسمح لنا بالتصوير". قال بصدق: "في أثناء عبوري للمتحف للفتاك اليوم، لاحظت مدى تميز العديد من المعروضات ودقتها".

"لقد درست الأدب والأنثروبولوجيا في جامعة يال، وأجريت العديد من الأبحاث حول مكتبة الكتب النادرة في حرم الجامعة. فعلى غراركم، لم تكن سياسة يال تسمح بالقاط صور لأي شيء. ومع ذلك، كانت هناك استثناءات في مناسبات نادرة. أعتقد أن مشروعنا المدعو البحث عن الغارز قديمة قد يستحق استثناء مماثلاً من قبل متحفكم".

"ولماذا بالتحديد؟ ما المميز في فيلمكم؟". قال في. أس. نايبول، مُضرباً.

"أحد أهداف فيلمنا هو إظهار التكنولوجيات المتقدمة في الحضارات القديمة". قال ماكس بصراحة وصدق تامين. "يشير بحثنا إلى

وجود نصوص قديمة باللغة السنسكريتية هنا في متحفكم تؤنق وجود آلات طائرة قديمة في الهند منذ قرون. نريد تصوير تلك النصوص وإجراء مقابلات مع خبراء قد يكون في إمكانهم تأكيد وجود هذه الآلات الطائرة بالفعل".

ارتسمت ابتسامة على وجه نايبول.

"أنا بحّاث في اللغة السنسكريتية، وقرأت النصوص التي ذكرتها. تعود معرفة الآلات الطائرة في الهند إلى أكثر من ألف عام. وتعود النصوص الوحيدة في متحفنا والتي تؤنق آلاتنا الطائرة القديمة إلى القرن الخامس عشر، ولكنني أعرف بوجود نصوص قديمة أخرى تحتوي على مراجع عديدة تصف تصميم هذه الآلات وقدراتها".

أخبر ماكس أنه درس في أوكسفورد، وكان يتعرض للسخرية على الدوام من قبل زملائه البحّاث عندما يعلن أن أولى الآلات الطائرة لم يطوّرها كيني هوك في الولايات المتحدة بل تم تطويرها في الهند. وأكد أن نصوص المتحف تحتوي على رسوم توضيحية، ولكنه قال إن ماكس سيكون بحاجة إلى موافقة القيم على القرن الخامس عشر لتحريك النصوص وفتحها من دون إلحاق الضرر بها. وإذا منحه الإذن، يكون الأمر استثناء لسياسته العامة، كما قال، فيسمح لهم بالتصوير.

وازدادت حماسة ماكس عندما أدرك أنه على شفير اختراق هام. ولكن الوقت هو الأساس بما أنه يجب توجيه رسالة الأدونات في اليوم التالي.

قاسمُدعي القيم على القرن الخامس عشر، وعندما وصل، تم تعريف ماكس إليه على أنه "بي. أن".

كان رجلاً في أواسط العقد الثالث من عمره، رماديّ الشعر، معسول اللسان ولطيفاً. لقد درس في جامعة بوسطن في الولايات

المتحدة، وحصل على مقررات دراسية عدة في الرياضيات المتقدمة والأنتروبولوجيا بينما كان يعمل للحصول على شهادة متقدمة في علم الآثار.

وشاءت الصدفة أن يكون قد تلقى علومه على أيدي أساتذة درسوا مع أساتذته في يال. فبعث هؤلاء الأساتذة قاموا بتدريس ماكس.

لقد بدا الأمر كما لو أنه اجتماع عائلي ثقافي.

وأفضل المتحف، وبات بي. أن مستعداً لمرافقة ماكس في أرجاء ردهة القرن الخامس عشر وتعريفه إلى المعارضات كافة من دون مقاطعة. وكان المخطوط الذي يتعين تصويره في حالة جيدة، ولن تُطرح أي مشكلة إذا فُتحت صفحاته التي تشير إلى الآلات الطائرة القديمة.

وطمأن ماكس بأنه سيتأكد من قيام بي. أس. بتوفير الإذن المطلوب وتمكينه من التقاط الصور بعد ظهر اليوم التالي. ودعا ماكس إلى مرافقته إلى منزله لتناول العشاء.

"أعرف أن عائلي ستكون سعيدة بلقائك"، قال بجمرة، وأضاف: "يتعين علينا الذهاب بواسطة القطار".

لقد بدا لماكس كما لو أن الجميع في دلهي موجودون في المخطلة. ومسرّ بي. أن. عبر الحشود، وعثر على قطاره، وشق طريقه إلى مقصورة تحتوي على ثمانية مقاعد محجوزة. كان هناك ستة رُحَمةين آخرين من الطبقة العليا، على غرار بي. أن. جالسين، فسلم على كل منهم كما لو أنه يعرفهم بسبب تقاليدهم التي لا تُحصى ولا تُعدّ.

كان الركاب الأقل حظاً يجلسون خارج المقصورة على أرض القطار، وأولئك المتسكنون بأعلى القطار يتشبثون بحياقمهم العزيزة

كلما تمایل إلى الأمام والوراء عندما يتوقف وينطلق كل خمس أو عشر دقائق.

ومن نافذة المقصورة، شاهد ماكس الحقول والعمال العائدين إلى منازلهم في البلدات الصغيرة القائمة على امتداد الطريق. كان الأمر أشبه بالعودة في الزمن قرناً إلى الوراء أو أكثر.

عندما خرجا من القطار بعد أربعين دقيقة، كانوا في بلدة صغيرة ذات شوارع قدرة حيث يقود عدد كبير من الأطفال دراجات هوائية، ويمارسون لعبة زُكل الصفيحة المعدنية وألعاباً أخرى. وأثار ماكس ولون بشرته الفاتحة فضول الأطفال، قام العديدون بفركه للتحقق مما إذا كان مطلباً بذلك اللون الأبيض الزهري الغريب الذي يوجد تحته اللون الأحمر المائل للون أجسادهم.

ومازح بي. أن. الأطفال، والتفت إلى ماكس ليشرح الوضع.

"بالرغم من كوننا على بُعد عشرين ميلاً فقط من نيودهي، أنت أول شخص أبيض يراه هؤلاء الأطفال. يظنون أننا خدعة ولا يمكنك أن تكون بهذا البياض".

"ويتساءل آخرون عما إذا كنت مريضاً. فمدارسنا بدائية في هذه البلدة، والأطفال في هذه القرية يعيشون في عزلة تامة باستثناء عائلي وعائلات برّمية أخرى. هم لا يعرفون أي شيء عن العالم الخارجي. لم يسبق لهم أن سمعوا بأميركا".

بعد خمس عشرة دقيقة من السير في الشارع المكسو بالغبار، والذي تقوم على جانبيه أشجار كُيلك، دخل بي. أن. وماكس بوابة باحة منزل العائلة. كان المنزل المؤلف من طابق واحد متبسطاً ويتباهى بفناء كبير. كان هناك رواق خارجي مسقوف واسع يمتد على

ثلاثة جوانب وعليه كراسي، وطاولات، وأرجوحات للنوم، يشغلها أكثر من عشرين شخصاً.

ويعيش في منزل العائلة عدد مساوٍ، أو أكبر، من النساء، كما شرح بـي. أن، ولكنهن كنّ في المطبخ يساعدن على إعداد الطعام، أو يسترخين في غرف التجمع الكبيرة داخل المنزل.

فعرّف بـي. أن. كل أفراد عائلته إلى ماكس؛ زوجته وابنته الصغيرة، والده، وعدد كبير من الأسياء الآخرين. كان الجميع يرتدون ملابس بسيطة مع ثياب هندية تقليدية وعلى وجوههم ابتسامات رضى. وفي أثناء تعرّض ماكس لسؤال تلو الآخر بلغة إنكليزية خالية من الأخطاء، أدرك أنه بالرغم من الفقر البادي على اغيظ، فهذه المجموعة مؤلفة من أشخاص مقتدرين ومطلعين. كانوا محترفين، ومنهم المهندسون المعماريون والأساتذة والمهندسون المدنيون الحائزون على أعلى الشهادات، وقد سافر عدد كبير منهم إلى الخارج لتحصيل العلم والعمل.

وقراءة نهاية المساء، كان ماكس جالساً في الفناء المكشوف عندما قامت امرأة بتقديم الشاي إليه في أثناء تبادل أطراف الحديث مع غوبتا، عمّ بـي. أن، كان غيلاً، ولانقاً، في الخمسين من عمره، عاش في إنكلترا ودرس الفلسفة في جامعة أوكسفورد. كان مفكراً حقيقياً حائراً على شهادة متقدمة في الهندسة المعمارية من جامعة كامبريدج، إضافة إلى شهادة في علم الاقتصاد من كلية لندن لعلم الاقتصاد.

في سنّ الخامسة والثلاثين، أصبح المدير الإداري لجامعة دلهي. كان بـي. أن. يُدعى له على غرار أشقائه الخمسة، ويطلبون على الدوام مُصمّم العمّ غوبتا في أمور تتعلق بالمنهنة، أو السياسة، أو علم الاقتصاد.

إنه أول شخص يستمتع ماكس معه بمناقشة الأفكار المعقّدة لسييتوزا، ووايتهيد، والفلاسفة الآخرين المفضّلين لديه، منذ أن منحه يال من دراسة الفلسفة.

وشاطر ماكس أيضاً العمّ غوبتا حادثته وقعت في اليوم السابق في أنسءاء قيام مراسل هندوستان تايمز، وهي أكثر صحيفة في الهند باللغة الإنكليزية، بإجراء مقابلة معه.

لم يطلب إجراء هذه المقابلة، ولكن بواب الفندق اعتبر أن الأمر جدير بالمحاولة بعد اطلاعه على مشروع ماكس، واتصل بالمراسل. كان ماكس قد حاول أن يشرح له أنه ليس المسؤول عن الفيلم، ولكن البواب رفض الإصغاء إليه.

"يا لحماقتك، يتضح من هالتك أنك الشخص المسؤول. لا يمكن إتمام هذا الفيلم من دونك". قال بالرغم من اعتراضات ماكس. "انعاضى مع الأشخاص الأكثر اقتداراً في العالم، ويمكنني التأكيد لك أنك رجل مميّز جداً. في الواقع، يمكنني أن أتبين من خلال هالتك أنك لا تتمتع بأي كرم^(*)، ولكنك هنا في مهمة خاصة لمصلحة الآخرين".

وضحك غوبتا عندما نقل له ماكس الحديث، ولكنه أجفل ماكس بتعليقه التالي. "لست واثقاً من سبب تكبّده عناء قول ذلك لك". قال غوبتا: "ولكن الأمر جدير بالمحاولة حقاً. أنا أيضاً أستطيع قراءة هالتك، ولا شك في أنك لم تولد في حالة الكرم^(*)".

"مع ذلك، لا تدع الأمر يُربكك. فأنت مسؤول عن أعمالك هنا حتى وإن لم تكن تتمتع بأي كرم، ولا شك في أنك حققت بعض

(*) الكرم: هي العقابة الأخلاقية الكاملة لأصل الفرد في طور من أطوار الوجود (فقد).

الكسما في حياتك. لستُ خبيراً في هذه المسائل وأوليتها قليلاً من الاهتمام لأن الحياة يمدّ ذلها زخرة بالتجديدات. لا أظن أنك بحاجة إلى إرباك نفسك بهذه النظريات الفلسفية. تابع فقط التركيز على عملك، وستعيش حياة طويلة ومنتجة".

بعد ذلك، شعر ماكس بما يكفي من الارتياح لمشاركة غوبتا خبرته مع ماريبا. وفي أثناء مواصلة مناقشة طبيعة الزمن والخير الزمني، حاول ماكس تطبيق نظريتهما على ما كان قد خبره.

"هل لا تزال تلك اللحظة التي خبرتها موجودة؟ هل من المقدّر لماريا ولي أن تتشاطر الحياة معاً وهل تتشاطر هذه الحياة في أثناء تحدّثنا؟".

"باختصار، نعم". أحاب غوبتا: "تلوم هذه اللحظات إلى الأبد، ولكن إذا لم تكن موجودة معها الآن، ولا تسمح لك الظروف أن تكون معها في المستقبل، عليك ألا تقلق في هذا الشأن. فالاختيار الذي مررت به يحملك على الشعور بأن وضعت آنذاك حدث معك من قبل. هو ليس علامة لحياة مستقبلية، ولست بحاجة إلى السعي وراءه".

فصدم ماكس قليلاً بسبب مقاربة غوبتا العملية، ولكنه تأثر بحكمته وأراد التحقق من شعوره حيال أحداث روحانية أخرى.

وفكر ملياً في مشاطرة حدث اختباره حالة النورانية والأسماء الاثني عشر التي رآها، ولكنه قرر عوضاً عن ذلك أن يسأل غوبتا عن رأيه بمارسي اليوغا وبالمعلمين الهندوس الذين يذيع صيتهم في الولايات المتحدة.

"يستطيع ممارس حقيقي لليوغا السفر إلى أي مكان في الكون". شرح غوبتا: "لقد تعرّفتُ إلى هذا النوع من الأشخاص، وقد كانوا استثنائيين. هم لا يعلنون عن قدراتهم ولا يحاولون جني المال من خلال القيام بتدّع".

فتسافحاً ماكس إلى حدّ ما بالثقافة الواسعة التي يتمتع بها هذا الرجل، وقرر مواصلة الحديث معه.

"تعني أنه في استطاعة ممارس حقيقي لليوغا الذهاب إلى أي مكان في الكون بواسطة فكرة؟".

"لا". قال غوبتا مصححاً: "يمكنه القيام بذلك بواسطة جسده". عندئذ، دنا بسي. أن، من ماكس وأشار إلى ساعته.

"لا مزيد من القطارات لهذا المساء، لذلك يتعيّن عليك العودة بالحافلة، ويجب علينا أن نوصلك إلى المحطة على الفور وإلا أغفلت آخر رحلة بالحافلة إلى المدينة"، قال محذراً، "هناك عربة يجرها شخص في الانتظار". وبينما كان ماكس يقف ويستعد للمغادرة، أضاف بسي. أن.

"ربما أراك عندما تعود إلى التصوير". وسلّم ماكس بطاقته التعريفية. "لتبقّ على اتصال".

* * *

هكذا، وجد ماكس نفسه على متن حافلة متجهة إلى دهي القديمة. ولم يكن ركاب الحافلة جديريين بالاحترام على غرار ركاب القطار، وبدوا أشراراً في الواقع.

وعندما ترحّل من الحافلة، بدا الأمر أكثر سوءاً. كان يحيط به نشالون، ولصوص شائعون، وقوّادون، وفتيات ليل، ومتسكّون، وأشخاص على شفير الموت، ومرضى، ومتشرّدون. وميقياً وجهه نحو الأسفل، وشاقاً طريقه باتجاه عربة يجرها شخص، تمكن من الفرار من نانة الخوف والمرض اللذين يغلفان المحطة نفسها.

وفي غضون دقائق، عاد ماكس إلى فندق أشوكا بالاييس وتوجه إلى غرفته. وشعر بقليل من الدهشة عندما رأى ماسح الأحذية نائماً في

الكسوة عارج باب غرفته. فعرف أنها عادة متوارثة منذ زمن الحكم الإنكليزي للهند، إذ يترك نزلاء الفندق أحذيتهم خارج أبواب غرفهم ليتمّ تلميعها وإعدادها لتكون صالحة للانتعال في صباح اليوم التالي. لم يسبق له أن فكر أبداً في كيفية تلميع حذاءه.

فاعتذر بسبب إيقاظ الرجل الذي تمثل ردّ فعله الوحيد بسؤال ماكس عن حذاءه. فسلمه إياه.

بعد دخول الغرفة، استسلم ماكس للنوم بسرعة ما إن لامس رأسه الوسادة.

ومع ذلك، فقد استيقظ مراراً في أثناء الليل ليجد جسده طافياً فوق السرير. فيظن أنه يحلم، ولكنه كان يمد يده ويدرك أنه غير مُستلقٍ على الفراش.

كسان يحوم في الهواء من دون الالتكاء على أي شيء، سائحاً فوق السرير. ومن دون أي إنذار، شعر ماكس بمحضورٍ يمسك يده اليسرى. بدا الأمر كما لو أنها يد بشرية، ولكنها أكثر خفة. فأدرك أنه جسد نسوراني يملك ميزات الجسد البشري كافة، ولكن لا كثافة له. وخاطبه صوت قائلاً:

"لا تخف، أنا ممارس يوغا أرسلني غويتا. لقد استمتع بالحديث معك هذا المساء ويريدني أن أريك حقيقة ما أحرك به."

"يمكننا الذهاب إلى أي مكان ترغب فيه في الكون". وسأل ممارس اليوغا: "إلى أين تريد الذهاب؟".

فقال ماكس بشكل فطري من دون أن يعي ما الذي يجري. "إلى القمر".

وفي لحظة من الزمن، شعر بجسده الخفيف يسافر إلى القمر. كان بجسده المادّي، ولكن من دون كثافة على غرار جسد ممارس اليوغا،

محفوظاً بمزاياه كافة وأحاسيسه وقدراته على التفكير والتحدث والملاحظة. كان القمر رمادياً وبلا حياة، ولكنه يحمل طابعاً غبارياً وسائلاً في السوق نفسه. كان شفافاً تقريباً ويوحى بانعدام الوزن في أثناء وثوبه من مكان إلى آخر، مما حدا بماكس على الظن أحياناً أنه قد يقع على القمر. وبعد قليل، خاطبه ممارس اليوغا مجدداً.

"إلى أين تريد الذهاب أيضاً؟".

كان لا يزال مُربكاً إلى حدٍّ ما، ولكنه تمكن من الإجابة.

"خذني إلى الكوكب الذي تحيط به حلقات".

على الفور، وجد ماكس نفسه في مكان يوحى بأكثر قدر من الإحساس باللون البرتقالي الذي لم يسبق له أن اختبره من قبل. إنه لون لم يرَ ماكس مثيلاً له على الأرض، لون واضح وساطع يُثبت أنه اختبار حقيقي وليس مجرد حلم أو خيال.

وأمضى ما بدا أنها ساعات عدة منتقياً باللون البرتقالي للكوكب، ولكنّ ممارس اليوغا خاطبه مجدداً.

"إلى أين تريد الذهاب أيضاً؟".

"أه، هذا يكفي لأمنية واحدة". أجاب ماكس: "في استطاعتنا العودة الآن. ينتظري يوم شاق".

وبسرعة ووصولهما إلى القمر والكوكب البرتقالي، عادا إلى غرفة الفندق في فندق أشوكا بالايي القديم.

كان جسد ماكس الذي يتمتع بكثافته المعتادة طافياً على ارتفاع ست بوصات من السرير، ولا يزال ممارس اليوغا ممسكاً بيد ماكس الذي شعر أن جسده الخفيف عاد إلى كثافته الطبيعية.

وشعر أن ممارس اليوغا يتسم له ويغادره، وهبط جسد ماكس ببطء على السرير، ونظر إلى الساعة.

إنها الرابعة وأربع وأربعون دقيقة صباحاً.

فقرص نفسه للتحقق من أنه لا يحلم، وعاد إلى النوم.

عندما استيقظ بعد أربعين دقيقة فقط، نظر حوله في أرجاء الغرفة للتحقق من أنه لا يزال في فندق أشوكا بالاييس. ونهض عن سريره، ونظر عبر النافذة إلى المرحلة الخضراء، وشم هواء الصباح، ونظر إلى الزهور والفاكهة الموجودة على طاولة غرفته، وابتسم متأملاً رحلته الليلية.

ونظر إلى نفسه في المرآة ليتحقق مما إذا كان ماكس نفسه الذي كان عليه في اليوم السابق. وشكك في لحظة من الزمن في الاختبار كله، ولكنه لاحظ ترويحاً في وجهه، ورأى للمرة الأولى الجسد الأثري ضمن جسده، شيئاً لم يره من قبل.

في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم، عاد ماكس إلى المتحف الوطني، وتمت مواكبته إلى مكتب المدير. فابتسمت السكرتيرة في أثناء تسليم رسالة إلى ماكس.

"شغلتُ منصب سكرتيرة المدير طوال أكثر من خمسة عشر عاماً. قالت، وبدت الإثارة في صوتها: "إنها المرة الأولى التي يُطلب مني طباعة رسالة تُمنح الإذن لشخص ما بالتصوير. لا بد من أن مشروعك على قدر كبير من الأهمية. أهتُك".

وأخذ ماكس الرسالة إلى مكتب بروجاب أكبر بعد ظهر ذلك اليوم، وعندما فتح رئيس الشؤون الثقافية المغلف، ظهرت على وجهه ملامح عدم تصديق كامل، وعينية أمل.

"أعترف أنني مندهش". قال بصديق: "ولكن المدير بمنحك وفريق عملك الإذن للتصوير في المتحف، وهذا ما سيحدث. لقد عُيِّن لك

مشرف للتصوير، وسيلتقيك وفريق عملك في فندقك يوم الثلاثاء عند التاسعة صباحاً".

وخرج ماكس من المكتب، ومراً أمام القردة التي ترتدي بذلات حمراء، وواصل البحث عن المواقع المثبتة الواردة في لائحته؛ المرصد الفلكي القديم في دلهي وكهوف أجانتا خارج بومباي.

فهذه الأماكن هي بعض من الأغاز غير المحلولة التي تشكل جوهر الهند.

كان ماكس يعلم أنه يتعين عليه أن يكون في المطار عند الرابعة من صباح اليوم التالي لإنهاء المعاملات الجمركية وإخراج فريق عمله إلى فندق أشوكا بالاييس، لذلك تناول عشاءً باكراً واستعد للخلود إلى النوم.

وفي أثناء إفراغ جيبه، قرأ بطاقة بـي. أن. التعريفية للمرة الأولى.

القيّم على القرن الخامس عشر

المتحف الوطني في دلهي

براما نيبال ماهارز

لقد صُنع للمرة الثالثة بسبب مروره بحالة من الوضوح المفاجئ والإلهام المذهل.

فـبي. أن. هو براما نيبال ماهارز، الاسم الثالث بين الأسماء الاثني عشر.

إن القيم على القرن الخامس عشر مرتبط بـماكس على نحو يتخطى منح الإذن للتصوير في المتحف الوطني.

على متن الطائرة إلى اليابان

آب/أغسطس 1973

بعد التحديات السيّ واجهها في أثناء إعداد مجموعة بسيطة من النسخات في دهي، كان ماكس مستعداً لدى بلوغه اليابان للتعاطي مع مجتمع التكنولوجيا المتقدمة المنظم والفعال المؤلف من سكان مدينة طوكيو. كان قد تمّ استخدام مترجم، واستئجار سيارات، وتأمين سكرتيرات، وكانت الاتصالات بالولايات المتحدة سهلة نسبياً. وما لم يكن سهلاً في الواقع أهم في شهر آب/أغسطس الذي تبدو فيه اليابان كلّها في إجازة، كان ماكس قد خطط لاصطحاب فريق العمل إلى هوكايدو، وهي الجزيرة التابعة لليابان الواقعة في أقصى الشمال حيث يعيش الآينو، وهو عرق أبيض البشرة.

فلا علاقة لهذا العرق أبيض البشرة ببقية سكان اليابان. وهناك تأويلات كثيرة حول هويتهم والمكان الذي قدموا منه، ويقترح بعض الناس أنهم متحدرون من حضارة أجنبية.

شعر ماكس أنه مكان بعيد غير ضروري بالنسبة إلى فريق العمل. وعندما وجد أنه من المستحيل حجز رحلة جوية لفريق العمل، ألقى التصوير في ذلك الموقع وأخير أعضاء فريقه أهم سيلتقطون مشاهد في المتحف الوطني بدلاً من هوكايدو.

في تلك المرحلة، كان مقتنعاً أن نظرية فون دانكيغن عن رواد الفضاء القدماء غير قابلة للتصديق تماماً. كان قد بحث - كما يقضي عقده - عن ألغاز قديمة أينما أودت به عملية البحث، وعان أكثر من عشرة ملايين قطعة موجودة في متاحف العالم ووجد ست قطع فقط من صنع الإنسان يمكن تسيبها إلى رواد فضاء قداماء أو سفن فضاء قديمة.

فالعشور على ست قطع بين مجموعة عشرة ملايين قطعة هو أمر جيد. وكلما تابع البحث ازداد إحباطه بسبب عدم جدوى إعداد الوثائقي التلفازي بالاستناد إلى الألغاز غير القابلة للتصديق التي كشف النقاب عنها.

وهناك ألغاز ستوننج وجراحة الدماغ التي أجريت قبل ستمئة عام في البيرو وثبتت أن الحضارات القديمة كانت تمتلك تكنولوجيات مثيرة للاهتمام فُقدت بطريقة ما. وشعوب الأزمنة القديمة مثيرون للإعجاب مهندستهم المعمارية، وتكنولوجياهم، وتنظيمهم الاجتماعي، وقتهم. لقد بدا الأمر كما لو أنه لا حدود لما يستطيعون تحقيقه، ولم يجد أن هناك حاجة إلى إدخال شخصيات من الفضاء الخارجي إلى حبكة الرواية لتطويرها.

ففي الحالة السيّ اختر فيها خروجه من جسده عناصر غريبة مرتبطة بمرحلة لاحقة، ولكن من الغريب أنه لم يفكر في أن الأمر مرتبط بالفضاء الخارجي. ولم يبد الأمر غير مألوف بالنسبة إلى ماكس. في الواقع شعر في أثناء الرحلة الجماعية بسلام داخلي وشعور بالانتماء.

هل ذلك يعني أنه من حضارة غريبة؟ إذا كان في استطاعة ممارسي اليوغا مغادرة كوكب الأرض والعودة إليه، فهل يُعتبرون أغراباً أيضاً؟

لم يعتقد ماكس ذلك. لقد التقى بالتأكيد بكثير من الأشخاص في حياته، قال في نفسه، وظنّ أنهم قد يكونون من كوكب آخر، على رأسهم شقيقه، لويس. ولكن الأكثر إثارة للاهتمام من إسكانية وجود المخلوقات الأجنبية بأنواعها كافة على كوكب الأرض هو رؤية دليل على ذلك.

فتمأثل هذه الأفكار بينما كان في سيارة أجرة متوجهاً إلى المتحف للإعداد لالتقاط مشاهد مصوّرة. كان قد حصل على الأدوات بسهولة نسبية، وتعرّف إلى المعروضات التي ينوي زيارتها، مستعيناً بكتيّب. ولدى دخوله المبنى، وقع الكتيّب من يده وهمّ بالتقاطه. وعندما انحنى، سمع صوت تمزّق مرتفع.

عندما تحقق من الأمر، أدرك أن درزة موجودة في ناحية البطال حيث يجلس تمزّقت وأحدثت فتحة بقياس ثماني بوصات، كاشفة عن ملابسه الداخلية. فشنر بالإحراج ولم يكن واثقاً بما يتعيّن عليه القيام به. فحاول أن يشرح الأمر للحارس الموجود عند مدخل المتحف، قائلاً إنه بحاجة إلى إبرة وخط. ولكن الحارس لم يفهم ما قاله ماكس، إضافة إلى أن أدوات الخياطة لم تكن من مهامه.

وعندما حاول ماكس تحديد خطوته التالية، دنت منه امرأة يابانية عرّقت بنفسها قائلة إنها يوكو. كانت ترتدي فستاناً أصفر برّاقاً متمماً لشعرها الأسود ومظهرها الذي لا عيب فيه، وتكلم الإنكليزية بشكل ضعيف.

"نعالّ معي. يمكنني مساعدتك". قالت.

فأقنادهت يوكو إلى باب غرفة الرجال.

"ادخل وأعطني بطالك". قالت لماكس الذي لبّى مطلبها بالرغم من شعوره بالإحجال.

وجلست على كرسي بجانب حارس الأمن، وبعد دقائق قليلة، سلّمت ماكس بطلاً قد تمّ إصلاحه مرّماً على النحو الأمثل. "شكراً جزيلاً لك". قال بامتنان، وأضاف: "رجاء، هلاً انضممت إليّ في جولتي في أرجاء المتحف. أعمل لصالح التلفاز الأمريكي وأختار ما يجب تصويره لفيلم وثائقي".

فأبتسمت يوكو خجلاً.

"حسناً". قالت، وأمضيا الساعتين التاليتين في مشاهدة المعروضات وقيام ماكس بتدوين ملاحظات عن قطع متنوعة للتصوير. "عملك مثير جداً للاهتمام". قالت يوكو: "لقد استمتعت كثيراً بتعرفة بعض الأمور عن الألغاز اليابانية".

"حسناً، لقد استمتعت كثيراً برفقتك". أجاب: "رجاء، هلاً انضممت إليّ لتناول العشاء".

وابتسمت يوكو خجلاً مرة أخرى.

"هل أنت واثق من ذلك؟".

"أجل". أجاب: "أنا بمفردى وهناك سبب للاحتفال بما أنه المكان الأخير هنا في اليابان. رجاء، ساعدني على الاحتفال".

"إذاً، أنا موافقة". أجابت بلغتها الإنكليزية الضعيفة: "سيكون من الممتع أن أنضم إليك".

وعشر ماكس بسرعة على سيارة أجرة، وغامرا بالذهاب إلى الفندق حيث يقسم. كانت غرفة الطعام هناك مطعماً من الدرجة الأولى، وشجع ماكس يوكو للانضمام إليه لتناول وجبة متقنة.

في أثناء العشاء، تبدد بعض الحياء لدى يوكو وتحدثت عن حياتها. كانت وكيلة سفريات وعيطة، وهي الابنة الوحيدة والصغرى لعائلة عامل مصنع، وتنتمي إلى الطبقة الوسطى، ولديها خمسة أشقاء وسبعة

أبناء وبسات أشقاء، وتعيش بمفردها في استوديو صغير قائم في المبنى نفسه الذي يوجد فيه والدها المسنن، وتقع على عاتقها مسؤولية الاعتناء بهما.

وشرحت يوكو أنها ولدت خطأً عندما كانت والدتها في الثالثة والأربعين من عمرها. ولا تزال تذكر الرُعب الذي تعانيه طفلة صغيرة في أثناء الحرب العالمية الثانية، وبعد سقوط القنبلة الذرية.

بالسرغم من ذلك، كانت تستمتع بكونها وكيلة سفريات، وأكثر ما تفضله في الحياة الحصول على إجازة أسبوعين كل عام للذهاب إلى هاواي، أو باريس، أو أماكن غريبة أخرى، مع الحسومات التي تحصل عليها من وكالة السفريات التي تعمل لديها. وكشفت عن اعتقادها أنها لن تتزوج أبداً، وتشعر كما لو أن أبناء وبنات أشقائها هم الأطفال الذين رغبت في إنجابهم يوماً.

وعندما أهدت قصتها، طلب ماكس زجاجة من شراب خفيف للاحتفال بنهاية أسبوعه الاثني عشر من العمل المستمر المرهق. ووصف بعض المغامرات الأكثر إثارة للاهتمام التي اختبرها، وكانت يوكو تضحك في أثناء تناول الشراب. لم تكن معتادة على تناول المشروبات، وقالت أخيراً لماكس إنها لا تشعر أنها في وضع يسمح لها بالذهاب إلى المنزل بمفردها. وسألت ماكس عما إذا كان في إمكانها النوم قليلاً في غرفته بالرغم من أن الأمر مُعيب، فوافق.

وبعد قليل، كانا مستلقيين على السرير قبالة بعضهما بعضاً، ولم يكن في الإمكان مقاومة مزيج الشراب وتقرُّبهما الوثيق من بعضهما بعضاً.

لم يُقم ماكس علاقة حميمة مع امرأة منذ بداية أسفاره، وشعر أن يوكو لم تُقسم ربما علاقة حميمة مع رجل منذ عدة سنوات. فما بدأ

ملاصقات لطيفة أدى سريعاً إلى تطوّر الأمور بينهما، وشعر ماكس باتزان جسده وعقله وروحه مع يوكو. لم يسبق له أبداً أن تمسّس بشرة بنعومة ملمس بشرة يوكو، وكانت هشّة بقدر هشاشة دمية من البورسلان.

عندما استيقظ في صباح اليوم التالي، كانت يوكو قد رحلت. ولاحظ أنها تركت بطاقتها التعريفية على الطاولة الموجودة بجانب السرير، وعليها اسمها الكامل وعنوانها وملاحظة جاء فيها: وجودي معك كان أمراً رائعاً. اتكن عودتك إلى أميركا ميمونة وراسلي إذا أردت العودة مجدداً إلى اليابان.

XOXOXO (قبلة، معانقة)

يوكو

وكان الاسم على البطاقة:

مياكو ميتسوي

من الواضح أن يوكو هو لقب تحبب. وأدرك ماكس بوضوح ما بسات مألوفاً، وبذهول، أن اسم مياكو ميتسوي هو الاسم الرابع على لائحة الاثني عشر.

وأدرك أن التزامن قد بدأ يغدو الأمر السائد، وتساءل عن القوى التي توجهه كما يبدو من دون أن يعي ذلك. فلياً تكن هذه القوى، يبدو أن تأثيراتها تتسارع.

ومع ذلك، لم يعرف بعد مكان وجود تلك القوى التي تقوم بتوجيهه. ما لغز الاثني عشر؟ لقد باتت هذه المجموعة المتنوعة من الأسماء أمراً جديراً بالتصديق. ولكن لماذا يلتقي هؤلاء الأشخاص؟

فرحلته إلى تروجيلو لم تحدث إلا بسبب خوفه مما قد يحدث إذا عاد إلى بوليفيا، ومع ذلك، فقد التقى ماريا في تروجيلو.

أحداث الحياة تتكشف

1976-1973

ويمكن نسب لقائه بيوسكي إلى العمل الذي جمعهما، ولكن لقاءه
بيسي. أن. جاء نتيجةً للموضوع الذي أراد في. أس. نايول مناقشته.
حتى إن زيارته إلى متحف طوكيو جاءت نتيجة عدم قدرته على
الوصول إلى منطقة الآينو، ولم يكن في إمكان أحد توقع عمق بنطال
ماكس.

ويبقى الافتقار التام إلى الصلة بالأسماء الأربعة الأمر الذي لا يمكن
دحضه.

عاد ماكس إلى الولايات المتحدة وإلى أسلوب حياة
عادي.

كان على الدوام ابناً مطيعاً، وكان السبب الرئيس وراء عمله في
شركة النشر هو مساعدة والده الذي سبق له أن أصيب بنوبة قلبية.
وبعد عودة هربرت إلى حالته الطبيعية، قرر ماكس التدريس.

فعاد إلى أكاديمية فيليبس في أندوفر، ماساشوستس، لتدريس
الإسبانية لمدة عام، محاولاً أن يطبع في نفوس طلابه بعض الحماسة التي
اكتسبها من السنيور إغليزياس قبل أعوام.

ولكن مهمته في أندوفر كانت بديلاً مؤقتاً، وعندما انتهى العام
الدراسي، تلقى منحة من المؤسسة الوطنية للسلامة العقلية لدراسة
الأنثروبولوجيا الثقافية في جامعة هارفرد. وبعد ستة أشهر من وجوده
في هارفرد، أدرك ماكس أنه أخطأ.

لقد اكتشف أن الأنثروبولوجيا لم تعد تتناول دراسة الشعوب
الأصلية. في الحقيقة، لم يبق سوى القليل من المجموعات الأصلية، وبدا
أن مجرد الاتصال بالحضارة الغربية العصرية يحكم على أي من القبائل
الأصلية القليلة المتبقية بالزوال التدريجي أو الفوري.

وأدرك أن البشر العصريين يتطورون في الواقع ليغدوا ما يدعى كائنات غير بشرية. فكتب بحثاً عن الموضوع لم يقدِّره أساتذته حتى قدره. وشرح في بحثه أن الصفات الأساسية التي تجعل البشر "بشراً" على طريق الزوال.

ومن جهة أخرى، شعر أساتذته في هارفرد أن بحثه يفضي الطابع الرومانسي على الحضارات البدائية، ولكن ماكس بقي على قناعته أن أمراً جوهرياً قد غيّر السعي المتهور وراء التكنولوجيا والراحة المادية والوفرة.

وشاهد أولى الأفلام السينمائية عن التراث العرقي مثل نانوك الشمال، أخذاً في الاعتبار خبراته الخاصة التي اكتسبها جراء اختلاطه بالشعوب المعزولة في الأمازون، والهند، والأنديز، وأماكن غربية أجنبية أخرى كان قد زارها في أثناء صناعة الأفلام وإجراء بحث أنثروبولوجي. واستنتج أن فن العيش يتناغم مع الطبيعة قد فقد.

لقد طوّرت بعض هذه الشعوب البدائية وسائل لزراعة الحداثي تُعتبر أعمالاً فنية إضافةً إلى كونها مصادر للتغذية، كما ابتكرت تصاميم هندسية غيّرت اللون مع تغيّر الفصول، ولا يمكن اكتشاف هذه التصاميم في غالب الأحيان إلا لدى النظر إليها من سفوح التلال المشرفة على الحقول. ومن جهة أخرى، فقد بدا له أن بذل كل هذا الجهد في عمل زراعي جمالي لضمان إنتاج محصول ثانوي هو أمر لا يمكن تخيله.

ولاحظ أن حضارات أخرى طورت شعائر خاصة بالرقص والموسيقى أدت إلى معالجة العلاقات البشرية وصلقلها. وراقب ماكس أنماطاً من الابتكار والفرح لدى ما يدعى بشعوب بدائية حتى في أدق التفاصيل؛ تزيين عصا للحفر بنبوش خاصة، قطعة من الفخاريات، آنية

خزفية للظهو بألوان وأشكال مختلفة تُبدي الامتنان للتربة التي جُلبت منها.

لم يتجاهل ماكس فوائد المجتمع العصري والوفرة التي استمتع بها، ولكنه يعتقد حقاً أنها لم تتحقق من دون ثمن، وهذا الثمن هو التضحية بعناصر أساسية تجعل المرء بشرياً بحثاً. وشعر أن الإنسان العصري يستطور ليصبح كائناً مستهلكاً غدت حاجاته الحقيقية ثانوية، وحلت الأمور الاقتصادية والتكنولوجية الضرورية للعالم العصري مكان الحاجات البشرية الحقيقية. ولا يمكن للفرد أن يحظى بمنزلة رفيعة، ويصبح ذا نفوذ، ويحافظ على سلامته السيكولوجية، إلا من خلال تلبية متطلبات المستهلك.

كان ثمن هذه السلامة السيكولوجية باهظاً، تطوّر المرء ليصبح كائناً غير بشري، وفقاً لماكس.

ولدى طرح هذه النظريات التشاؤمية، شعر ماكس أنه يغدو أيضاً كائناً غير بشري، ولم يكن سعيداً بشعوره بالعجز. لقد ارتاب بإجراءات "العمل" و"التملك" التي بدت كما لو أنها تهيمن على حياته. فتساءل عما كان في الإمكان أن تكون عليه حياته لو بقي في تروجيلو مع ماريسا. لقد وجّه إليها رسائل كما وعد، وبلغه أنها تزوّجت، كما توقّع. كانت حاملاً بطفلهما الأول.

وبقي على ثقة أنه وماريا كانا معاً في حياة أخرى، ولكن من غير المقدّر لهما أن يكونا معاً في هذه الحياة.

في أثناء دراسته في هارفرد، استمر ماكس في تلقي دعوات لإجراء أبحاث واستطلاع مواقع لصالح أفلام وثائقية أجنبية تتطلب السفر إلى بلدان في مختلف أنحاء العالم. كان يوافق على الاضطلاع بهذه المهام كلما أمكنه ذلك بسبب سعادته بفرصة استكشاف مزيد من

الحضارات، واعتُبر الرجل المناسب من قبل العديد من شركات إنتاج الأفلام في هوليوود. كان هناك عدد قليل من الأشخاص الذين يمكنهم تولي مهمة التصوير والاهتمام بلوجستيات إنتاج الأفلام الوثائقية.

وبالرغم من ادعاء والده أن كل ما يقوم به ماكس هو مجرد هراء، وأنه يُفترض به الانتقال إلى كلية الأعمال في هارفرد حيث يمكنه أن يتعلم أموراً عملية، قرر ماكس مرة أخرى المساعدة على إتمام تصوير فيلم وثائقي بعنوان: البحث عن الفادي التاريخي.

لقد شعر بالسروور عندما علم أن راس أرنولد، المصور في البحث عن الفاز قديمة، مشارك في المشروع، وكان يتطلع إلى اكتساب خبرة جيدة أخرى في إعداد الأفلام... حتى التقى بالمنتج.

كانت أماندا هاردينغ مديرة يصعب التعامل معها، جميلة، وقد بدأت مهنتها كعارضة أزياء وأصبحت ممثلة بعد ذلك. لم تتفوق في أي من المهنتين، ولكنها تمكنت بطريقة من الطرائق من الارتقاء إلى مستوى المنتج، ربما بسبب مثيراتها... أو بوسائل أخرى.

كانت طاغية ولا أحد يحترمها، ومع ذلك فقد كانت المسؤولة، نظرياً على الأقل.

لم يكن أي شيء يُسرّ أماندا، فتلق كل شيء، لا سيما كيف تبدو، وماذا تأكل، ومدى نظافة ملابسها، واهتمامات أخرى لا علاقة لها بمشروع الفيلم الذي يتطلب احتياز خمس قارات واثني عشر بلداً في ثمانية أسابيع.

لم تكن تأكل سوى الطون المعلّب بالماء، فتيّعت شحن علب الطون لها كلما نفذت الكمية المتوفرة لديها مهما كان الأمر مكلفاً وغير ملائم. لقد حُثّ جنون ماكس بسبب تضيق الوقت على أمور لا

علاقة لها بالعمل، وحاول التركيز على التفاصيل الضرورية لإنجاز المشروع.

شمل عمل ماكس لإنتاج الفيلم إجراء مقابلات مُسبقة مع كل قائد روحي وديني رئيس على الكرة الأرضية. وتضمنت هذه اللائحة الدالاي لاما، والمعلمين الدينيين المهندوس الرئيسيين في ريشيكيش، ورئيس دير مار سابا للروم الأرثوذكس القائم خارج مدينة القدس، وحاخام القدس، ورئيس كنيسة إنكلترا، وعدداً من الرهبان في اليابان، ورجال دين مسلمين في دمشق، وعدداً لا يحصى ولا يُعدّ من القادة الدينيين والروحانيين الأقل شهرة.

وأجرى مقابلات أيضاً مع الأفراد الأكثر تميزاً على الأرض، بدءاً بعلماء الفيزياء وانتهاءً بعاقرة يتمتعون بمواهب استثنائية.

لم تترك المقابلات التي أجراها مع هؤلاء الأشخاص أثراً كبيراً في نفسه. لقد بدا معظمهم متعطين للسلطة وأكثر اهتماماً بالمحافظة على تقاليدهم وقواعدهم الشعبية التي توفر لهم النفوذ أكثر مما توفر نقل المعرفة الروحية الحققة.

فإحدى المقابلات التي تركت أثراً في نفسه هي تلك التي أجراها مع الدالاي لاما في منزله في دارامسالا، في الهند. فالدالاي لاما ذو شخصية محبّة حقيقية ويتحدث بصراحة عن الوضع العالمي وعيوبه الخاصة.

"لا أحمل الصينيين بالإجمال مسؤولية الهنة التي يمر بها شعبي التيبتي"، قال شارحاً، "كان المجتمع التيبتي فاسداً وطاغية. كان لدينا فلاحون مستعبدون ومجتمع غير منصف. لقد رتب الصينيون الأمور، ولكنهم ذهبوا بعيداً بذلك. إنهم يدمرون الحضارة التيبتيّة، ونحن بحاجة إلى العمل معهم للعثور على حل أفضل لمصير شعبيّ."

"أنا موجود لمنفعة شعبي"، أضاف شارحاً، "أنا لست قائدهم الروحي فحسب، بل قائدهم السياسي أيضاً. قد أكون آخر دالاي لاما، قد لا تكون هناك حاجة إلى دالاي لاما آخر في المستقبل. فإذا تمكنت التيت من الاندماج في المجتمع الصيني والمحافظة على حكمها الذاتي، أكون قد حققت غايتي. يُفترض السماح بازدهار البوذية.

لقد استمتع ماكس كثيراً بهذه المقابلة، ولكن بقية الرحلة كانت مُثقلة بالمواقف المزعجة والمحبة للأمال بسبب اضطرابه إلى التعاطي مع متطلبات أماندا المنطوية على اضطراب عصبي، ومع قادة روحين مغرورين وتواقين إلى السلطة تعين عليه إجراء مقابلات معهم.

ومن جهة أخرى، لاحظ أن الطاقة السلبية التي تجسدها أماندا تبدو متجانسة مع العديد من أولئك المشاركين في المشروع. فلم يتمكن من الامتناع عن التساؤل عما إذا كان ذلك دليلاً إضافياً على التزام ومدى ارتباط الطاقات السلبية والإيجابية بمستواها الخاص من الطاقة الفكرية.

غالباً ما كان ماكس يفكر في الاثني عشر وفي بحثه الروحي الخاص. لماذا اختير للقاء كل هؤلاء المعلمين الروحيين والدينيين؟ فأَيّ منهم لا يبدو على صلة بأسمائه الاثني عشر. حتى إن أيّاً منهم - باستثناء السدالاي لاما - لا يجيد إجراء محادثة منسوجة. فغالباً ما يكون أفراد مشرون للجلد محط ثقة أشخاص في الشؤون الدينية.

بلغ الأمر ذروته في البلدة الهندية الصغيرة قاديان التي ازدهرت في الصحراء.

وسافر ماكس إلى لاهور حيث أجرى مقابلة.

لقد قيل له إن قرية قاديان الصغيرة الموجودة بالقرب من أمريتسار، أساسية للمشروع، فتشجع للذهاب إلى هناك، والتقاء الأكبر سنّاً.

وهكذا، طار ماكس إلى أمريتسار، وعندما هبطت الطائرة، طُلب منه انتظار نزول الركاب الآخرين من الطائرة. وعندما حان دوره لمغادرة الطائرة، وجد أن الدرج مكسوٌ بسجادة حمراء تمتد مسافة ثلاثين قدماً على المدرج، ويقف إلى جانبي السجادة رجال ذوو بشرة داكنة يحملون أكاليل ضخمة من الزهور.

وعندما نزل الدرج ووطئت قدماه الأرض، غُمر بأكاليل الزهور هذه، فبلغ بعضها ركبتيه. وفي نهاية السجادة، كانت هناك طاولة عليها شاي وكعك مُحلى، وقد دُعي ماكس للتمتع بها.

بعد تعريفه إلى مضيفيه، رئيس بلدية البلدة وقادة دينيين متنوعين، شرب ماكس كوكسي الشاي الذي يُفترض به تناولهما إضافةً إلى كعكيتين، وتمت مواكبته إلى سيارة رولس - رويس بيضاء قديمة مركونة في مكان قريب.

لقد طُلب منه الجلوس في المقعد الخلفي مع ثلاثة من مضيفيه، يرتدي كل منهم بذلة بيضاء، وحلّة رسمية، ويعتمر قبعة مستطيلة الشكل، أي في الزي التقليدي.

وحسب في الرولس - رويس، كاد المقعد الخلفي لا يتسع لأربعة أشخاص، وأُثُك ماكس براحة أجساد مضيفيه الذين اشتبه أنهم لا يستحمون يومياً بل بلغم الصحراوية.

وبعد ذلك، وعندما سلكت الرولس - رويس طريقاً تريبياً، أصبحت الجولة في السيارة أقل متعة. وبالرغم من متانة السيارة، فقد تسببت الأحاديث الموحدة في الطريق بقفزات كبيرة، وبذل ماكس جهده حتى لا يتقياً. وبعد أربعين دقيقة، أبطأت السيارة عند حدّ فاصل في الطريق يوجد أمامه شاب على دراجة نارية.

لدى رؤية الرولس - رويس، سلك سائق الدراجة النارية الطريق الداخلي باتجاه وسط البلدة مباشرةً، وسلكت السيارة طريقاً دائرياً يمر بجانب مقبرة في الضواحي.

وتطلب الأمر عشر دقائق لتصل السيارة إلى وسط البلدة، وسمح الوقت الإضافي باستعداد القرية لاستقبال "ضيفهم بالغ الأهمية". وتوقفت السيارة مترنحة، وعزفت فرقة موسيقية على المنصة، ورفعت راية ضخمة تحمل حروفاً حمراء كبيرة بالإنكليزية: أهلاً وسهلاً هوليوداً!

فخرج ماكس من السيارة، وألقى رئيس بلدية البلدة خطبة، وذكر الأمر ماكس بالترحيب الذي لقيته دوروثي من رئيس بلدية مانشكين عندما قُتل منزلها ساحرة الغرب الشريرة.

واستمرت الفرقة الموسيقية في العزف، وبعد ذلك، تمت مواكبة ماكس إلى الشارع الرئيس للبلدة حيث تجتمع كل السكان على جانبي الطريق بحسب الأقدمية الروحية لتلقي بركة ماكس. فلمس كل فرد ماكس وحاول معانقته. وبلغ ماكس أن هناك ألقى شخص، ووجد الاختبار مرقعاً.

بعد إلقاء التحية على كل البلدة، تم اصطحابه إلى منزل مميز للضيوف حيث أعدت مأدبة تحتوي على الأطباق الأكثر أهمية وإمتاعاً التي يمكن لأهل البلدة تقديمها له. كان هناك بلّح، برش جوز هند طازج، أشربة غير كحولية، ومقبلات خاصة، وتلت ذلك مجموعة من الأطباق الرئيسة التي تحتوي على العديد من أطباق الخضار الغريبة إضافة إلى اللحم، والسلمك، والطيور الداجنة.

كانت وجبة وافرة ومنوعة أشبه بمأدبة ذكرى الشكر، يبدو أن لا نهاية لها.

* * *

بعد ساعتين من قبولة ضرورية جداً، استعدّ ماكس للحولة. عندها فقط، اكتشف سبب هذا الترحيب الملكي الذي حظي به. لقد تحقق التوقع الثاني عشر الذي توقعه مؤسس البلدة في القرن التاسع عشر.

فالتوقعات الإحدى عشرة الأولى تتضمن ادعاءات مثل: ستزهر الصحراء.

ستصبح مجموعة العائلات الاثنتي عشرة المؤسسة أكثر من اثني عشر مليون.

يتم بناء معبد ضخم يتسع لأكثر من مئة ألف متعبّد. لقد تحققت هذه التوقعات إضافة إلى توقعات أخرى واهية، ولكن مع وصول ماكس؛ ممثلاً فريق تصوير من هوليود؛ اكتمل التوقع الأخير.

سيقصدنا العالم.

بعد اتضاح ذلك للغز، شرع ماكس بتفحص المواقع المبحلة الموجودة في البلدة.

وأدرك بسرعة أن لا وجود لأي شيء مشوق يمكنه إغناء الفيلم، ولا حاجة إلى إضافة أي من تفاصيل معتقدات أهل البلدة. وهكذا، اقتصر عملهم في نهاية المطاف على عدد كبير من التوقعات والخبرات الذاتية للمعتقدين بها... أو للذين اختاروا عدم الاعتقاد بها.

لويس

1976-1977

بينما كان ماكس ينتقل في أنحاء العالم، كان لويس ينهي عام التخرج من كلية الحقوق في جامعة ديوك، كارولينا الشمالية. كان في المرتبة الأخيرة في صفه في ديوك، ليس بسبب عدم قدرته على الدراسة، بل بسبب عدم رغبته في ذلك. كان يشعر أن والده يدين له بتوفير سبل العيش، لا سيما وأنه يكره أكثر مما يكره ماكس.

كان لويس قد أسرّ لماكس أن السبب الوحيد الذي حمله على ارتياد كلية الحقوق يتمثل بكون برنامج التخرج فيها هو الأطول والأكثر تكلفة بين الجامعات الأخرى. كان يعلم أن والدقما ستجبر هربرت على دفع تكاليف كلية الحقوق لأن الدراسة هي أولى الأولويات بالنسبة إليها.

في الصيف التالي لتخرج لويس، أمّن له هربرت عملاً في شركة محاماة في مدينة نيويورك. وفي الوقت نفسه، بدأ لويس بالاستعداد لإجراء امتحان بخصّوّه مزاوله مهنة المحاماة، وهو الاختبار نفسه الموجود في دليل الاستعداد للاختيار الأولي الذي قامت شركة النشر التابعة لوالده بنشره.

ومن المثير للسخرية أنه رسب في الامتحان في الماولتين الأوليين، ولم ينجح إلا في الماولة الثالثة. لقد تطلّبه ذلك أكثر من عام، وشغل في

هذه الأثناء منصب موظف متدبّي الرتبة في شركة غوتليب هاريس ذات المكانة الرفيعة.

فغوتليب عام في محكمة الجنايات، وكان وكيل بعض أبرز رؤساء المافيا في مدينة نيويورك. لقد التقى هربرت غوتليب في حفلة بحرية لمنظمة الدفاع عن اليهود، وأصبحا صديقين بشكل غير منتظم. وأوضح هربرت للويس أنه يؤدي له خدمة جُلّي بتأمين عمل له في شركة محاماة مماثلة. من جهته، شعر لويس أنه يؤدي لوالده صنيعاً كبيراً من خلال شغل منصب لا يعود عليه بأي مبلغ من المال.

كان لويس يكره العمل لصالح غوتليب الذي يعتبره غشاشاً على غرار موكليه، ويشكو إلى والدته قائلاً إنه لا بد من أن يكون هربرت مجسماً أيضاً بسبب اتخاذه غوتليب صديقاً له. ففي أثناء وجوده في الكلية، كان لويس قد اعتبر نفسه شخصاً أخلاقياً ذا أفكار متصلة حيال السلوك الأخلاقي والأخلاقي، فيقول إنه يشعر أن أي سلوك ناجم عن "الكسب السهل" لا بد من أن يكون غير أخلاقي.

ولسدى مواجهته بواقع أنه اعتمد على والده مالياً طوال حياته، كان يجيب بصوت عال قائلاً إنه لا يعتبر ذلك "كسباً سهلاً"، إنما ظروف مختلفة كونه الابن البكر.

وفي أثناء مناسبة من مناسبات الشكر، انفجر لويس أخيراً غضباً وحقدًا وإحباطاً في وجه والده. كان ماكس خارج الوطن، وهكذا، فقد كانوا هم الثلاثة فقط في غرينويتش. وسلم لويس هربرت رسالة من مصلحة الضرائب تهدد باتخاذ إجراءات ضده بسبب عدم تسديد ضريبة الدخل، هو أمر آخر اعتبره لويس غير منصف، نظراً إلى الدخل الضئيل الذي يكسبه في شركة غوتليب هاريس.

"من غير المنصف أن يكون عليّ دفع ضرائب"، قال لويس بغضب، "لذلك الكثير من المال، ويُفترض بك تسديد ضرائبي".

فضحك هربرت في أثناء إعادة الرسالة إلى لويس.

"إنه أمر مثير للسخرية. الجميع يدفعون ضرائب، وهذا الأمر يشملك أيضاً".

"حسناً، في هذه الحال، سأبدأ بإرسال فواتير إليك وإلى والدي بسبب الوقت الذي أمضيه هنا. سيكون سعري الخاص لكما 50 دولاراً في الساعة، ولكن مضي على وجودي هنا أكثر من أربع وعشرين ساعة، لذلك أنتما تديتان لي بأكثر من ألف دولار".

فضحك هربرت بصوت أعلى، ولكن كانت هناك خشونة في ضحكته. ونهض وغادر المائدة، واتجه إلى غرفة الحديقة حيث يجلس على كرسيه المفضل بين النباتات بالقرب من المدفأة، ويبدأ بقراءة الصحيفة.

كان هربرت قد تعرّض منذ مدة غير طويلة لنوبة قلبية ثانية، ويعلم أنه يُفترض به تجنّب مواجهة الانفعالية مع ابنه البكر.

فتح لويس هربرت وواصل الجدل قائلاً إنه يُفترض بوالده الدفع لقاء "خدماته القانونية". وعندما أوضح والده أنه لن يسدّد أي فاتورة من فواتير لويس - أو ضرائبه - وأنه يتوقع منه الحصول على وظيفة حقيقية بعد أن نجح في امتحان مزاوله مهنة المحاماة، شرع لويس بالصياح، ناعثاً والده بالمخادع والغشاش.

أخيراً، نهض هربرت وهمّ بصنع لويس، الأمر الذي لم يفعله مذ كان ابنه في الثانية عشرة.

إنه الاستغزاز الذي لطالما انتظره لويس. فأمسك بعنق هربرت، وأوقعه على الأرض الرخامية الصلبة، وبدأ بضرب رأسه بالرخام.

ووجّهه إلى والده مزيداً من الألفاظ البذيئة، مُطلقاً كرهه الدفين الذي تراكم طوال سنوات حياته.

"أنها الأخرق، لم تُردني أبداً! لم تُعَيّنني أبداً".

وحمل الضحيج جارين على الإسراع إلى غرفة الحديقة وفصلهما عن بعضهما، ولكنها لم تكن قوية بما يكفي لإبعاد لويس.

فهرعت إلى الهاتف واتصلت بالشرطة التي وصلت في غضون دقائق. فوجد رجال الشرطة هربرت على الأرض الرخامية فاقد الوعي جزئياً ومغطى بالدماء، وتضع جارين المضطربة منشقة على رأسه.

سحب الشرطيان سلاحهما وبجنا بجذراً في أرجاء المنزل. ولم يلبّ الأمر طويلاً حتى حاصراً لويس في المرأب حيث كان يوجّه ضربات إلى سيارة الرولس-رويس الخاصة بهربرت بواسطة فأس.

وبعد إخضاعه، ساقاه إلى السجن في أثناء وصول سيارة الإسعاف لنقل هربرت إلى المستشفى.

أصيب هربرت بارتجاج في الدماغ، ولم يتمكن من مغادرة المستشفى قبل عدة أيام، ولكنه لم يُصَبّ بضرب دائم كما يبدو.

لقد اختبر للمرة الأولى، وبشكل مباشر، الغضب الذي كان يصيّه لويس على ماكس، وأدرك أن لويس لم يكن كسولاً وبغيضاً فحسب، بل خطراً أيضاً.

بالرغم من ذلك، وعندما حان وقت محاكمة لويس، لم يتمكن هربرت من الامتناع عن الإدلاء بشهادته ضد ابنه. وتم التوصل إلى اتفاق مع النائب العام يقضي بتمضية لويس ثلاثين يوماً في مصحة للأمراض العقلية بدلاً من إيداعه السجن. وإذا شعر الأطباء بعد مرور هذا الوقت أنه أهل للاهتمام بنفسه، يُطلق سراحه.

خبية أمل

1978

عاد ماكس إلى هارفرد مرتاحاً، ظناً منه أن قيامه باستخدام الأنثروبولوجيا في أثناء إعداد أفلام وثائقية سيكون محط إعجاب أساتذته وزملائه.

ولكنه شعر بإحباط كبير لدى معرفته أن مهنته الجانبية لم تلقَ الاستحسان من قبل زملائه في الجامعة. فهذا التبسيط للمعرفة لم يكن ثقافة جدية يرايهم. لقد شعروا أن التقدير الذي ناله ماكس غير لائق تقريباً وغير ملائم لطالب متخرج.

وبتحرر أساتذة ماكس من نظرهم الواهمة إلى ماكس، تحرر ماكس أيضاً من نظراته الواهمة إلى هارفرد.

لقد شعر بالملل وأراد البحث عن تحديات أكبر.

لم يمر وقت طويل حتى واجه ماكس تحديات جديدة. لقد اتصل به والده وأسر إليه أن دار النشر بحاجة إليه. كان هيربرت قد تراجع عن الاتفاق للتمثل ببيع مؤسسته برفكت فيلم، ورفض كل العروض منذ الحين. ووعد هيربرت بشراء كامل حصة شريكه وتسليم الشركة إلى ماكس إذا وافق هذا الأخير على الانتقال إلى نيويورك وإدارة شؤون قسم التحرير.

ووضع شرط إضافي ينص على إبقاء لويس تحت المراقبة في حال إطلاق سراحه، ويغطي نطاق المراقبة أنحاء بلدة غرينويتش كافة، كونكتيكت، حيث يقيم هيربرت وجاين. وبما أن لويس لم يرتكب أي عمل عنفي من قبل إلا بحقّ ماكس، لم يكن هناك ما يدعوهم للاعتقاد أنه سيسبب الأذى للآخرين.

وما دامت الصلة مقطوعة بينهما وبين لويس، أملت جاين وهيربرت أن يجد طريقه في الحياة.

كان لويس مريضاً غموضياً في أثناء حجزه في مصحة للأمراض العقلية، وهو أمر فاجأ الجميع، وأطلق سراحه بعد نهاية الثلاثين يوماً. لقد اتضح لجاين أنه لن يجد أبداً عملاً تقليدياً، ناهيك عن الإفادة من إجازته الجامعية في الحقوق. وشعرت بذنب كبير بسبب حالته العقلية. وبالرغم من سلوك ابنها الوحشي، أصرت على هيربرت فتح حساب مصرفي صغير للويس ليتمكن من إعالة نفسه. وأملت جاين أن يزيل هذا الأمر بعض الضغط المالي الذي يتعرض له ابنها، مما قد يسمح له ربما بالعثور على مهنة متواضعة تُبقيه بعيداً عن العائلة والمشاكل.

عندما عاد ماكس من أسفاره وعلم بما جرى من أحداث، شعر بارتياح كبير. أخيراً، لقد فهم والده ووالدته طبيعة لويس العنيفة وقاما بعمل ما لحماية العائلة.

لقد شعر بالأسف حيال لويس. كان يحبه في الواقع وأراد مساعدته، ولكنه لم يشأ في الوقت نفسه إجراء أي اتصال به. كان ماكس لا يزال خائفاً من استمرار تصرف لويس معه بعنف.

كان هربرت مصراً على اكتساب ماكس مزيداً من الخبرة في مكتب نيويورك قبل تسليمه شؤون الشركة.

فوافق ماكس وانتقل إلى نيويورك، ولكنه سرعان ما تحرر من نظيرته السواهرة. فبالرغم من مغامرته الرومانسية الجديدة التي اتخذت طابعاً جدياً بسرعة، لم يستمتع بالحياة في المدينة ولم يجد التحدي المنشود في المنصب.

وبعد أقل من عام في عمله مع قسم التحرير، تلقى ماكس دعوة هاتفية إلى القيام بجولة حول العالم لتصوير فيلم وثائقي آخر. وبلغت مدة التصوير اثني عشر أسبوعاً، وكان في استطاعته وضع شروطه الخاصة.

ونظراً إلى مدة التعاقد الطويلة، تدبر ماكس أمر الحصول على إجازة. لا مشكلة في ذلك، قال ماكس في نفسه. سيكون كل شيء في مكانه عندما أعود.

تعرض هربرت دوف لنوبة قلبية ثالثة يوم مغادرة ماكس إلى الهند وإلى أماكن غير معروفة من دون أن يكون ماكس على علم بما جرى لوالده. كانت نوبة قلبية أكثر خطورة من النوبتين السابقتين، وشعر هربرت أنه مرغّم على حماية عائلته وبيع الشركة بأفضل سعر. وعندما عاد ماكس، كانت الصفة قد تمت.

وللمرة الأولى في حياته، تمكن ماكس من اختيار مصيره. لقد تحرر من القيود.

فمزق العقد البالغة مدته ثلاث سنوات والذي كان والده قد تفاوض معه بشأنه، وانتقل إلى هوليوود للعمل كمنتج مساعد في فيلم وثائقي كبير. وبعد أسبوعين، أدرك أنه ارتكب خطأ آخر.

لقد كره هذا العمل.

فكونه منتحاً مساعداً، يتعين عليه المحافظة على إنتاجية وراحة الفريق الإبداعي وإبقائه منتحاً وسعيداً. هذا يعني أنه إذا أراد أعضاء فريقه أي شيء، يفترض بماكس تأمينه لهم. واستقال ماكس على الفور.

وعاد إلى نيويورك من دون عمل أو تصوّر لعمل مستقبلي. ففكر ملياً في خياراته، وقرر أن لعب الورق في مشرب رديء السمعة في سوهو في أثناء أمسيات السبت هو أفضل بديل متوافر له. كان لويس قد علّم ماكس كيفية لعب الورق في صغرهما، وكسب ماكس خبرة إضافية فيه خلال أسفاره مع فرقاء عمل متنوعين لتصوير أفلام. كان ماكس يتمتع أيضاً بموهبة تخیل أي ورقة يريد. فبطريقة من الطرائق، يحصل فوراً على الورقة التي يكون بحاجة إليها.

وسواء أكان ذلك ضرباً من ضروب الحظ أو شيئاً إضافياً آخر، كان ماكس منجذباً إلى الأرقام على الدوام. فهي حياة فيه منذ طفولته من دون أن يكون قادراً على التّوح بالأمر. إنها زميلة الطفولة في اللعب... وكانت بمثابة صديق له.

وهكذا، فإن لعب الورق أمر طبيعي بالنسبة إليه.

كان يحضر قرابة منتصف ليل السبت للمشاركة في لعبة نهاية الأسبوع من دون أن تكون الرهانات مرتفعة بصفة خاصة، ولكن كان هناك باستمرار مشاركون من سكان الضواحي يسهل التغلب عليهم بسبب إفراطهم في تناول المشروبات.

إنهم يشاركون في لعب الورق بهدف التسلية ليس إلا.

أما ماكس فيشارك لجني المال.

ويمكن اعتبار عدد قليل جداً من المواطنين لاعبين شرعيين. فكثيراً ما كانوا يأتلفون ضمن فريق أو يمارسون الغش من دون افتضاح أمرهم. وهكذا، لم يكن ماكس يرغب في التورط مع المواطنين.

كان هناك عدد كافٍ من السياح ليتمكن ماكس من حني 200 أو 300 دولار كل ليلة سبت، وهو كل ما يحتاج إليه كل أسبوع لدفع الإيجار، ورسوم القاعة الرياضية، وفواتير الطعام. ولكن أياً من هذه الأمور لم يكن مُرضياً، ولم تكن هذه هي المهنة التي يريد مزاولةها.

فوجد ماكس نفسه على مفترق طرق. لقد تخلى عن هارفرد وعن شركة النشر التابعة لوالده، لا بل عن هوليود أيضاً، وشهدت علاقة رومانسية أخرى نهاية سيئة.

كان قد خطب تينا قبل الشروع بمشروع تصوير الفيلم الذي دام اثني عشر أسبوعاً. وفي أثناء وجوده في الخارج، اشترى لها خاتم خطبة جميلاً من دمشق وأقمشة حريرية غير عادية لتتمكن من ابتكار ثوب زفاف.

لم يكن هناك موعد محدد أو إعلان رسمي، ولكن تينا وماكس اتفقا على إطلاع عائلتيهما بعد عودته.

ولسوء حظ ماكس أن تينا بدلت رأيها بشأن الزواج عندما عاد من المشروع. كانت قد بدأت بمقابلة معالج للتحقق من مسائل متعلقة بصدمات عاطفية ماضية حدثت لها بسبب تعرضه لتهديدات في المراحل الأولى من طفولتها.

كان الأمر مفاجئاً جداً لماكس.

وفي أثناء المعالجة، اقترح المعالج امتناع تينا عن ممارسة الحب إلى أن تتمكن من فك عقدة مشاعرها الدفينة. وجدت تينا الفكرة جيدة، وأعلمت ماكس أنه لا معنى لخطوبتهما، أو حتى لاستمرار علاقتهما. لم يستطع ماكس فهم ما يجري. كانا يبدوان سعيدين جداً معاً. لقد ابتعدت خطيبته فجأة وتغيرت.

وغيبت الإشارة عن حياة ماكس، ولم يكن واثقاً من كيفية استعادتها.

ودخل مرة أخرى في حالة من الكآبة العميقة. فتوقف عن تناول الطعام، والحلاقة، لا بل الاستحمام أيضاً، وكان ينام طوال أيام. لقد بات مستنقذ القوى ولا يعرف ماذا يريد أن يفعل في حياته. وظهر في عينيّه احتمال عدم تمكنه أبداً من تحقيق الطموحات التي كان يستوق إلى تحقيقها في طفولته. لقد اعتبر أنه خيبة أمل لوالده... ولنفسه.

في خضم هذا الذعر، قرر كتابة رواية تعكس وضعه الحالي، وعنونها أكثر من التحار. وصاغ السطر الافتتاحي:

الآننا عشر

استيقظ السير ونستون على صوت صيحات مكتومة... صيحاته. لقد وثقت الرواية نضال ماكس اليومي مع أفكاره الانتحارية. وبدأ يكتب عن مشاعره بانفعالات منحرفة على آلة كتابة قديمة كان والده قد أعطاه إياها.

لقد بلغت الحافة المظلمة لليأس... لا أعرف من أكون، أو ماذا أريد، أو ما الذي يمكنني القيام به، أو ما ستكون عليه حالي... لقد سمعت نفسي... لا أمل... يجب أن أموت في هذه الحياة... أريد التخلي عن هذه الحياة.

كان يعلم أن الموت بحد ذاته لم يكن يخيفه، ويتوق إلى العودة إلى السنور الأبيض والبركة اللذين خيراها في عيادة الطبيب غراي عام 1965.

في الوقت نفسه، كان ماكس لا يزال يعتقد بشدة بارتباطه بقدر محدد يقتضي بقاءه حياً. فقرر تسليم مصيره إلى قوة أعلى وكتب: لتكون مشيتك.

وواصل الكتابة ومكافحة ميوله الانتحارية.

ويسوم ألقى ماكس روايته، ثوفي فجأة أحد حيرانه. كان ماكس قد تأمل الموت عدة مرات طوال أسابيع، وضعفه الواقع وتساءل عما إذا كانت روايته تشير إلى مصيره أو إلى مصير شخص آخر.

* * *

عاد لويس مجدداً إلى حياة ماكس.

وعندما ظهر عند بابيه الأمامي، لم يعرفه ماكس تماماً. كان كرية الرائحة، قذراً، غير حليق الذنن، ومفرط الوزن مع بطن ضخمة. كان غريب المظهر.

فتمتم لويس بشكل غير منطقي عن كيفية قيام الجميع بخرق القانون، ولا سيما والده والمحامون في غوتليب هاريس.

"لا فكرة لديك عن مدى فسادهم الخلقي... وليسوا الوحيدين. الجميع يخرقون القانون... كل القوانين. حتى إنهم بدأوا بخرق قوانين الجاذبية، وعندما يحدث ذلك، تعرف أننا سنذهب بأجمعنا إلى الجحيم". قال لويس، متوقفاً من ماكس تأييد أماكن القلق لديه.

ولكن ماكس ابتسم بسبب مزيج الذكاء والجنون لدى شقيقه، مما جعله يرتعد ويدرك أن ما آلت إليه حاله ليست أفضل من حال شقيقه.

فاشتري ماكس وجبة لذيذة للويس، قد تكون الأولى له منذ مدة طويلة. وأمل طوال الوقت ألا يتفجر جنون لويس غضباً، وشعر بالارتياح لأنه لم يقم بذلك.

وبعد ذلك، عانق شقيقه واقترح عليه العثور على مكان هادئ خارج مدينة نيويورك، حيث يقوم عدد قليل من الناس بخرق قوانين الجاذبية ويكون في أمان.

وغادر لويس، وتساءل ماكس عما قد يلي ذلك.

كاليفورنيا

1979-1982

"بكل تأكيد، إليك بطاقتي". قال بيتر بحماسة: "لقد اضطلعت مؤخراً بشؤون قسم الأعمال في مؤسسة سي آر أم فيلمز. اتصل بي، يُفترض بنا تناول الغداء معاً ومواصلة الاتصال ببعضنا بعضاً".

اتصل ماكس ببيتر، وقبل مرور أسبوعين، التقيا في مطعم فاخر في تريبيكا. وأخبر ماكس بيتر عن الأفلام التي شارك في إعدادها، وقبل إنهاء الطعام، عرض عليه بيتر منصب منتج مساعد مسؤول عن مكاتب الشاطئ الغربي لسي آر أم فيلمز.

الذي هو المدير التنفيذي الأول، وبحث عن شخص ذي فطرة في أعمال المفاوضة ويعرف مداخل ومخارج الأفلام الوثائقية، قال شارحاً، "قد يتحول اجتماعنا إلى فرصة سائحة لكلينا علماً أنه كان أمراً غير مرجح الحدوث".

"حسناً، لديّ اطلاع واسع على الأفلام الوثائقية"، أقرّ ماكس، "وهذا ما أطمح إلى القيام به، موافق".

بعد إنجاز بعض الأمور، أقام ماكس في دل مار، كاليفورنيا، واستمتع بالفلسف الأمثل وبالحكم الذاتي التام في إدارة قسمه في سي آر أم فيلمز. فدل مار هي بلدة صغيرة شمال سان دييغو ومقرّ حلّية سباق اكتسب شهرته من مشاركة مشاهير من أمثال بينغ كروسبي. وفي كل عام، يتضاعف حجم البلدة في موسم السباق.

والمنازل هناك مرتفعة التكلفة، ولكن ماكس كان يتلقى أجراً جيداً.

والأهم من ذلك استمتاعه بتعبه الجديد وشعوره بأنه منتج للمرة الأولى منذ مدة طويلة. كان يتشاطر المكتب مع مدير مبيعات، وتقوم

انتهت فجأة أيام ممارسة ماكس لعب الورق. لقد بدأ الأمر بأسوأ ألم للأسنان شعر به يوماً.

كان الألم مبرحاً، فحاول قدر المستطاع تجنّب القيام بأمر ما حيال ألمه من دون أن يتمكن من ذلك. وفي أثناء دخوله عيادة طبيب الأسنان، التقى مصادفةً بزميل الصف السابق في المدرسة الثانوية بيتر بور الذي كان يغادر العيادة.

"تسعدني رؤيتك، يا ماكس! كيف هي الحذّعة؟". سأل بيتر، ممسكاً بيد ماكس. "أما زلت تعمل لصالح رجلك المسن؟".
 "لا عمل لديّ الآن". أجاب ماكس بألم: "باع والذي شركته منذ أشهر قليلة. لست واثقاً بما سأقوم به كخطوة تالية، ولكنني لظلمنا احترمتك في هاكلسي. أعطيتني بطاقتك ولتصل ببعضنا قريباً". قال ماكس، مقطّلاً حاجبيه.

بالفعل، لقد ارتاد بيتر كلّية هاكلسي مع ماكس، ولكنه تخرّج قبله بعام واحد. كان مسؤولاً في الفصل الأول عن قاعة الدرس التي يلحق إليها ماكس، ورتباً لصفه، ومُلقياً لخطب الوداع، وأحد أبرز اللاعبين الرياضيين في المدرسة.

سكربتيرة تنفيذية بتنظيم أعمالهما. ففي كل صباح، يكون في انتظاره عشرون أو ثلاثون مشروع فيلم جديد، ولا يتقبله الأمر أكثر من ساعة للاطلاع عليها، ويختار بعد ذلك الأفلام العشر أو الاثني عشر التي يعتقد أنها ذات طاقة إبداعية أو تجارية.

بعد ذلك، يعمل ماكس المشاريع التي اختارها، ويعبر الرّدهة إلى مكتب مدير المبيعات. كان هناك جوٌّ من الاسترخاء التام في سي آر أم فيلمز؛ فاجتماعاتهم لا تتبع جدول أعمال محدد، وكل الاجتماعات متشابهة في بداياتها.

"هل لديك دقيقة، يا فرانك؟".

ويبدأ ماكس بشرح كل مشروع اختاره، ثم يطرح أسئلة أساسية. "إذا كان هذا أفضل فيلم ممكن لمعالجة هذا الموضوع، فما عدد النسخات التي يمكنك تأمينها في الإصدار الأول؟". فبالرغم من قيامهما بعمل إبداعي، كانت المبيعات لا تزال الاعتبار الرئيس.

في معظم الحالات، يكون الجواب: "غير كاف"، أو "ليس كبيراً"، أو "لا شيء" أحياناً، ولا يعاد النظر في هذه المشاريع مجدداً. ويكون الجواب مختلفاً أحياناً؛ كمرة واحدة أو مرتين في الأسبوع.

"يمكننا تأمين عشرة آلاف نسخة أو أكثر إذا توافرت لدينا المهارات المطلوبة".

في تلك الحالة، إذا تم توزيع الأدوار واختيار فريق العمل على النحو الصحيح، يحصل ماكس على الحقوق.

وغالباً ما تدوم العملية حتى منتصف بعد الظهر بالأكثر، ويقوم ماكس بعد ذلك باستكشاف الشواطئ، والحمّات الساخنة، ومفاتي كاليفورنيا الجنوبية.

لقد اعتمد هذا النمط، ولم يمضِ وقت طويل حتى التقى بامرأة سلّبت لّه ثمناً. ومَرّت الأسابيع والأشهر، وسعى وراءها بلا كلل أو ملل حتى وافقت على الزواج به، وحصل ماكس على كل ما يتمناه في حياته.

كان فعالاً وناجحاً، وبدأ يلفت انتباه الصحافة حتى كُتب عنه في سان دييغو تريبيون وسان دييغو مانغازين حيث نُشرت صورته على صفحتين.

"منتج شاب لامع يأتي إلى سان دييغو"، هذا ما جاء في العنوان الرئيس. وتُعتبر سان دييغو مدينة هامدة بقواعدها العسكرية وبعض النشاطات الزراعية، مما يجعل المقيمين فيها على الشعور بالامتناع من المدينة المحصورة الأكبر حجماً القائمة إلى شمالها، ويغتنمون أي فرصة ملائمة للبروز. وكانت شهرة ماكس مكلفة.

فلم يمضِ وقت طويل حتى شعر نظراؤه بالغيرة من الاهتمام الذي يحظى به.

كانت سي آر أم فيلمز تحتوي على أقسام عدة، وكان رئيس قسم المصلحة العامة، بيل باتلي، رجلاً منافساً. لقد استمال ماكس عن غير قصد أحد خبرائه الأكفء لإنتاج فيلم عن أوليك وأزمة النفط، مما ألحق ضرراً بباتلي.

كان باتلي يأمل شغل منصب المدير التنفيذي الأعلى عندما يتقاعد بور المسنّ، والد بتر. ولكن ماكس حظي بتغطية صحفية كبيرة وكان يتناول العشاء مع "الرئيس"، وهو لقب بور الأكبر.

وظهرت قصة في الصحافة لعالم الاقتصاد الشهير ميلتون فريدمان، أعادت إلى ماكس، وبشكل خاطئ، الفضل في حل سي آر أم فيلمز

على تحقيق أكبر قدر من الأرباح من خلال فيلم حرّ في الاختيار. كان المراسل يأمل أن يلقي استحسان ماكس، في حين أن السبب الوحيد لقيام سي آر أم فيلمز بإنتاج الفيلم يتمثل بالعلاقة الشخصية بين بور المسن والدكتور فريدمان.

واغتمم باتلي الفرصة وأرسل المقالة إلى الرئيس، إضافةً إلى أربع أو خمس مقالات أخرى عن ماكس، مرفقةً بملاحظة بسيطة.

قد ترغب في إلقاء نظرة على هذه المقالات.

قطّرد ماكس، وطلب ويليام بور من ابنه يتّير إجراء اتصال بـماكس وتوجيه رسالة خاصة:

لسو كنا نعيش في الزمن الغابر، لرميناك عن الجسر. ولكن بما أننا نعيش حياة مدنية، يمكننا نزع شاراتك فقط. سندفع لك في نهاية العام، ولكن اجمع أغراضك وغادر المؤسسة في نهاية يوم العمل.

فصّدم ماكس.

لم يخطئ بشيء، وكان قد وقّع على أكثر من ثلاثين مشروعاً في الأشهر الثمانية عشر السابقة التي عمل خلالها في الشركة.

لقد قدّم إليه بعض الزملاء في ميدان صناعة الأفلام التّصحيح بمقايضة سي سي آر أم فيلمز بسبب طرده غير المُحقّق من العمل، ولكنه لم يكن أسلوب ماكس.

في انعطافة غير مألوفة للأحداث، وفي اليوم السابق لطرده، أتمت عطفية ماكس علاقتهما، ووجد ماكس نفسه معطّماً على الجبهات كافة. لقد شعر بصدمة كبيرة بسبب الإهانة الفجائي لخطيته مما حال دون تمكنه من تحليل معنى الطرد بالنسبة إليه.

وعندما فكر في الأمر في الأيام القليلة التالية، أدرك أنه لا يريد العمل في الواقع لصالح أي مؤسسة.

أراد أن يحيا حياته بشروطه الخاصة.

لقد وجد نفسه حرّاً مرة أخرى في رسم طريقه الخاص.

لم يكن ماكس يملك المال، لذلك كان عليه الانطلاق بإمكانيات محدودة.

فتدبّر أمر استخدام تجهيزات محطة التلفاز الكابلية المحلية لإنتاج فيلم فيديو "تعلّم الطرائق" وفقاً لأسلوب أفلام الفيديو الاختبارية لجاين فوندا السني لاقت رواجاً كبيراً، وهكذا وُلدت شركة ماكسيموم بروداكشنز. وكون فريقاً مع مبتكر دل مار وورك أوت في القاعة الرياضية المحلية، معتبراً أنه اسم سهل التذكر واختبار جيد، مثالي لسوق جاين فوندا.

ومثلت مشكلته الكبرى بعدم تعاقد جاين فوندا - أو أي شهير آخر - مع دل مار وورك أوت. لذلك، وعندما عرض عمله على الموزع، قيل له إن في إمكانكم أخذ خمسة نسخة فقط لاختبارها، ولكنهم أعربوا عن تشاؤمهم.

كان ماكس بحاجة إلى بيع خمسة آلاف نسخة على الأقل لتغطية النفقات. وبيع خمسة نسخة فقط، يكون قد خسر دولارين بكل نسخة إضافةً إلى فقدان رأس المال لسدّ العجز. لقد بدا الأمر كما لو أن ماكسيموم بروداكشنز لن تتمكن أبداً من النهوض من كبوتها. وبينما كان يفكر ملياً في خياراته، تلقى ماكس اتصالاً هاتفياً من جاره أندي كاي الذي اقترح عليه فكرة مثيرة للاهتمام.

"يا ماكس، أتذكّر قولك في أثناء إحدى وجبات العشاء التي تناولناها معاً، إنك تعرف ماذا كنت تعمل في شركة النشر التابعة لوالدك كيفية التدريب استعداداً للاختبارات".

لم يعرف ماكس ما الذي يحاول أندي إيضاحه، ولكنه بدا مهتماً.

"أجل، هذا صحيح. ما الذي ترمي إليه؟".

"يقضي مشروعني المدلل هنا في تولينيار سيستمز بتطوير آلة أدعوها "كمبيوتر؛ مدرّس خصوصي" مصمّمة لمساعدة الطلاب على تحسين مفرداتهم اللغوية. كنت على الدوام من المعجّين بعمل جونسون أوكونورز، وأعتقد بشدة أن تحسين المفردات اللغوية هو الهدف التربوي الأكثر أهمية بالنسبة إلى كل شخص. هلاً فكرت ملياً في مساعدتي على إتمام هذا المشروع فتشغل منصب مستشار خارجي بدوام جزئي؟". سأل أندي بلهفة.

"بكل تأكيد". أجاب ماكس، وأضاف: "يمكنني البدء على الفور". مرة أخرى، لقد وفّر له التزام فرصة مثالية عندما يكون بأمر الحاجة إلى العمل.

فتشغل منصب مدير مشروع ومدير مبيعات مقابل الحصول على نسبة مئوية من المبيعات المستقبلية. وانكبّ على العمل على الفور وحقق تقدماً سريعاً.

بعد شهرين من عمله في مشروع "كمبيوتر؛ مدرّس خصوصي"، طوّر أحد مهندسي أندي ما بات يُعرف بكمبيوتر كاي برو؛ الكمبيوتر المحمول الأكثر رواجاً في العالم بعد أوسبورن، وكاد يفوق هذا الأخير بنسبة مبيعاته.

استمر العمل على "الكمبيوتر؛ المدرّس الخصوصي"، ولكنه لم يعد الأولوية. لقد حقق كاي برو رواجاً منقطع النظير، وارتفعت المبيعات السنوية لشركة أندي الصغيرة من مليوني دولار إلى 250 مليون دولار.

فحلاً، انضم إلى الفريق عشرات التقنيين وعشرات مستشاري الكمبيوتر. وعندما علم هؤلاء بخلفيّة ماكس وصلاته، طلبوا منه مساعدتهم على إنتاج أفلام تدريبية "لتعلّم الطرائق".

وبين ليلة وضحاها، تولّت ماكسيموم بروداكشنز إلى شركة ناجحة منتجة لأفلام التدريب، وتتمتع بإحدى أفضل المهارات التقنية في العالم. لقد أثارت التطورات التكنولوجية والعالم القائم على التكنولوجيا المتقدمة اهتمام ماكس. لم يكن ذا توجه تكنولوجي، ولكنه سرعان ما اكتشف كيفية معرفة الأفلام التي قد تحقق رواجاً كبيراً. واعتبر ماكس معلماً تكنولوجياً في عالم لا يميّز بين نظام دوس وسي أم بي، أو بين لوتس وورد بروفكت.

وغابت طموحاته لإنتاج أفلام واقعية أو القيام بأي شيء باستثناء لعب الغولف، ومواعدة النساء الجميلات، والاستمتاع بشكل عام بأسلوب الحياة الكاليفورني.

مرت السنوات من دون أن يضادف ماكس أيّاً من الأسماء الأثني عشر المثبّقة. لقد بدا الأمر تقريباً كما لو أن ماريا، ويوسكي، وبسي. أن. شارما، ويوكو، جزء من حلّم.

وبوجود اسم واحد مستبعد - الدب الراكض - كان من السهل الشك في أن الأمر مجرد وهم ناجم عن الصدمة المتأتمية من حالة النورانية. ولكنه صادف حاملي الأسماء واحداً واحداً بحيث إنه لم يعد في إمكانه الاستخفاف بواقعيتها أو تفسير ما يجري.

وماذا عن... الدب الراكض؟

لا بد من وجود تفسير لذلك بالرغم من عدم موافقة الاسم للعقل والمنطق.

كسان يتلقى مكالمة هاتفية كل بضعة أشهر - من والديه عادة -
يُعلمانه بمحادثة أدت إلى اصطحاب لويس إلى مصحة للأمراض العقلية
بهدف مراقبته، ولا يُطلق سراحه إلا بعد ثلاثين يوماً.
كسان يعرف الروتين: يتناول شقيقه الدواء في أثناء احتجازه،
ويتوقف عن تناوله بعد إطلاق سراحه.

وذات مرة، وبعد حادثة أدت إلى احتجازه لمدة قصيرة من الزمن
للمعالجة، ظهر لويس في كاليفورنيا. كان لا يزال كرهيه الرائحة، قدراً،
ويتكلم بصوت عال وبشكل غير منطقي تماماً. فشعر ماكس بالأسف
لحالته وتدهّر أمر بقاءه في فندق ماريوت حيث يبقى نظيفاً، ويحظى
براحة جيدة في أثناء الليل.

والتقيا في اليوم التالي على مائدة الغداء، وعرض ماكس على
لويس دفع أجر بقاءه في الفندق الليلة أخرى.

"أه، لا، الفندق مرتفع التكلفة كثيراً"، قال لويس معترضاً، "لن
أبقى هناك. يمكنني النوم في سيارتي في الموقف وأتعار كل ذلك المال".
فَرَّوْع ماكس.

"ولكنه مالي"، أجاب، "ولا مانع لديّ في دفعه". ولكن لويس
قاطعه قبل التمكن من مواصلة كلامه.

"لا! أحب ادّخار أموالي. سأبقى في السيارة". وهكذا افتقرا،
واتفقا على الالتقاء على مائدة العشاء في اليوم التالي.

في صباح اليوم التالي، ذهب ماكس إلى موقف سيارات فندق
ماريوت بحثاً عن لويس، ولكنه لم يتمكن من العثور عليه. ولم يكن في
أي من غرف الفندق.

وبعد عدة ساعات، وعندما التقيا على العشاء، سأل ماكس
لويس عن المكان الذي نام فيه.

"رأيت موتيل 6 في مكان قريب، فركتُ سيارتي هناك ونمت. إن
تكلفة فندق ماريوت أكثر ارتفاعاً".

"ولكن موقف السيارات في الماريوت جَنَانِي أيضاً"، أكد له
ماكس، "ليس هناك أي فرق".

"لا تفهم أي شيء عن المال". وأصرّ لويس على ذلك، وتكلّم
بنبرة لم تُعجب ماكس: "الماريوت أكثر تكلفة، ويمكننا تحمّل تكلفة
عشاء حيد بالمال المتخّر".

لم يُحب ماكس، واستمعا بوجية هادئة.

وبالرغم مما تعرّض له من ضرب في صباه من قبل شقيقه، لم
يُمالِك نفسه عن الشعور بالأسف لحاله. وفي أثناء تناوله للطعام،
تبادلا إلى ذهن ماكس ما أُمِّل أن يكون الحل، واقترح على لويس أن
يقوم طبيب نفسي بمعالجته. وعرض صفقة تقضي بتأمين راتب شهري
إضافة إلى ما يتلقاه لويس من والديه، شريطة تأكيد الطبيب أسبوعياً أنه
يتناول دواءه.

فوافق لويس، وبدأت العلاجات. في الوقت نفسه، أصبح لاجئاً
شراً ومنتظماً في حلبة سباق دل مار. كان يجيد اللعب هناك أيضاً
ويغوز بانتظام لدرجة أنه لم يُعد بحاجة إلى أخذ المال الإضافي من
ماكس.

وبعد شهرين، توقف لويس عن رؤية الطبيب النفسي وأقلع عن
تناول دوائه. وعلى غرار أفراد عائلة دوف كافة، كان الطعام إحدى
مُتبعه الرئيسية، متذرعاً أن الدواء يُفسد معدته، ويتعارض مع مذاق
الطعام، ويجعله على الشعور بالتوعك.

وحذّره ماكس من قطع المعونات المالية عنه إذا لم يستأنف تناول
دوائه، ولكن التهديد لم يكن ذا أثر كبير بسبب دخله الجديد.

ومثل رد فعل لويس بتوجيه رسالة طويلة يتهم فيها ماكس بالقيام بنشاطات غير قانونية. وقال إنه سيرفع تقريراً بحق ماكس إلى مصلحة الضرائب والأف بي أي.

وبعد ذلك بقليل، توارى عن الأنظار وفقد ماكس كل أثر لمكان إقامته. وبعد تحريات سرّية، سمع شائعات بأن لويس اتخذ أسلوب حياة بدوية؛ يعيش في سيارته، يمضي فصل الصيف في ميشيغان وفصل الشتاء في تينيسي وفلوريدا.

وقد يلجأ لويس إلى استئجار غرفة عندما يشعر بالحاجة إلى سرير وإلى استحمام، ولكنه سيلجأ في الغالب إلى مواقع التخيم، ومواقف سيارات موتيل 6، ويتابع سباقات الخيل.

* * *

بعد وقت قصير من إعادة اتصاله بلويس، أظهر تشخيص طبي أن والسدة ماكس، جابن، مصابة بداء السرطان في الجهة اليسرى من الدماغ حيث تسبب حادث السيارة بالضرر الأكبر.

وخضعت جابن لعلاجات بالأشعة وعلاجات كيميائية لقرابة عامين، ولكن عندما فقدت قدرتها على الكلام والتحرك، سلّمت ماكس، الذي عاد إلى غرينويتش في زيارة أخيرة، ملاحظة قصيرة.

أنا مستعدة لدخول النور.

وأسلّمت الروح بعد يومين.

فساعد ماكس والده على تنظيم مأتم جابن. لم توجه دعوة إلى لويس ولكنه لم يمنع من المشاركة في المأتم، علماً أن هربرت اعتترف في الواقع أن جابن كانت تعتقد سرّاً أن السلوك المنحرف لابنها الذي تسبب بنوبات قلبية مستمرة لوالده سرّع أيضاً في إصابتها بالمرض.

على كل حال، لم يكن ماكس أو هربرت يجد سبيلاً للاتصال بلويس، لذلك لم يتمكنوا من دعوته إلى المشاركة في المأتم، وحتى لو أرادوا ذلك لما كان في استطاعتها إبلاغه بوفاة والدته.

غرايس

1979-1984

في حين كانت مهنة ماكس في صناعة الأفلام بمثابة رحلة حقيقية على سكة حديد الملاهي، ثبت في النهاية أن حياته العاطفية مأساوية على نحو مائل... ولا يمكن توقعها.

فغرايس برادلي هي المرأة الأولى التي التقاها ماكس بعد الانتقال إلى سان دييغو. لقد التقى بها مصادفةً في بركة سباحة "خاصة بالسكان" في مجمعات سي بونت فيلدج السكنية في دل مار حيث كان يقيم. كانت تقوم بجولات في السباحة، وعندما خرجت من البركة علم ماكس أنه مغرم. كانت شقراء ولديها أجمل ساقين رآهما يوماً. إنها المثال الأعلى للجمال بنظره.

وتبعها إلى الحمام الساخن.

كانت عيناها تضحكان كما لو أن شيئاً لا يقلقها في العالم، وكان صوتهما عذبا بقدر عذوبة أي موسيقى سمعها يوماً.

"حسناً، أترك السباح الأكثر خداعاً الذي رأيته يوماً!". قالت

غرايس، ضاحكة: "أم تحاول تعمد الالتقاء بي؟"

"هناك أمر ما يحثني على ذلك كما أظن"، أجاب ماكس، وابتسم لها. "أنا سعيد للغاية لأنني التقيت بك صدفة. أنت أجمل امرأة عرفتها يوماً على الأرجح".

وحملها ذلك على إطلاق ابتسامة واسعة وفاتنة.

"لا أرى خائفاً في إصبعك"، قال: "أمل أن يعني ذلك أنك عزباء".

"أنا عزباء، ولكن لا تذهب بعيداً في أفكارك. أنا خارجة للتو من عملية طلاق، ووعدت نفسي بألا أبدأ بالمواعدة مجدداً طوال ستة أشهر على الأقل". أجابت غرايس، وعيناها تتألآن تحت أشعة الشمس.

"حسناً، لسنا بحاجة إلى المواعدة، ولكن أمل أن نصبح صديقين". قال ماكس: "لقد انتقلت إلى هذا المكان يوم أمس وأكاد لا أعرف أحداً في سي بونت".

"لدي الكثير من الأصدقاء، ويسرني أن أكون ضمن اللحنة الترحيبية غير الرسمية". قالت، مبتهجة. "لقد نشأت في كنف والدي في آيوا وكنت في دوري الناشئين. وبالرغم من أن الجميع في كاليفورنيا يبدوون شديدي الاسترخاء، فأنا لا أزال أعتقد باحترام الواجبات الاجتماعية.

"سأعرفك إلى الأشخاص المقيمين هنا، وستدرك بعد أسبوع واحد أو أسبوعين أنني إحدى الجميلات العديداً هنا في سي بونت".

كان ماكس في الثالثة والثلاثين من عمره ويستمتع بحرية العازب في سان دييغو، في حين أن معظم النساء اللواتي لم يبلغن سن الثلاثين لا يفكرن في إقامة علاقة حميمة في الموعد الأول. لذلك، وبانتظار غرايس، يمكنه إقامة كل العلاقات الحميمة التي يرغب فيها مع العديد من النساء الجذابات اللواتي يلتقيهن في مهرجانات الأفلام، أو يتعرف إليهن خلال أصدقائه الجدد في كاليفورنيا.

لكن غرايس كانت مخططة. فبعد سنة أشهر، لم تبقَ إحدى أولئك الجميلات العديداً، بل هي التي قُدِّرَ لها الزواج به.

بعد تسعة أشهر من المواعدة، طلب ماكس يد غرايس للزواج ووافق.

كانت لا تزال امرأة أحلامه، فيشعر بسعادة غامرة عندما يكون بسرقتها، ويقرص نفسه للتيقن من أن الأمر حقيقة وليس خيالاً، وأنه سيحتضن قريباً بزوجته مثالية.

كانت تبدي اهتماماً كبيراً بعت ريل، وهي طريقة في التأمل خاصة بالعصر الجديد استلهاها شخص يدعى هارولد هندرسن في كاليفورنيا. لقد بدا الأمر غريباً بالنسبة إلى ماكس، ولكنه لم يعلق أهمية على الأمر بما أنه يُسعد غرايس.

لقد أعجب ماكس بالنجاح الذي حققه هارولد، علماً أن ما يقوم به لا يعني له الكثير، ولكنه تمكن من اجتذاب جماعة من المعجبين من خلال تلقين كيفية التأمل.

فالناس يدفعون مبالغ كبيرة من المال لحضور صفوف التأمل، كما أن هارولد يحظى بقدر ما يشاء من النساء. وبالرغم من كونه في العقد السادس من عمره، فقد نشر شائعات تفيد أن عمره يتخطى المئة، وأن تقنيات التأمل منحته شباباً أبدياً. وللمحافظة على شبابه، ادعى أنه بحاجة إلى إقامة علاقات مع نساء أصغر سنّاً.

وتعتقد غالبية هؤلاء التابعات الشاببات أن اختيارهنّ للمحافظة على شبابه هو أمر مشرف هنّ.

وغرايس محافظة كونهما من أيوا. فبالرغم من ممارسة التأمل، لم تُقم علاقة أبداً مع هارولد وادّعت أنها لم تحترم أبداً القيام بذلك. هي تعتقد

بالجنس بعد الزواج فقط، قالت بصراحة، ولكنها تعتقد أيضاً بتأملات عت ريل.

من الواضح أن غرايس كانت مفتونة بهارولد.

وعندما علم هارولد أن غرايس مخطوبة لماكس، اقترح عليها الانضمام إلى صف أحد ممارسي التأمل الأكثر إلماً.

فعرّف غرايس إلى ستيفن الذي كان طالباً في "المستوى الثالث". كانت غرايس قد مارست التأمل طوال تسع سنوات وارتقت إلى "المستوى الرابع". وشرح لها هارولد الأمر قائلًا إن لديها الكثير مما يمكنها تلقيه لستيفن، وإنها سترتقي إلى مستويات أعلى إذا قامت بذلك.

وبالإضافة إلى كونه في "المستوى الثالث"، يعمل ستيفن في ميدان العقارات ويملك الملايين من الدولارات، في حين أن ماكس كان يحصل آنذاك على راتب منتج مساعد يبلغ 40,000 دولار في السنة، ولا يمكنه الدخول في أي منافسة.

فأعادت غرايس الخاتم إلى ماكس، وبعد ثلاثة أشهر، ارتبطت بستييفن. لم يكن في استطاعة ماكس القيام بأي شيء.

لقد أصيب بصدمة.

في اليوم التالي لقيام غرايس بفسخ خطبتها، ماكس، طُرد ماكس من "سي آر أم فيلمز".

لقد شعر بحزن عميق بسبب فقدان غرايس، ورفض التخلي عن أمل العودة إليها لمدة طويلة من الزمن بالرغم من عدم اتخاذ الوضع هذا المنحى.

كانت ماكسيموم بروككشنز قد تأسست منذ مدة طويلة، فصرف اهتمامه إلى العمل. كانت نعمة موهبة، عبارة عن انسجام

فكري وعاطفي في العمل، ولكنه لم يدرك ذلك بالرغم من كونه وسط
المأساة.

في الواقع، ستمرّ عشر سنوات قبل أن تتضح الصورة كاملة في
ذهنه.

الفصل السابع عشر

العودة إلى غرايس

1994

تلقى ماكس اتصالاً هاتفياً من مغ بيركينز، إحدى صديقات
غرايس الأكثر تقرباً منها.

كان قد قطع الاتصال بغرايس أو بأيّ من مجموعات غيت ريل،
ولكن، مرّ وقت كافٍ ليوافق على اللقاء مع التي كانت ممثلة.

لقد قادت سيارتها من لوس أنجلوس لتطلب النصّح من ماكس
بشأن الأفلام، ولتطرح عليه فكرة عامة تريد تطويرها. فشرح لها
بستهذيب قائلاً إن الفكرة التي تطرحها جيدة ولكنها ليست من النوع
الذي يقوم بمعالجته.

ومن ثم، صمقته فكرة لاحقة.

"بالمناسبة، ماذا حل بغرايس؟". سأل بلامبالاة، بالرغم من إدراكه
أن الجروح القديمة لم تندمل تماماً بعد. "سمعتُ أنها انتقلت. هل لا تزال
مع ستيفن؟".

"أه، لا"، أجابت مغ، هازئة رأسها بقوة، "دام ذلك الزواج ثلاث
سنوات فقط. انتقلت غرايس إلى بولندا وهي تباع العقارات. في الواقع،
هي قادمة في الأسبوع المقبل لأجل مؤتمر أعمال. أنا على ثقة تامة أنها
ستحب أن تراك إذا كنت تملك الوقت".

لم يكن ماكس واثقاً من شعوره حيال دعوة ميغ، ولكن الفضول تغلب على الفطرة السليمة، وقال إنه يرغب في رؤيتها. فوافقت ميغ على تدبير أمر لقاءهما.

بعد يومين، كان ماكس جالساً إلى مكتبه وهو ينظر إلى الخيط من غرفته الواقعة في الطابق الثاني من مبنى ماكسيموم. كان قد اشترى المسبني بسبب المنظر المظلل، ويُمضي معظم اليوم على الهاتف، مشاهداً راكبي الأمواج، والدلافين، والحيتان المهاجرة، ومفاتيح أخرى على الشاطئ.

وأيقظه من شروده الذهني حضور أنثوي وراءه ويدان توضعان على عينيّه.

إنها غرايس. كان في استطاعته معرفة ذلك من دون سماع صوتها. لقد شعر بحبوبيّتها، وسمع ضحكاتها عندما رفعت يديها. وعندما استدار لينظر إليها، دُخل برؤية امرأة في الأربعين من عمرها تقريباً لم تكبر يوماً واحداً منذ عشر سنوات.

ربما ألحزت ممارسات غيت ريل التأملية أخيراً، قال في نفسه، ولكنه لم يقل ذلك بصوت عالٍ.

وتبادلا أطراف الحديث لقليل من الوقت، وشعر ماكس أنه يختبر حالة نورانية. هو يعلم أنه يشارك في الحديث، ولكن الأمر كان أشبه بمراقبة نفسه عن بُعد. فطلب منها الخروج لتناول الغداء.

بعد ثلاثة أشهر، ارتبط غرايس وماكس مجدداً استعداداً للزواج. فدعا ستة شخص من أصدقائه المقربين إلى أوروبا، في البحر الكاريبي، واحتفلاً بزفاف دام ثلاثة أيام وتضمن رحلات استجمام

إلى ملاعب الغولف، وعلى متن مركب، وإعداد ولائم تقليدية حيث يرتدي الضيوف سترات السهرة ويقصّون على موسيقى فرقة موسيقية كبيرة في فندق بريكل باي الذي تم استئجاره لهذه المناسبة فقط.

لقد أدت غرايس قسطها من الاستعدادات للزفاف، وضمنت العديد من العناصر التقليدية المتوافرة على الجزيرة؛ كانت ذات ذوق جمالي رائع. ولّت حفلة الزفاف كل التوقعات... باستثناء توقع واحد، بالرغم من قيام ماكس برصد ميزانية غير محدودة.

قبل الاحتفال، شعر ماكس أنه يرتكب خطأ. لقد قرر في الواقع استشارة العديد من الأصدقاء والوسطاء الروحانيين، إضافة إلى رجل الدين الذي سيقوم بحراسم تزويجها، وأجمعوا على أنه من الخطأ الزواج بها. ولكن ماكس سمح لقلبه مرة أخرى بالحلول مكان عقله.

"إذا لم ينجح الأمر، يمكننا الحصول على الطلاق". قال بنقّة. كان مأخوذاً برومانسية المناسبة وبجمال هذه المرأة التي سكنت قلبه طوال عشر سنوات وستغدو زوجته. لقد اعتبرها شريكاً روحياً لمدى الحياة، وحالة تلبسي طموحات الجنس البشري والرغبة في إقامة وحدة بين المعلمين الروحانيين الراقدين وطرائق التفكير المعاصرة.

كان ماكس على ثقة أنه الزواج الذي سيجد فيه الغاية من حياته.

التيب

1996

بعد صيفين من الزواج، بدأ النعيم الذي شعر به ماكس بعد عقد قرانه يتلاشى.

فمِنذ عودها إلى كاليفورنيا، أوضحت غرايس أنه ليس المكان الذي تريد الإقامة فيه. هي تحلم بمسزل في فيرجينيا، كما شرحت، واستمرت في حثه على الانتقال. ولكن ماكسيموم بروداكشنز موجودة في كاليفورنيا، وهي المؤسسة التي توفر لغرايس أسلوب الحياة الذي اعتادت عليه.

وبالرغم من مواصلة نشاطاتها كمدرسة للتأمل، كانت غرايس الشخص الأكثر انهماكاً في شوقها الذاتية الذي قابله يوماً. لم تكن تهتم بمهنته وبالأمر الذي تثير اهتمامه.

كانت تُسبدي بعض الاهتمام عندما يحاول إخبارها عن الاثنين عشر، ولكن سرعان ما تتظاهر بالحاجة إلى القيام بأمر أكثر أهمية. وإذا ذكر الأمر لاحقاً، تكون قد نسيت ما أخبرها به من قبل.

قررت السذهاب إلى جاكسون هول، وايومينغ، للاختلاء في صومعة الراهبة التيبية الوحيدة في العالم بعينها الزرقاوين. فالراهبة تدعى أغاتا وينرايت، وقد قصدت التيب في سن التاسعة عشرة

ورُسمت كاهنة. وبعد سنوات قليلة، أدركت أن حياة الترقب ليست لها، وبحث عن شريك روحي ملائم، وتزوجا، ورزقا بأربعة أطفال رائعين، محافظة على ممارساتها البوذية التيبية.

لقد جمعت في النهاية ما يكفي من المال لشراء قطعة أرض واسعة خارج جاكسون هول تبلغ مساحتها أربعمئة فدان، وأنشأت معتزل ماندالا للطلاب الروحيين. لقد أعلنت أغاتا عن قيام راهب تيبى شهير بإحياء صف خاص في نهاية آب/أغسطس، ويبلغ طول هذا الراهب ست أقدام وبوصتين، أطول من التيبى العادي بقدم واحدة. وأُشيع أنه يمتلك قدرات خارقة ويمكن ليديه أن تخترقا للجلايمد.

إنه نوع المعلمين الروحيين الذين تافت غرايس إلى لقائهم، لذلك تسجلت على الفور. وشجعت ماكس على الاشتراك أيضاً، ولكنه قاوم الأمر.

فقالت له إنها لا تريد الضغط عليه لحضور الصف، وأعطته كتاباً أزرق صغيراً بعنوان تأملات الكمال العظيم. ففتحه ماكس وقرأ الجملة الأولى.

هدف التأمل ليس التأمل.

"حسناً، إنه تبدل جيد". قال بسخرية: "قد أقرأ هذا الكتاب في الواقع".

ولكن غرايس لم تردع.

"أظن أنك ستكون فكرة مختلفة عن التأمل إذا انضممت إلي في المعتزل". قالت.

فلم يقتنع ماكس، ولكنه أراد أن يسعد زوجته ويظهر لها أنه منفتح العقل - إن لم يكن نواثقاً - لتعلم أسلوب جديد لضبط النفس.

وهكذا، دفع رسم التسجيل، وتوجّه بعد مدة قصيرة إلى جاكسون هول مع غرايس لتعلّم هذا التأمل الذي سيقوده إلى عدم التأمل. وحاولت أن تشرح له أن عدم التأمل هو جوهر التأمل الدائم في كل لحظة من الوعي واللاوعي؛ ما يدعوه البوذيون حالة من السرور البالغ.

في النهاية، تخلّت عن الأمر، ولكنها بقيت في حالة من السرور البالغ. "أنا سعيدة جداً لأنك قررت القدوم". قالت بتودّد: "ستحبّ هذا المعتزل".

بعد هبوط طائرهما في وايومينغ، استقلا سيارة مستأجرة من المطار وتوجّها إلى مركز الاختلاء. كان الطقس حاراً ومعتبراً، والأميال الثلاثة الأخيرة من الطريق غير معبّدة، مليئة بالحفر، وتطرّح تحديات حتى بالنسبة إلى سيارتهما الفخمة.

لم يعلّق ماكس أهمية كبيرة على وسائل الراحة والتسليّة التي اعتبر أنّها ستكون ريفية في ذلك المكان. وعندما وصلا، شاهد لافتات تشير إلى مكان وجود مواقع التحميم.

لم يكن ماكس من النوع الذي يحب التحميم، لم يسبق له أن نصب خيمة في حياته. كان قد حلّ المساء تقريباً وخيم الظلام عندما وصلا. وباستثناء المصباح المحمول الذي اصطحبته غرايس معها، لم يكن هناك أي ضوء.

لم يكن هناك كهرباء في كل الموقع كما يبدو. فحافظت غرايس على شجاعتها في أثناء اختيار موقع للتحميم، ووجّهت ماكس بالطريقة الملائمة لنصب خيمة.

بعد ساعة من الزمن، شعر ماكس وغرايس بالإحباط وبسرعة انفعالهما، فانضمّا إلى بقية المجموعة في المبنى الرئيس حيث تُعقد صفوف التأمل. كان يتم الإعداد للشروع بمرحلة هيّئة للتأمل، وأعطيت وسادتان لماكس وغرايس وطُلب منهما المتابعة بانتباه.

لحسن حظ ماكس، كانت مرحلة الهيّئة نموذجاً قصيراً دام خمس عشرة دقيقة، وكل من في الغرفة يمارسون التأمل منذ خمس سنوات أو أكثر. وبعد الجلسة، طُلب من كل شخص التعريف عن نفسه والإفصاح عن الأهداف التي حملته على المشاركة في الحلقة.

لقد أمل معظم المتأملين رفع ممارسهم التأملية إلى المستوى التالي، وشعر العديدون أنهم على وشك بلوغ مرحلة النيرفانا، أو على الأقل مرحلة يقطعون فيها صلتهم بأجسادهم أو حواسهم أو أي أفكار متعلّقة بالنشاط البشري العادي، ما دعوه "صمّدي".

كان ماكس آخر من يتعيّن عليه التكلم، وعندما حان دوره للكشف عن أهدافه، تحدّث بصراحة.

"أنا موجود هنا في الواقع لمراقبة زوجتي، غرايس"، قال معترفاً، "لا أعرف شيئاً عن التأمل، ولكنها تمارس التأمل منذ عشرين عاماً، والأمر هام بالنسبة إليها. لذلك، أنا هنا".

لم يتقبّل زملاء الصف الجدد حقيقة أمره بارتياح، وتبيّن له أن الاعتلاء هو للطلاب الذين بلغوا مراحل متقدمة في التأمل. وشعر العديد منهم أن ماكس تسلل إلى المعتزل كونه زوج طالبة متمرسّة؛ نادراً ما تقوم ممارسة في مرحلة متقدمة بالزواج بشخص ليس من مستواها أو لا يملك حافزاً قوياً لممارسة التأمل.

فاستاء ماكس من الحكم الصادر بحقه على هذا النحو. لقد رآه في وجوه الأشخاص المحيطين به؛ وجوه هؤلاء المدعوّين طلاباً في

مراحل متقدمة. لقد ذكره الأمر بالقادة الروحيين الذين التقى بهم في أسفاره والذين رفضوا تقبل أولئك المختلفين عنهم.

ولاحظ أنه يتعين عليه الموافقة على ما يمارسونه وإلا انتقصت قيمته كفرد. كان يكره الرياء، وقد أدرك أنه السبب الكامن وراء عدم اعتناقه أي معتقدات دينية محددة. كان ماكس على طريقه الاستكشافي الخاص، ولم يشأ أن يحيد عن حقيقة أمره وعن سعيه إلى اكتشاف الغاية الحقيقية من وجوده.

وتحدثت أغاتا، منظمة ومؤسسة مركز الاختلاء، من بعده. فرمقت الموجودين واحداً تلو الآخر بنظرات هادئة اكتسبتها طوال ثلاثين عاماً من التأمل، وشرعت بالكلام.

"سيكون هناك تبديل في المعلمين هذا الأسبوع"، أقرت، "أعرف أن معظمكم جاؤوا للقاء التولكو (الكاهن عالي الرتبة) هانكا بصفة خاصة وممارسة التأمل معه. لسوء الحظ، رفضت الحكومة الصينية منحه تأشيرة السفر التي تسمح له بمغادرة الصين، ولن يتمكن من الانضمام إلينا".

حدثت مهمة بين الحشد، وانتظرت حمودها، وأضافت.

"سيحل مكانه التولكو الريبونش شيبا، مؤسس دير توركواز في التيبال. كان التولكو شيبا قادماً، على كل حال، لإجراء احتفالات تكريس المسوار البوذي الجديد الذي سينتهي العمل على بنائه هذا الأسبوع. التولكو شيبا هو المرجع الأعلى في العالم للاحتفالات المرتبطة بالمزارات البوذية".

وفي حين فهم ماكس معنى عبارة "دير توركواز"، لم يتمكن من فهم مدى الأهمية التي أولاها الحشد للشخصين اللذين ذكر اسمهما. ولم يُبالٍ بالأمر بما أنه لا يوجد أي فرق بين رجال الدين.

"إنه معلّم رائع"، أضافت أغاتا، "لذلك أمل أن تستفيدوا من الخلوة كما لو أن التولكو هانكا هو الذي يدير جلسات التأمل فيها".

لقد جمع ماكس بعض المعلومات عن احتفالات المزارات البوذية عندما كان يعمل على فيلم البحث عن الفادي التاريخي. فالمزار البوذي هو بناء مستدير الشكل، مليء بأغراض مبجلة لبوذا وذخائر من صنّع السربان، ويقوم بوذيون مكرّسون بالتطواف في المكان في أثناء تلاوة أدعيتهم.

ويعتقد أن المزار البوذي يمثل وجود بوذا على الأرض، ويستمد الطاقة من بوذا ويمرّرها إلى أولئك الذين يملكون بناء المزار، ويشيدونه، ويحافظون عليه، ويكرّمونه، إضافة إلى أولئك الذين يتلون أدعيتهم.

بالرغم من توترات أغاتا، لم يتلق طلاب التولكو هانكا بشكل جيد نبأ عدم تمكنه من الحضور. إنهم قادمون من مختلف أنحاء البلد، وقد دفعوا مبلغاً طائلاً من المال للقاء التولكو هانكا ذي القامة الطويلة.

ولم يكن التولكو شيبا مثل التولكو هانكا.

وكانت غرايس الأكثر تعبيراً عن خيبة أملها.

"إنه أمر غير منصف"، قالت بصوت عالٍ، "من أسباب محيبي إحراج مقابلة مع التولكو هانكا سأضمتها كتابتي الذي أعترم وضعه. كان يفترض بك إعلامنا قبل وصولنا".

"سنبقي"، أضافت، "ولكن الأمر يتعطي كونه محيّياً للآمال".

ودمدم الحشد موافقاً، ولكن قيل أن تتمكن أغاتا من الإجابة،

دخل زوجها إلى غرفة الاختلاء ولقت انتباه أحدهم.

"من يملك سيارة رقم لوحتها 4 جي 18 في آر؟". سأل وسط الضحيق. "هي متوقفة في موقع التخميم، ويجب ركن كل السيارات في

الموقف المخصص لها فقط. إنما أرض مبجلة وحساسة من الناحية البسية. يجب علينا أن نحترمها بأجمعنا، لذلك، أيًا يكن مالك تلك السيارة، أرجو أن يقوم بنقلها على الفور".

إنها سيارة غرايس وماكس، فخرجنا، وتمكنت من التدخين في طريق عودتنا إلى موقع التخييم، ومن موقع التخييم مروراً بموقف السيارات ووصولاً إلى النخمة.

كانت الساعة قد تخطت منتصف الليل بإحدى عشرة دقيقة عندما عادا، ولم تتمكن من استئناف نذمراتهما، ولم يتيقّ لهما سوى الخلود إلى النوم.

في صباح اليوم التالي، وصل الريونش، أي المعلم كما دُعي طوال فترة الاختلاء، إلى المخيم. كان مقتول العضلات، ويمتاز بصفات تيبية حادة، ويرتدي لباساً أرجوانياً.

لم يكن الريونش يتكلم سوى اللغة التيبية - لم يكن يجيد الإنكليزية أبداً - لذلك اصطحب معه مترجمه الخاص.

لم تُعقد الجلسات في الوقت المحدد، ولكن عندما اعتاد ماكس على التأخير، أصبحت الصفوف كأي صفوف في الكلية تقريباً. ووجد الأمر مثيراً للاهتمام، الأجواء مماثلة تقريباً لأجواء هارفرد ويال، وكانت المرة الأولى التي يحفره أستاذ على التطرق إلى شؤون فلسفية بعد حرمانه في يال من حضور صفوف في الفلسفة.

ولكن الريونش أفضل من أستاذة يال. لم يكن يطرح أسئلة فحسب مثل: ما شكل الكون؟ أو ما لون الكون؟ بل كان يُعطي إجابات عنها أيضاً. وبدلاً من التعبير عن آرائه ببساطة، كان يبدو شديد الفضول لسماع آراء أفراد المجموعة الحاضرة.

لم يكن معظم الحاضرين يتطوعون للإجابة، ولكن ماكس اعتاد المشاركة... وإعطاء إجابات صحيحة. ولسبب ما، قال إن الكون أزرق.

وعندما أعطى هذا الجواب، قيل له إنه مخطئ ويُفترض به الخروج إلى الغابة المحيطة والتأمل للعثور على الجواب الصحيح. وقيل له إن الريونش سيستدعيه عندما يمر وقت كاف على وجوده في الخارج.

وانتهى الأمر بماكس مضطراً مزيداً من الوقت في الغابة أكثر من إجمالي المدة التي أمضاها المتأملون بأجمعهم.

لقد تخيل الكون مجدداً على صورة لوب مزدوج، ولكنه مخطئ وفقاً للريونش.

وكان عليه الخروج إلى الغابة مجدداً. وبدأ يشعر كما لو أن الذهاب إلى الغابة أشبه باعتماد قلنسوة مغفل في الصف الثاني يجلس في الزاوية على كرسي من دون ظهر في أثناء حصّة الآسنة مونتالدو الدراسية، ويسخر منه الطلاب.

ولكن هؤلاء التاملين لم يكونوا يسخرون منه بالرغم من أن بعضهم لم يتمالكوا أنفسهم عن الابتسام بسبب كثرة خروجه إلى الغابة.

بالرغم من ذلك، كان الأمر حديداً بالنسبة إلى المشاركين، وبدأ أنهم ينظرون إلى انصياع ماكس بكل تقدير. ولم تُرسل غرايس إلى الغابة أبداً لأنها لم تتطوّل للإجابة عن أي سؤال من أسئلة الريونش، كما هي حال معظم أفراد المجموعة. لم تكن طبيعة التعليم تتطلب وجوب الإجابة عن الأسئلة المطروحة، ولم تكن توضع علامات، باستثناء العلامة التي قد يضعها كل مشارك لنفسه، تحديداً لمدى اقتراحه من مرحلة التنوّر.

لاحظ ماكس العديد من الأمور بما في ذلك حس الفكاهة الرائع الذي يتمتع به معلمهم.

ففي سنّ الثالثة، اعتُبر المعلم مكملاً لسلسلة الرهبان في دير عظيم في التبت. وفي سنّ السادسة، كُرّس تولكو في دير مجاور. إنه أمر غير عادي تماماً بما أن هذه التعيينات تعني أنه متقّص من تولكو سابق، وهو أمر مائل لعملية اختيار الدالاي لاما. ومن النادر في الواقع أن يتم اختيار الشخص نفسه مرتين، مما يعني أنه متقّص من روجين متتورتين مختلفتين، ولكن من الواضح أن التعاليم البوذية تسمح بحدوث هذه الأمور الاستثنائية.

ومن وجهة نظر الريونش، من النادر جداً أن تكون السلالتان اللتان يمثلهما قد تمتعتا بأكثر من خمسة عام من الحكم الذاتي المتواصل الذي افُهر في أثناء عهده.

كان في الخامسة عشرة من عمره فقط عندما قام الصينيون - الذين اجتاحتوا التبت - بسجن كل الدالاي لاما ووضعهم في سجون ذات حراسة مشدّدة، وفي معسكرات للأعمال الشاقة في مناطق حرجية نائية حيث يُجبر السجناء على قطع الأعشاب طوال اليوم ويتمنون للتعذيب في الليل. والسجناء الآخرون الموجودون في المعسكرات هم المجرمون وأولئك الذين حُكم عليهم بالموت.

ويسدّخل الحراس في منتصف الليل ويختارون لاما أو مجرماً، ولا يظهر ذلك الفرد مجدداً في غالب الأحيان. وعندما يظهرون مجدداً - ولا يحدث ذلك إلا في حالات نادرة - يكونون قد تعرّضوا للضرب بشكل وحشي. ولن يطول الأمر حتى يؤخذ أولئك السجناء الذين تعرّضوا للتعذيب للاستجواب، ولا يعودون أبداً بعد الاستجواب الثاني.

"في الواقع، كنت ممثلاً لقيام الصينيين بسجن"، شرح الريونش بواسطة مترجمه، "الأمر أشبه بالتواجد في جامعة اللاما الأكثر تنقيفاً في العالم. لقد جمع الصينيون اللاما الأكثر حكمة من أنحاء التبت كافة، وتعلمت منهم جميعاً. كنت شاباً وقوياً وأحد أفضل العمال. لذلك، بقيت في المراتب الأخيرة على لائحة أولئك الذين يجب تعذيبهم وإعدامهم. ولكن شيئاً لم يكن أكيداً بالطبع"، أضاف، "وعندما أقوم بالتأمل، كنت قادراً على التأمل بطبيعة الزوال بطريقة لم يكن في إمكاني اختبارها من دون إدراكي الحقيقي أنني قد أتعرض للقتل في أي لحظة".

بعد أربعة عشر عاماً من العمل الشاق، قال الريونش، إنه قد أطلق سراحه ولجأ إلى النيبال حيث أنشأ ديراً للراهبات. معظمهن لاجعات من التبت، والعديد منهن تعرّضن للضرب والاعتصاب من قبل الحظنين الصينيين. وهناك التقى أغاتا، ودُعي إلى أداء الشعائر الميحلة لتكريس المزار البوذي.

إنه من سلالة بوذيّ دزوكن الذين جمعوا بين تعاليم شعب السبون - قبيلة كهنتوية مقيمة في الجبال - وتعاليم بادماسامهافا، وهو المعلم البوذي التيبتي الأعظم ومؤسس الديانة البوذية. كان شعب البون موجوداً قبل قرون من بوذا، ويُعتقد أنهم يتمتعون بقدرات غريبة، ويتمثل الهدف من التأمل وفقاً لدزوكن بالتمسك بالجنس "الجنس القوس قزحي". وهو تعبير يشير إلى اكتساب الروح المعرفة المطلقة وتمكنها من اتخاذ أي شكل في أي وقت.

فالأمر أشبه ببلوغ حالة النيرفانا، إضافة إلى تمكن هذا الشخص من التمتع حتى يشاء على صورة كيان أو مادة يمكن أن يختارها، فيصبح عصفوراً، أو جبلاً، أو جدول ماء، أو حجراً، أو حيواناً، أو إنساناً آخر، أو قوس القزح نفسه.

في اليوم الخامس من الصوف، حان موعد تدشين المزار البوذي. فطلب المترجم من الجميع التحلّق، وأخير الطلاب أنه في أثناء مشاركة الجميع بالترانيم سيكون الريونش بحاجة إلى من يساعده على إتمام الاحتفالات، وهو أمر مشرف جداً.

فماكس هو الشخص الوحيد الذي لم يكن من المنتظر اختياره لأنه حديث العهد. وسواء أكان الريونش يعرف ذلك أم لا، فقد انتهى به الأمر باختيار ماكس.

لم يكن ماكس يشعر أن الريونش متنور، ولكنه أعجب به وكنّ له كل احترام. كانت لديه مناقية وتنظيم في العمل يجعلانه على الاستيقاظ عند الرابعة صباحاً وتقديم استشارات خاصة، ومن ثم التعليم بدءاً من الثامنة صباحاً وحتى السادسة مساءً. ويؤدي في معظم الأمسيات طقوس التأمل في الأكواخ، وتحت الشغيفات، وفي المنازل الريفية البسيطة المنتشرة على امتداد مركز الاختلاء التي تبلغ مساحته أربعمئة أكر.

وأعجب ماكس أيضاً بواقع أن الريونش يتناول اللحوم. كانت تحتوي كل وجبة يتناولها على لحم غنم مع أرز بالكاري عادةً وخضار، بكميات كبيرة. لقد عزز هذا الأمر ثقة ماكس بنفسه، بما أن غرايس ومعظم زملائها النباتيين يعتقدون أن أكلة اللحوم يُحكم عليهم بقدر كبير من العذاب في الجحيم.

وطوال يومين كاملين، عمل ماكس كمبتدئ. كان يحمل الصينية التي يوضع عليها الأرز المُجَلّ، ويسلم أغراضاً مبلّلة إلى الريونش الذي يلقيها بين الطلاب المتجمعين بعد تكريسها لأسياذ وسيدات مُجَلّين مختلفين.

عندما حان وقت التلاوة المطوّلة لطقوس محددة، قام ماكس بقلب صفحات لفافات أوراق قديمة. ويتألف طقس واحد أحياناً من عشرين

صفحة أو أكثر، وتتطلب تلاوته ساعة واحدة أو أكثر.

وبعد كسل استراحة، كان ماكس يفترض أن دوره قد انتهى، ولكن الريونش يستعين به مجدداً، لقد بدا له أن الزمن لا يمضي في أثناء هذه الطقوس. وتشكلت سُحُب غريبة في السماء.

كان الحاضرون مقتنعين أن السُحُب تحمل شكل بوذا، وهي دلالة على حضوره. لم يكن ماكس واثقاً من ذلك، ولكن مساعدة الريونش حملته على الشعور بالموثقة وأن السُحُب هي بمثابة التزام لدى الحياة.

كان لا يزال غير قادر على التأمل لأكثر من عشرين دقيقة من دون الإصابة بملل جذّي.

عندما انتهت الاحتفالات، أُعدّت للحاضرين وليمة رائعة قُدّمت فيها أنواع الطعام كافة - الحلو منه والحامض - إلى جانب المشروبات على اختلاف أنواعها. كان موضوع الوليمة "مذاقاً واحداً"، وهو يعكس المفهوم الذي يشير إلى أن الأطعمة كافة متساوية ولا يُفترض بالشاركين تفضيل نوع من الطعام على آخر.

لم يكن يُفترض بهم النظر إلى الطعام الموجود في الطبق الذي يبقيه الخادم مليئاً. ولم تكن هناك أدوات للطعام، لذلك يقوم كل شخص بالانسقاط أول ما تلمسه يده ببساطة. وفي إحدى المرات، وجد ماكس في يده كعكة محلاة مع مزيج من الطعام اللذيذ. كانت مغامرة إلى حد ما، وقد استمتع بكل دقيقة منها.

وقُبيل نهاية الوليمة، دنت أغانا وينرايت من ماكس وسألته عما إذا كان جسدول أعماله يشمل الحصول على استشارة خاصة من الريونش. وتفاعلت عندما أجابها بالنفي.

"ألا حسناً، يُفترض بك ذلك حقاً"، قالت مُطلقة ابتسامة عريضة، "لقد حصل الآخرون على استشاراتهم الخاصة. كنتُ مساعداً ممتازاً، ولا أريدك أن تُهمل الأمر".

* * *

عند الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي، تجتمع الجميع في القاعة الكبرى لعقد الجلسة النهائية. وبدأت الترانيم قبل التأمل، وسأل المترجم بالنياحة عن الربيونش إذا كان يوجد في الغرفة من لم يتخذ مسلاًدًا له بعد. ويشير هذا التعبير إلى اتخاذ اسم تيني خاص يسمح للمتلقّي بالانفتاح على بادماسامهافا في أثناء التأمل، وبمنحه فرصة التنوّر واكتساب الجسد القوس قُرُحي، أيًا تكن هذه الفرصة بالصغر.

كان كل من في الغرفة قد اتخذ "مسلاًدًا آمنًا" له باستثناء ماكس، لذلك تم استدعاؤه للوقوف أمام الجميع في الجهة الأمامية من الغرفة. ومُنح مسلاًدًا آمنًا في احتفال سريع دام خمس عشرة دقيقة، ومرّر له الربيونش خفيّة قصاصة ورق كُتب عليها اسمه التيني الجديد. وفقد ماكس السورقة على الفور، ولم يتعلّم أبدًا لفظ اسمه التيني. وقيل له إنه يعني "ماسة"، أي أنه يعني مفكرًا طاهرًا قويًا وبارعًا.

بعد ذلك، كان هناك ترتيب إضافي قبل الشروع بالتأمل: لقد أحضر الربيونش معه من التيت عشبة سوداء مرّرها على الجميع في الغرفة. وأخير مترجمه الحاضرين أن العشبة زرعها اللاما التيتيون القادماء في حدائق اعتنى بها الرهبان طوال قرون من الزمن. فالطاقة والبركة اللتان وضعهما الرهبان واللاما في العشبة تعزز الرحلات الروحية لكل من يتناول العشبة.

وتناول كل فرد جزءاً صغيراً من العشبة التي لا يزيد وزنها عن غرام واحد، ومضغه أو ابتلعه. وبما أن الجميع وجدوا هذا الأمر اعتيادياً، هذا ماكس حذوهم وابتلع العشبة.

لم يلاحظ حدوث أي أمر غريب على نحو استثنائي، ولكنه تفاجأ لدى اكتشافه أنها المرة الأولى التي يتمكن فيها من تحمّل ساعتين من التأمل من دون الشعور بتمل تام، أو الانشغال بموضوعات عملية أخرى.

وبعد انتهاء التأمل، وإلقاء الجميع تحيات الوداع، توجه ماكس إلى موقع التعقيم الخاص بالربيونش للحصول على استشارته الخاصة. كان المعلم ومترجمه في الانتظار. وبدأ المترجم الجلسة.

"يريد الربيونش أن يعرف ما الذي تسعى وراءه، وما إذا كان في استطاعته مساعدتك"، قال.

"لا أسعى وراء أي شيء في الواقع"، أجاب ماكس بصدق، "ولكنني أنسأل عن سبب امتلاء العالم بهذا الكمّ من العنف والكره، وسبب معاناة الكثير من الناس".

وعندما تُرجم تعليقه، فكر الربيونش للحظات وأجاب. "أحبّ الجميع كما لو أنهم أبناءك"، قال المترجم، "بهذه الطريقة، ستبدأ بفهم أن ما تعتبره عنفاً وكرهاً يؤذي الأطفال ببساطة. فهذا النوع من السلوك لن يدوم".

بعد ذلك، أعطى الربيونش ماكس صورة له وبطاقة عمل كي يتمكن ماكس من مراسلته إذا كانت لديه أسئلة في المستقبل. وشكر ماكس بسبب المساعدة التي قدّمها إليه، وعاد إلى خيمته لحزم أمتعته والرحيل.

في طريق عودته إلى موقع التخميم الخاص به، لاحظ ماكس ازدياد حالة الوعي لديه. وبدأ يشعر بأن الأشجار والنباتات حيّة أكثر من أي وقت مضى. وانتابه بعد ذلك شعور بمشاركة الصخور، لا بل أيضاً الأرض التي يسير عليها.

بدا كل ذلك غريباً إنما مجتمع. كما لو أن كل الحدود بين ماكس والأشياء الأخرى تزول.

هل يمكن أن يكون ذلك بفعل الصمدي، تساءل.

وعندما وصل، وجد غرايس تفكك الخيمة.

"وضّيت كل شيء، وأنا مستعدة للذهاب"، قالت، "كل ما عليك القيام به هو إحضار السيارة. يتطلبنا الأمر خمساً وأربعين دقيقة للوصول إلى المطار. إذًا، لننطلق". وقاطعت توجيهاتها الجازمة حالة الوعي الحاد الذي يشعر به ماكس، وامتنل لطلبها.

ولم ينظر ماكس إلى بطاقة الريونش التعريفية إلا عندما جلس في الطائرة المتوجهة من وايومينغ إلى كاليفورنيا. كانت هناك في أعلى البطاقة حروف مكتوبة بشكل أنيق.

دير توركواز زان نيبال

وكان تحتها اسم

الريونش غيوثما شيبا

لم ينتبه ماكس كثيراً في الليلة الأولى من وجوده في المعتزل عندما أعلنت أغاثا أن التولكو شيبا سيحل مكان التولكو هانكا.

ولكنه علم بوضوح مفاجئ أن الريونش هو أحد الاثني عشر عندما نظر إلى الاسم "غيوآما شيبا".

فأسند ظهره إلى مقعده وغرق فيه. أخيراً، التفت إلى زوجته وقال:

"يا الله، يا غرايس...". تتمم. "الريونش هو أحد الاثني عشر".

"الاثنا عشر؟"، أجابت، "الاثنا عشر؟ ما الذي تتكلم عنه؟".

"الأسماء الاثنا عشر التي رأيته في أثناء اختياري حالة التورانية عندما كنت في الخامسة عشرة من عمري". قال ماكس، وشعر بالإثارة تملاً كيانه.

"أه، تلك القصة القديمة"، أجابت مستنكرة، "ظننت أنك تخلّت عنها في تلك السنوات الماضية. قلت إن الأمر لن يؤدي إلى أي مكان بعد لقاءك بالأشخاص الأربعة الذين يحملون أولى الأسماء، وإن لا منطق أو رابط بين الأربعة الذين التقيت بهم".

"هذا صحيح، ولكن ما حدث يبذل كل شيء، الريونش هو أحد الاثني عشر"، قال ذلك وقد حلت الحماسة مكان الإثارة، "ربما تخلّيت عن البحث باكراً جداً".

فشعرت غرايس بالاعتماد، سوّت غرايس الطوق الخاص الذي تضعه حول عنقها والوسادات التي تصطحبها معها في كل رحلة جوية. "حسناً، هذا جيد، يا ماكس"، قالت، "لم أحظّ بكثير من النوم لسيلة أمس، وأنا بحاجة إلى قيلولة. يمكنك أن تطلعني على الأمر عندما نصل إلى المنزل".

فحدّق إليها ماكس، ومن ثم تغلّى عن الأمر وحاول قراءة الصحيفة.

ولكنه لم يتمكن من التوقف عن التفكير في الريونش والعودة غير المرغوب فيها للاثني عشر إلى حياته. وعاد إلى الحالة التي عبرها في وقت مبكر من اليوم من دون أن يصرف أي شيء انتباهه.

لقد بدا الأمر كما لو أن حواسه اكتسبت مزيداً من القدرة، ورأى الروابط بين كل ما يحيط به سواء أكان متحركاً أم غير متحرك. لقد بدا كل شيء حيّاً وذاعياً، حتى الحجر الموجود في الصحيفة التي يقرأها.

عن الحيني

1996-2001

اشترت ماكسيموم بروداكشنز في الازدهار لدرجة أن ماكس لم يعد بحاجة إلى أن يكون موجوداً على الدوام لاتخاذ كل القرارات. وهكذا، وجد نفسه مقيماً خارج شارلوتفيل، فيرجينيا، في عقار كما كانت تحلم غرايس.

لقد بُني ساميت فارمز عام 1908 من قِبل عائلة دوبون التي اشترت في الوقت نفسه وهددت مونيبييه الذي وُلد فيه جيمس ماديسون. كان ساميت أكبر حجماً من مونيبييه، وقد بُني وفقاً للأسلوب الجنوبي التقليدي مع أعمدة ضخمة يتركز عليها مدخل المنزل الفخم المؤلف من ثلاثة طوابق والبالغة مساحته اثني عشر ألف قدم مربعة.

كان من المنازل الأكثر جمالاً في الولايات المتحدة عندما شُيّد، والأكثر تحسناً بالتأكيد. تبلغ سماكة جدرانه ثلاث أقدام، وقد بنيت لتدوم طويلاً. وهناك مكتبة من طابقين بمساحة ثلاثة آلاف قدم حوّلتها ماكس إلى مكتب له. ولغرايس جناحها الخاص أيضاً، إضافة إلى خمس غرف نوم للضيوف ومسكن للخدم في الطابق الثالث.

وتلاشت المشاعر السلبية التي سبق له أن اختبرها، وكل ما شعر به هو الحب والتعاطف. كانت هناك قصة في الصحيفة عن فتاة تعرضت للاغتصاب، ولم يُلْهَب هذا الأمر فقط مشاعره بل وكون الحبر واقعاً إلى الأبد في شرك قصة الاغتصاب تلك.

بالنسبة إليه، لقد بدا الأمر كما لو أن الحبر يختبر الرُعب الموجود في الكلمات التي يشكل خطوطها، وأن وعي الحبر لن يتحرر أبداً من ذلك الرُعب حتى زوال الصحيفة.

في هذه الحالة بالذات، أدرك ماكس الغاية من حياته. من المقدر له السعي وراء الاثني عشر. لم يكن يعرف السبب، ولم يكن يعرف كيفية تحقيق ذلك. لم يكن يملك أي فكرة عن كيفية ترابط الاثني عشر في الواقع.

ولكنه يدرك أنه يتعين عليه إيجادهم.

وفي الطابق السفلي غرفة لللياردو، وقبو للشراب، وغرفة لغسل الملابس، ومطبخ قديم يعود تاريخه إلى زمن استخدام مصعد صغير ونظام بكرة لنقل الطعام إلى الغرف في الطوابق العلوية.

وهناك قاعة للرقص على ارتفاع الطوابق الثلاثة تنسع لنحو مئتي زوج من دون حدوث أي ازدحام، وفيها شرفات مبنية فوق ساحة الرقص للموسيقين.

لقد أعجب المنزل ماكس، ولكن غرايس أحبه، ولضمان مستقبلها هناك، سجل الملكية باسمها، وقد كرسَتْ نفسها للاستمتاع بالاعتناء بملكيتها هذه.

وقصّدت المراتب العلوية في سوثايز وكريستيز وحصلت على ثريات تعود إلى زمن بناء المنزل، إضافةً إلى تحف أثرية، وسجاد، وموائد للطعام، وتحف صغيرة الحجم، وتماثيل، اعتبرت أنها ستزيد من الجمال الطبيعي للمنزل.

وعلى أقصداء ماكس قائلين إن المنزل يبدو واسعاً جداً لشخصين فقط، ولكن ماكس أوضح أنه يجب استضافة أشخاص وتكريمهم، وأن المنزل يمنح غرايس متفهماً لإبداعها الجمالي. لقد تمثّلت عخطتها بتحويل المزرعة المخصصة لتدريب الجياد البالغة مساحتها مئتي أكر إلى مصنع للشراب، وتحويل المبنى الأصلي للمركبات إلى مكتاب، وتحصين الجسر الذي يعبر الخليج الصغير على امتداد ميل ويؤدي إلى المنزل الرئيس، وتحديد بعض الأهراءات ومبانٍ خارجية أخرى، وإضافة حلبة داخلية حديثة لتدريب الجياد، واستحداث بحيرة بمساحة ثلاثة أكرات مكان حقل الذرة القائم بين الغابات الخلفية والمنزل الرئيس.

"سيكون فنج شوي جيداً"، قالت لماكس.

لم يكن لديه ما يقوم به تقريباً باستثناء تسديد الفواتير. واستخدمت غرايس مدبّرات منازل، ومديري مزرعة، ومديري مين، وكان المنزل يعجّ بالناس على الدوام كما لو أنه سيرك، فينسحب ماكس إلى مكتبته ويركز على فرص العمل المتوافرة.

كان ينسَل من حين إلى آخر إلى كزويك المجاور للعب جولة أو جولتين من الغولف. فكزويك هو نادٍ خاص وفريد يحتوي على فندق فخيم وعلى أغلى مطعم للوفاة في شارلوتيل. لم يكن ماكس يحب طابع الأناقة والتميّز والخدمة البطيئة في المطعم، ولكن المشرب وقسم الشواء في نادي الغولف يوفّران الطعام نفسه من دون أي اهتمام زائد بتوافه الأمور.

لقد اعتاد ماكس القيام بالأمور بسرعة، ولذلك كان كزويك مثاليّاً بالنسبة إليه. كان هناك عدد قليل من الأعضاء نسيّاً، لذلك يكون في استطاعته القيام بجولة غولف على امتداد ساعتين أو أقل عندما يغادر العمل بعد الظهر ويصل متأخراً.

ويقدّر استمتاعه بالغولف، كان يجد نفسه بمقت اهتمام زوجته بالشؤون المادية، وتساءل عما إذا كان واقع انتسابه إلى عضوية نادٍ حصري للغولف يغذّي رغباتها المادية أكثر مما يغذّي رغباته.

لم يدرك تقريباً الحال التي أصبح عليها.

ومرة أخرى، بدأ يتساءل عن الغاية من حياته. هل هذه هي الغاية؟ هل وُجد ليجمع ثروة ويوفر لغرايس أسلوب حياة مُسرّف فحسب؟

وتناق أكثر فأكثر إلى الحصول على إجابات، وكان يبحث دائماً عن تحديات جديدة.

جاء التحدي على صورة فرصة عمل بعد إحالته إلى مايك غالاواي.

فعالاواي هو الذي ابتكر جهاز الكتاب سهل القراءة عام 1999. أول كتاب قراءة إلكتروني يمكنه أن يتسع لعشرات الروايات، والصحف، والمجلات، ويسمح للقراء باصطحاب المواد التي يرغبون في الاطلاع عليها أينما ذهبوا. لقد أطلقت دعاية مضملة أن هذا الجهاز قد يغير طبيعة نشر الكتب ويعود على أوائل المستثمرين ببلاتين الدولارات.

نتيجة لذلك، أصبح ماكس من أول المستثمرين وطور صداقة مع مايك الذي كان ناعية في التكنولوجيا ويتمتع بالعديد من الهوايات المثيرة، بما في ذلك الاشتراك في سباق السيارات فائقة السرعة.

وبدأ ماكس بالسفر إلى بالو ألتو، كاليفورنيا، للمشاركة في سباق السيارات مع مايك. في إحدى هذه الرحلات، تقرب منه مستثمر صيني شاب يدعى سيمباك أتى من فانكوفر، كندا، للقاءهما بصفة خاصة. وانضم إليهما في أثناء توجههما إلى حلبة السباق، وشرح قائلاً إن شركته تطلق مشاريع جديدة في النشر وصناعة الأفلام في الصين، وتريد ضمان الحقوق لإنتاج جهاز الكتاب سهل القراءة هناك.

فالتفت مايك وسأل ماكس عن رأيه.

"الصين سوق كبيرة". قال ماكس بصراحة: "يفترض بنا استكشافها".

وانطلقا إلى بكين.

كانت شركة سيمباك - كينوت - تستضيف مؤمراً كبيراً حول مستقبل النشر، ودُعي الرجلان إلى إلقاء كلمة. مايك، لأنه الناعبة

التكنولوجي وراء جهاز الكتاب سهل القراءة، وماكس، لمناقشة تطبيقات الجهاز في ميدان الأعمال. كانت الحكومة الصينية شريكة كينوت، وتقوم المحطة التلفزيونية، والإذاعة، والصحف الرئيسة بتغطية الحدث.

شرح مايك وماكس قائلين إن الجهاز يسمح بتخزين كل النصوص الصينية في أداة إلكترونية بسيطة، متحتين قطع ملايين الأشجار ومُدخرين بلايين الدولارات التي تُنفق على إنتاج، وتخزين، وشحن كتب ورقية. لقد أحدث عرضهما جلبة، وأقيمت مأدبة بعد ذلك أعلن فيها مؤسس كينوت أن الرجلين سيكونان مستشارين للمبادرة الإلكترونية الجديدة.

في أثناء المأدبة، جلس ماكس إلى جانب المدير التكنولوجي الأول في كينوت الذي قُدّم إلى ماكس باسم صن ببساطة. كان في أوائل العقد الخامس من عمره، طويل القامة، مثقفاً، متحفظاً، دقيقاً، يضع نظارة كبيرة، ويرتدي بذلة مع ربطة عنق ذهبية اللون.

يتكلم صن الإنكليزية بطلاقة، ولكنه يفكر ملياً قبل التكلم. وفي أثناء الوجبة، علم ماكس أنه يملك تاريخاً غير عادي.

كان في سن المراهقة في أثناء الثورة الثقافية لماو تسي تونغ، وقد أظهر موهبة استثنائية كممارس لرياضة الهوكي على الجليد، ومثل الصين في الألعاب الأولمبية الشتوية عام 1980 وكان نجم الفريق.

تلقّى صن منحة دراسية كاملة لدراسة طب الأعصاب في كلية الطب الرائدة في الصين. ومع بدء الصين بالانفتاح على الرأسمالية، تم احتسابه ليكون الناطق الرسمي إضافة إلى انتمائه إلى العديد من مؤسسات العناية الطبية. وبازدياد شهرته، أُرسل إلى كلية وارثون بزنيس في الولايات المتحدة، وحصل على شهادة ماجستير في إدارة

الأعمال. لديه منازل في فانكوفر، وشيكاجو، ويكين. وبالرغم من أن العمل يشغل كثيراً من وقته، قام بممارسة التمارين الرياضية للمحافظة على لياقته البدنية، ودرس طب الأعصاب كهواية.

كان عمله مع كينوت هاماً، ولكن الوقت الذي يمضيه في عمله بمسئ 20 بالمئة فقط من الوقت المخصص لأعماله الأخرى نظراً إلى أدواره الهامة في شركات صينية عديدة رائدة، وسعى وراءه رأسماليون أميركيون رئيسون مهتمون باستكشاف فرص استثمارية في السوق المحلية الصينية المتنامية.

ولكن ماكس لم يكن مهتماً بأيّ من هذه الأمور بقدر اهتمامه بمعلومة محورية، الاسم الكامل لصن. إنه الدكتور شو صن باك، وعرف ماكس أنه أحد الاثني عشر عندما لُفظ اسمه.

إنه الاسم السادس لمزيد من التحديد.

بطريقة ما، إن لقاء جرى بالصدفة في بالو ألتو، كاليفورنيا، حمل ماكس إلى بكين على بُعد آلاف الأميال، وهي المصادفة الأخيرة في سلسلة من المصادفات المستحيلة.

وحافظ ماكس على هدوئه بالرغم من ذلك الشعور المألوف لدى تعرّفه الفجائي إلى أحد الاثني عشر.

"يا صن، لتتناول الغداء غداً"، اقترح ماكس بجرّص، "أريد معرفة المزيد عن كينوت، وأعتقد أن هناك فرصاً أخرى يمكننا مناقشتها أيضاً".

في اليوم التالي، وفي أثناء تناول غداء لذيذ في أحد مطاعم صن المفضّلة، خرج ماكس شيئاً فشيئاً من محور حديثهما الذي يتناول الأعمال، مراقباً ردود فعل صن بعناية. وعندما اتضح أن الرجل منفتح

على الأفكار الجديدة والغامضة، وصف لصن اختباره لحالة النورانية ولغز الناجم عن الأسماء الاثني عشر.

لقد أصغى صن بصبر. وكونه رجل علم، كان متشككاً - وفضولياً في آن - حيال قصة ماكس.

"انطلاقاً مما قلته، لا يوجد أي دليل على حالتك تلك"، قال متحدّثاً كما لو أنه يحل نموذج عمل، "ربما كنتَ هُذي. عندما ينقطع الأوكسجين عن الدماغ، يمكن للعقل القيام بأمر غريبة".

فقدر ماكس صراحته حق قدرها، ولكنه لم يرتدع كالعادة.

"ربما كان ذلك صحيحاً في بداية الأمر"، قال مجادلاً، "ولكن إذا افترضنا أن الأمر هو كذلك، كيف حدث أنني التقيتُ بستة من الأشخاص الاثني عشر حتى الآن؟ كيف تفسر طريقة تصرفهم أيضاً؟".

وفكر صن في سؤاله ملياً وبجدية قبل أن يجيب.

"إنه لغز حقيقي. لقد قرأتُ أن الفيزياء الحديثة تفترض أن الزمان والمكان يتواجدان في نقطة محددة حيث تتواجد كل مادة وطاقة، وكل الأحداث. قد تكون هذه النظرية صحيحة إلى حدّ ما، فدخلتَ ذلك الحيز الزماني في أثناء اختبارك حالة خروجك من الجسد".

"عندها"، أضاف، "صادفتُ اسمي ربما، أو أن شيئاً ما من ذلك الحدث بقي معك وحملك على الظن أن اسمي هو اسم سبق لك أن رأيته". وهز رأسه. "على كل حال، يجب علينا البقاء على اتصال، ليس لمتابعة مصالحنا العملية فحسب، بل للتحقق بما إذا كان في إمكاننا

معرفة المزيد عن هذه الأسماء الاثني عشر اللفزية".

وغادرا، وبقي مزيد من الأسئلة من دون إجابات.

انهيار مالي

2004-2000

شعر ماكس أن وضعه المالي على المحك.

وبحلول العام 2000، كان قد ساهم في عدد من مواقع الإنترنت. وفي العام 2001، بات في إمكانه الاطلاع على أعمال هذه الشركات، وتفاعاً بانخفاض قيمة أسهمه البالغة 30 مليون دولار إلى 30,000 دولار.

لم يكن المبلغ يغطي نفقات شهر واحد في ساميت فارمز، ولم تُسرَّ غرايس عندما أعلمها ماكس أنه لن يكون هناك أي مطعم، أو كرم عنب، أو منشأة لتدريب الجياد، وأنه سيكون عليهم بيع المنزل، والعودة إلى كاليفورنيا، والبدء من جديد.

"لن يحدث ذلك أبداً"، قالت مهدوء، ولكن بقسوة، "الزلزال الكبير قادم، ومن غير الآمن العيش في كاليفورنيا. لن أنتقل من هنا، ولن نبيع ساميت فارمز".

"لقد سجلت المنزل باسمي"، أضافت، "ولن أبيع".

فحاول ماكس التكلم معها بشكل منطقي.

"تعلمين أنني سجلت المنزل باسمك لحمايتك في حال حدوث أي مكروه لي"، قال ذلك محاولاً إخماد الدُعر الذي ينتابه، "يجب علينا بيعه وفي الحال. أنا بحاجة إلى مساعدتك". قال بحذية.

في العامين التاليين، كوّن صن وماكس صداقة وطيدة، وفي أثناء مناقشتهما الفلسفية العديدة، توغّل صن أكثر فأكثر في لغز الأسماء الاثني عشر من خلال دراسة معاني الأعداد. ولاحظ صن أن عدد حروف اسمه واسم ماريما هو "تسعة"، ولكن آيّا من الأسماء الأخرى لا تنطبق عليه هذه الميزة، لذلك بدا أن ذلك التحليل يؤدي إلى طريق مسدود أيضاً.

وثبت أن السوق الصينية لأجهزة الكتاب سهل القراءة محيية للأمال أيضاً. فقد كانت صعوبة اختراق هذه السوق أكبر مما كان متوقعاً، وأقفلت كينوت بعد استثمار الرأسماليين عشرات الملايين من الدولارات، وكفّت عن كونها فكرة جيدة سابقة لزمانها.

وبالرغم من كون الأمر غريبة أمل مالية بالنسبة إلى ماكس، فقد شعر أن الصداقة التي تربطه بصن فاقت الإحفاق المالي أهمية. ولكن وجهة النظر هذه تبدلت بعد فترة قصيرة.

"لا"، قالت ذلك، وأدارت له ظهرها، "لقد تأخرت على درس القيادة، جد حلاً لذلك. إنما ليست مشكلتي".
وخرجت من الباب.

* * *

ذهب ماكس لمقابلة محاميه الذي أكد أنه ليس في استطاعة ماكس بيع المنزل لأنه مسجل باسم غرايس. ومع ذلك، فقد اقترح على ماكس التوقف عن تسديد أقساط رهن الملكية.
"إن يؤثر ذلك في سمعتي ويعرض المنزل للحجز؟".
"ربما، ولكن من المحتمل أن يحمل غرايس على بيعه أو اتخاذ إجراء ما على الأقل".

وهكذا، عمل ماكس بنصيحة محاميه، وعاد إلى المنزل الريفي الذي يحتفظ به في دانا بوينت، شمال سان دييغو.
وتطلب الأمر عدة أشهر لتدرك غرايس أن أقساط الرهن لا يتم تسديدها. وكان رد فعلها سريعاً وغائياً. فطالبت بالطلاق وبنفقة شهرية تبلغ 75,000 دولار.

وتسلا ذلك طلاق تشوبه فوضى عارمة كلّف ماكس في النهاية مئآت الآلاف من الدولارات على صورة رسوم قانونية. ووجدت غرايس طريقة لبيع ساميت فارمز والاحتفاظ بكامل المبلغ.
وبسات ماكس نحل الجسم، وركز على إيجاد طرائق جديدة لجني مزيد من المال من خلال ماكسيموم بروداكشنز، ولم يدرك ما الذي تقوم به غرايس إلا بعد فوات الأوان.

ولكن ماكسيموم واجهت مصاعب. فبعد هجمات 9/11، تراجع الطلب على أفلام التدريب التقني، وتسببت الانقلابات المالية بألم حقيقي لماكس استقرّ في ظهره.

* * *

كان ماكس يعمل مع جيف شارنو، مؤسس شركة ريلاكسايشن وهو ناشر صغير للمنشورات السمعية المتخصصة في الموسيقى الأجنبية والكتب السمعية الناطقة. وحضرا لقاءات اتحاد ناشري الكتب والأفلام في لوس أنجلوس، ولاحظ جيف أن ماكس يبدو غير مرتاح إلى حد كبير.

"لا أظن أنني أطلعك على الأمر من قبل"، قال جيف في أثناء العشاء، "ولكن، قبل أن أنشئ شركة ريلاكسايشن، كنت مدلّكاً. يبدو لي كما لو أن ظهرك غير مستقيم، وإذا رغبت، يمكنني أن أوصي بزميل سابق في الصف في دانا بوينت يفترض بك مقابله برأيي. سيقوم لك ظهرك بفقرة قصيرة". قال جيف لماكس: "سأرسل إليك عبر البريد الإلكتروني معلومات عنه".

وهكذا، وعندما عاد ماكس إلى مكتبه، وجد رسالة إلكترونية في انتظاره. ولدى فتحها، تفاجأ بكون عنوان صديق جيف على بُعد مجتمعين سكنيين فقط من مكتبه.

وأجفل ماكس عندما قرأ اسم صديق جيف.
الطبيب آلن تايلر.

كان ماكس كثير الانشغال بالطلاق ويحاول تعويض الخسائر الساجمة عن انخفاض سعر أسهم استثماراته في مواقع الإنترنت، لدرجة أنه نسي أي أمر آخر. ولكن يبدو أن قدره لم يتسّه.

فالطبيب آلن تايلر هو أحد الاثني عشر.

طلب ماكس موعداً لمقابلة الطبيب تايلر قبل التطرق إلى موضوع الأسماء الاثني عشر.

بعد أسبوع، دخل مكتباً مطلياً باللون الفيروزي، والتقى بالطبيب الذي يتخطى طول قامته ست أقدام. كان شعره مجعداً كثّاً وبيّناً بلون

الرمال، كان يتمتع بابتسامة ودية، ومزاج جيد، وطبع معتدل. والطبيب تايلر شديد الصبر ونادراً ما ينفعل. كان يظهر جانباً فكرياً وتحليلياً، ويبدو متشككاً في معظم الناس والأفكار.

فبالرغم من مزاوته مهنة الطب في كاليفورنيا الجنوبية، لم يكن يشق بالعصر الجديد غير المفهوم وبصرعائه، وهو أمر فاجأ ماكس وسرته.

وشرح آلن طريقة عمله، وطلب من ماكس ملء بعض الأوراق، وفي غضون خمس دقائق، كان ماكس مستلقياً على طاولة المعالجة ويقوم الطبيب بتدليك أوصاله. "بقليل من المعالجة، يجب أن يُؤتي ألم ظهره"، قال له آلن مطمئناً. إياه.

وثبتت صحة الأمر مما أدهش ماكس. فآلن يعتمد تقنية فريدة؛ بعد استلقاء ماكس على طاولة المعالجة، تستغرق جلسة تقويم الظهر أقل من دقيقتين ويشعر بتحسّن كبير.

بعد اثني عشر أسبوعاً من المعالجة، قرر ماكس مشاطرة الطبيب قصة الاثني عشر.

"أيها الطبيب تايلر، هل تعتقد باختبار حالات نورانية؟"، سأل ماكس ذات يوم بعد جلسة المعالجة.

"ادعني الطبيب آلن، الجميع يدعونني على هذا النحو"، أجاب الطبيب، "وأجابه عن سؤالك، في الواقع لا. لقد أطلعني مرضى آخرون على هذه الأنواع من الخبرات، ولكنني واثق من وجود شرح منطقي؛ إن حالة النورانية لا معنى لها. لماذا تسأل؟".

فقرر ماكس المتابعة.

"الأسني مررت بهذا الاختبار عندما كنت في الخامسة عشرة من عمري، وكان اسمك من بين اثني عشر اسماً رأيتها في حالة النورانية"، قال شارحاً.

فكر الطبيب آلن في الأمر للحظات، وعندما تكلم لم تكن هناك أي دلالة على الاستعلاء في صوته.

"يبدو الأمر غير قابل للتصديق بالنسبة إليّ، ولكن، انطلقاً مما أعرفه عنك، أنت شخص عملي جداً. لذلك، أخبرني بالمزيد".

دخل ماكس في وصف تفصيلي لما رآه وشعر به، وأصبح لغز الاثني عشر موضوع النقاش في كل زيارة تالية، علماً أن أيّاً منهما لم يتمكن من تذكّر صلة سابقة جمعتهم بالآخر، ولم تكن لأي صلة بأي من الأسماء الأخرى. ويشعوره بالحماسة حيال قصة الاثني عشر، عرض على ماكس مساعدته في العثور على الخمسة الآخرين إذا قرر متابعة بحثه بشكل جدي.

"شكراً"، أجاب ماكس، "قد أستعين بك. لنرَ كيف تتطور الأمور".

وبذلك، انتهى استقصاؤها عن الاثني عشر، أقله في ذلك الوقت، وتناول نقاشهما موضوعات الغولف والنساء، وركوب الأمواج، وتقويم ظهر ماكس وعموده الفقري.

بالرغم من زوال الألم الجسدي لماكس، لم تهدأ حالة الاضطراب المالي. فالاستقرار الزوجي الذي كان يعيش في ظله كان يقوم على السدخل المرتفع الذي تمتع به قبل الطلاق. ولكن الثقة التي أعطى غرابيس إياها هي أكبر من دخله، وأنت التسوية التي توصل إليها على ممتلكات ماكس ومدّخراته أيضاً.

فكل ما تبقى له شركة صناعة الأفلام، ماكسيموم بروداكشنز. كان في استطاعته إيقاف النزف المالي في شركته، ولكن النفقة الكبيرة منته من المحافظة على الحياة الحالية من الموم التي كان يستمتع بها ذات يوم. والغريب في الأمر أن ماكس لم يكتسب كثيراً لخسائره المالية.

وهذه القدرة الفريدة على التكيف، بدأ بالتركيز على أفلام الأعمال وأسلوب الحياة بدلاً من الأفلام التكنولوجية، وأخذ يستعين بشخصيات ملهمة خارج ميدان صناعة الأفلام التكنولوجية.

من بين هؤلاء الشخصيات الطبيب إيفان فارن، وهو أول بئانة يلتقي به ماكس ويناقش معه تفاصيل فلسفة وابتهايد. كان مسروراً لأن إيفان يقدر على غراره ما وراثيات وابتهايد المعقدة.

ومع الوقت، أصبحا أكثر من مجرد زميلين؛ لقد باتا صديقين حقيقيين.

كان إيفان أكبر سناً من ماكس بنحو عشرين عاماً، لذلك اتسمت العلاقة بينهما بمشاعر الوالد حيال ابنه. لقد توفي هيربرت دوف بعد بدء ماكسيموم بروداكشنز بتحقيق نجاح باهر، وشعر ماكس بالارتياح لأن والده عاش ليرى نجاحه وليس انقلاباته المالية الأخيرة.

لقد افقد إلى حد كبير إلى الاتصالات الهاتفية المتكررة التي كان يجريها مع والده الذي كان يبدو مسروراً ومندهلاً على الدوام بالنجاحات العديدة التي حققها أفلام التدريب. وتشاطر مع إيفان حماسه للفن، والموسيقى، والفلسفة، بدلاً من مسائل الأعمال، وأصبح إيفان أكثر فأكثر الشخص الذي يتصل به ماكس عندما يحدث أمر رالع في حياته.

وإيفان فارن هو مؤسس نادي الأمان المستحيلة، وهو مؤسسة استشارية خيرية مخصصة لجمع شمل البشرية في حضارة كوكبية واحدة متماسكة، وقد طلب من ماكس الانضمام إلى مجلس الأمناء بصفته الممثل الأميركي في النادي. فوافق ماكس، وبدأ بحضور لقاءات محفزة في مختلف أنحاء أوروبا إلى جانب علماء ذاتي الصيت ورؤساء حكومات ورؤساء دول.

وبالرغم مما يسعون إلى تحقيقه، لم يحصلوا على التمويل الكافي لتنفيذ خططهم الجريئة، ولكن، كان للمجموعة وقع كبير على الكوكب وإن بشكل غير متعمد.

فكل ما تبقى له شركة صناعة الأفلام، ماكسيموم بروداكشنز.
كان في استطاعته إيقاف النزف المالي في شركته، ولكن النفقة
الكبيرة منته من المحافظة على الحياة الخالية من الهموم التي كان يستمتع
بها ذات يوم. والغريب في الأمر أن ماكس لم يكتثر كثيراً لخسائره
المالية.

وبهذه القدرة الفريدة على التكيف، بدأ بالتركيز على أفلام
الأعمال وأسلوب الحياة بدلاً من الأفلام التكنولوجية، وأخذ يستعين
بشخصيات ملهمة خارج ميدان صناعة الأفلام التكنولوجية.

من بين هؤلاء الشخصيات الطبيب إيفان فارن، وهو أول بحتة
يلتقي به ماكس ويناقش معه تفاصيل فلسفة وايتهيد. كان مسروراً لأن
إيفان يقدّر على غرايه ما وراثيات وايتهيد المعقدة.

ومع الوقت، أصبح أكثر من مجرد زميلين؛ لقد باتا صديقين
حقيقيين.

كان إيفان أكبر سناً من ماكس بنحو عشرين عاماً، لذلك
اتسمت العلاقة بينهما بمشاعر الوالد حيال ابنه. لقد توفي هيربرت
دوف بعد بدء ماكسيموم بروداكشنز بتحقيق نجاح باهر، وشعر
ماكس بالارتياح لأن والده عاش ليرى نجاحه وليس انقلاباته المالية
الأخيرة.

لقد افتقد إلى حد كبير إلى الاتصالات الهاتفية المتكررة التي كان
يجريها مع والده الذي كان يبدو مسروراً ومندهلاً على الدوام
بالنجاحات العديدة التي تحقّقها أفلام التدريب. ونشاطه مع إيفان
حماسه للفن، والموسيقى، والفلسفة، بدلاً من مسائل الأعمال، وأصبح
إيفان أكثر فأكثر الشخص الذي يتصل به ماكس عندما يحدث أمر
رائع في حياته.

وإيفان فارن هو مؤسس نادي الأماني المتحيلة، وهو مؤسسة
استشارية خيرية مخصصة لجمع شمل البشرية في حضارة كوكبية واحدة
متناسكة، وقد طلب من ماكس الانضمام إلى مجلس الأمناء بصفته
الممثل الأميركي في النادي. فوافق ماكس، وبدأ بحضور لقاءات مخفّزة
في مختلف أنحاء أوروبا إلى جانب علماء ذاتي الصيت ورؤساء
حكومات ورؤساء دول.

وبالرغم مما يسعون إلى تحقيقه، لم يحصلوا على التمويل الكافي
لتنفيذ خططهم الجريئة، ولكن، كان للمجموعة وقع كبير على
الكوكب وإن بشكل غير متعمّد.

اسطنبول، مدينة الأمل

2004

لدى محاولة نادي الأمانى المستحيلة توسيع نشاطاته، سعى إلى إقامة تحالف مع رجل يدعى إربول ريزو يقيم في اسطنبول. كان إربول الاسم الثامن من بين الأسماء الاثني عشر، كان قصير القامة وبديناً، وذو عينيْن دكتيتن قائمتي اللون، وحس فكاهة مشوّه، ومزاج سعيد بصورة عامة. وهو رجل لا يستطيع البقاء مكتوف اليدين، إنه مدمن على عقد صفقات.

بالرغم من نجاحاته، كان إدمانه الاستثنائي على العمل وقدرته العجيبة على جني المال محط إعجاب الآخرين. كان يستمتع بالتعاطي مع عدة صفقات كبيرة في آن معاً، ويرفض تقبل الهزيمة. وكلما كان التحدي أكبر ازداد سروره بالخروج منه منتصراً.

والدته ووالده من ديانتين مختلفتين. وُلد في اسطنبول، وهو الأصغر بين أشقائه الخمسة. لقد عمل والده كبايع فاكهة في السوق، وبدأ إربول ببيع الليمون في سن السادسة.

برز على الفور كشخص شديد البراعة. إنه يتمتع بالذكاء والدينامية، وقد اختير من بين أشقائه الخمسة لارتياذ المدرسة حيث تفوّق، وحصل على منحة دراسية لارتياذ الجامعة، وقرر الحصول على مهنة في الحكومة.

إثر نجاحه، اختار العمل كمساعد لعضو في البرلمان، وانتُخب مستخدمه رئيساً للوزراء بعد عامين. كان إربول آنذاك في الثالثة والعشرين من عمره فقط، واعتُبر شخصاً ذا نفوذ. وبدأ رئيسه يُعده ليكون وزيراً مستقبلياً، بل ربما رئيساً للوزراء. واستمرّ التدريب ست سنوات، وتقدّم رئيس الوزراء إليه باقتراح. "انسَ أمر غدوّك رئيساً للوزراء، أو تسلّم أي منصب مماثل"، قال بجدية، "سيكون هدراً رهيباً لموهبتك. لديّ عمل أكثر أهمية لك، أريد منك إدارة شؤون استيراد وتصدير النفط للحكومة".

وافق إربول، وثبت بسرعة أن خيار رئيس الوزراء حكيم. لقد نجح في منصبه الجديد، وحقق ثروة طائلة للحكومة. ولكن بعد ثلاث سنوات، خسّر حزبه السياسي في الانتخابات، وأبعد إربول عن منصبه.

وشاءت الصُّدف أن يجد إربول على الفور من خلال معارفه ووعيه دعماً مالياً مكّنه من إنشاء شركة استيراد وتصدير للنفط، وأصبح بعد ثلاث سنوات من أثرى أثرياء تركيا. وحماسة إربول في كل ما يقوم به مُعديّة، وهو شخص كريم، ولديه رغبة صادقة في مساعدة الآخرين. لقد أصبح أحد المحسنين الرئيسيين للداعمين لمسيرة إبراهيم.

وفي أثناء لقائهم في اسطنبول، استضاف إربول بشكل جيد مدراء نادي الأمانى للمستحيلة واستمتعوا بمدة إقامتهم هناك. فعلاً كل دقيقة شاغرة من وقتهم برحلات إلى المتاحف والمعائب الهندسية، وبرحلات على متن المراكب في بحر مرمرّة، والقرن الذهبي، والبحر الأسود، واليوسفور. وعرفّ الجميع إلى المطبخ التركي الرائع، وكانت هناك باستمرار حفلات ترفيحية وتناول مشروبات لرفع المعنويات.

جاءت اصطدام

أيار/مايو 2012

كرش!

كان صوت المعدن على المعدن جلياً.

كان ماكس يتحدث عبر هاتفه الخليوي لإهلاء صفقة حول فيلم، ولم يكن متنبهاً لما يجرى. لقد توقف في الواقع عند إشارة مرور أمام تقاطع جادتي لا بريا وسيتروس في لوس أنجلوس، منتظراً الانعطاف إلى اليسار، لذلك لم يكن المتسبب بالحادث تقنياً.

كانت السيارة المتوقفة أمامه قد انطلقت للانعطاف إلى اليسار. وعندما أدركت السافقة أنها عالقة وسط الطريق بسبب تبدل إشارة المرور، عادت بسيارتها إلى الوراء من دون أن تدرك أن ماكس انطلق بسيارته إلى الأمام وصولاً إلى التقاطع.

أنسى ماكس الصفقة عبر الهاتف، وخرج من سيارته البيسي أم دبليو لتفحص الضرر. كانت هناك بعض الخدوش على المصد الأمامي، وكان المصباح الأمامي معطماً، ولكنه شعر بالارتياح لأن الأمر لم يكن أسوأ. لم يظهر على السيارة رباعية الدفع التي اصطدمت به أي خدش. فخرجت السافقة لتقييم الأضرار، وتحقق من أن سيارتها لم تتضرر. والتفتت إلى ماكس الذي لوح لها.

فعندما رأى ماكس مدى افتتاح إيرول على كل شيء في الحياة، قرر الاستثمار على سره. لذلك، وقيل نهاية مساء اليوم الثاني، شاطر إيرول عملية اختياره لحالة التورانية ورؤيته للأسماء الاثني عشر. ولشدة سروره، لم يتقبل إيرول ما قاله ماكس فحسب، بل فعل ذلك بحماسة المعتادة.

"أنا واثق من أن الأمر هام"، قال لماكس، "ومع ذلك، أتوقع أننا لن نتمكن من حل هذا اللغز حتى يتم التعرف إلى الأسماء الاثني عشر والثور على أصحاحها".

"صحيح جداً"، قال ماكس ذلك موافقاً لآه الرأي، "وكل ما يمكنني القيام به هو انتظار ظهورهم. حتى ذلك الحين، إن الاسم الوحيد المتوافر لدي هو الدب الراكض، وإذا لم أكتشف معناه فقد لا تعني الأسماء الأخرى شيئاً".

"إننا أحجية، وسأبذل قصارى جهدي لمساعدتك على جمع أجزائها"، أضاف إيرول، "إذا احتجت إلى أي شيء، ليس عليك سوى طلب ذلك مني".

"لماذا تعتبر هذا الأمر هاماً؟"، سأل ماكس، "لماذا تقلبت ما أخبرتك به من دون تردد بالرغم من غرابته؟".

كان إيرول واضحاً في جوابه.

"لقد علمت منذ ولادتي أن مصري يفترض بي التصرف بطرائق محددة. لم أشكك أبداً في الفرص التي أتيت لي، ولن أشكك الآن".

"ولكن يمكنني أنؤكد لك أن مصريتنا مرتبطان بحل هذا اللغز".

"لا يبدو الضرر بالغاً، ومن غير الضروري تكبد عناء رفع تقرير إلى شركة التأمين"، قال بود، "تبدو سيارتك سليمة، لذلك، برأيي، فلننس الأمر".

ومدركة أنها تحررت من الحادث، قفزت المرأة إلى داخل سيارتها من دون تردد، وانطلقت. وتمكّن ماكس من إجراء مقابلته التالية، ولم يلاحظ وجود انزعاج كبير في الجهة الأمامية من سيارته إلا عندما عاد إلى دانا بوينت، وهو يحاول رفع غطاء المحرك.

لم يكن الحادث الأول الذي يتعرض له مصدّ سيارته. كان قد تعرّف إلى شركة تدعى دنتس آر أس، وتقوم بإرسال شاحنة مزوّدة بالتجهيزات كافة لإصلاح سيارته على الفور. فأجرى ماكس الاتصال، وحدّد موعد لإصلاح السيارة في اليوم التالي الذي صودف أنه يوم سبت.

وقراءة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي، سحبت شاحنة التصليح التابعة لدنتس آر أس سيارة ماكس. وقّيم السائق المدعو خوان الضرر، وحدد مبلغ 800 دولار لجعل السيارة تبدو جديدة، وشرع بالعمل بعد موافقة ماكس. وفي الثانية من بعد الظهر، رنّ خوان الجرس، وسلّم ماكس سيارته التي تمّ إصلاحها تماماً.

فنبادلاً أطراف الحديث في أثناء قيام ماكس بتفحص عمله اليدوي. وبما أن خوان مكسيكي ويتكلم الإسبانية، تمكنا من التحوار بشكل عادي. وشرح له ماكس أن السبولة النقدية غير متوافرة معه وأن المصرف مقفل، لذلك عليه تسديد المبلغ من خلال شيك باسم الشركة. فقال خوان إنه يتعيّن عليه الحصول على إذن لقبول شيك، ولكنه لا يستطيع المراجعة بالأمر حتى يوم الاثنين.

"لا مشكلة في الأمر"، قال خوان، وسلّم ماكس بطاقته.

على تلك البطاقة، وتحت شعار دنتس آر أس، كان يوجد اسمه. خوان غونزالو أكوستا

نظر ماكس إلى الرجل النحيل ذي الشعر قائم اللون الواقف أمامه، وأدرك أن خوان يرتدي قميصاً أزرق داكناً. إنه اللون الذي رآه ماكس حول اسم خوان في أثناء اختبار حالة النورانية. وبعد ثمان سنوات من آخر لقاء له بأحد الأشخاص الاثني عشر - مدة بدت لامتناهية - عثر ماكس أخيراً على صاحب الاسم التاسع.

فدعا خوان على الفور إلى دخول المنزل، وتناول شراب الشعير. وسأله عن مكان ولادته، وما إذا كان متزوجاً، وعن سبب وجوده في الولايات المتحدة، وعشرات الأسئلة الأخرى.

كان خوان مسروراً بتناول شراب الشعير، وبعد لحظات قليلة من الاضطراب الذي أحدثته كل تلك الأسئلة، بدا مرتاحاً ولكن فضولياً بسبب الاهتمام المفاجئ الذي أبداه ماكس به.

فخوان من بلدة صغيرة تدعى إيزابا جنوب المكسيك، على ساحل الخليج، وعلى بُعد ثمانين كيلومتراً من الحدود مع غواتيمالا. إنه الأصغر بين سبعة أشقاء وشقيقات، ويملك والده مزرعة صغيرة ويعمل كقّيم نهاري (كاهن رويحي مُبجّل وفقاً لتقليد المايا القديم)، متزوج ولديه ابنان.

لقد مضى عامان فقط على وجوده في الولايات المتحدة، ولكنه تمكن من الحصول على بطاقة خضراء، وكان فخوراً بسبب تمكنه من حثي ما يكفي من المال بعد امتحان مهنة إصلاح الانبعاثات، والاهتمام بعائلته المتنامية، وإرسال المال كل شهر لدعم والده وأشقائه. كانت والدته قد توفّيت قبل أشهر قليلة من قدومه إلى الولايات المتحدة، وهو يدرك الصعوبة التي يواجهها والده وأشقائه للعمل وحثي المال.

هل الغاية من حياته مرتبطة بطريقة ما بما يُتَوَقَّع حدوثه في العام 2012؟

وبالاستناد جزئياً إلى ما عرفه من الدكتور شو صن باك، بدأ بتنقح تاريخ ولادة والده، مُبْقِياً في ذهنه بعض التواريخ التي ذكرها خوان والمتعلقة بـروزنامة المايا. لقد قال خوان إنه سمع عما يدعى "التلاقي المتناغم" حدث في 16 و17 آب/أغسطس من العام 1987، مستهلاً الأعوام الخمس والعشرين الأخيرة من روزنامة المايا. وللمرة الأولى بدأ ماكس يُدرك ما يجري.

ومدركاً أن خلفية خوان ستجعله على تصديق ما يعتريه الآخرون شديد الغرابة، كشف ماكس عن اختباره حالة التورانية وأن خوان أحد الأسماء الاثني عشر.

فرغ خوان زجاجة شراب الشعير وأوماً برأسه.

"لا يفاجئني هذا الأمر"، قال، "أخبرني والدي أن لعائلي دوراً هاماً تلعبه لتحقيق التوقعات القديمة. كان يقول إن العالم واسع وغريب ومليء بالألغاز. لا تشك البتة، وحتى في ظروفنا المتواضعة، في أن لديك دوراً هاماً تلعبه في هذا البغز المدعّر حياة".

مرة أخرى، تردد صدى عالم جايين دوف في رأس ماكس. لقد أثير فضوله بهذه الصلة الأخيرة ورغب في لقاء والد خوان.

"أعلمني عندما تعود إلى إيزابا"، قال بجديّة، "أريد لقاء والدك ومعرفة المزيد عن نهايات الأزمنة التي تمّ توقعها".

"بالتاكيد، يا صديقي"، أجاب خوان، "أنا سعيد لأنك صدمت سيارتك. كان اللقاء الأكثر مدعاةً للتفاؤل".

"والذي فقير، ولكنه رجل هام في إيزابا"، شرح خوان، "هو ليس قسماً غريباً فحسب، بل هو وصي أيضاً على الحديقة في إيزابا التي تُجرى فيها الاحتفالات القديمة. ويُعتقد أن حديقة الاحتفالات هذه هي الأقدم في المكسيك، وهي في حالة تستدعي الإصلاح ولا تزال فيها العديد من التماثيل التي تحمل نقوشاً، ويقوم علماء آثار من مختلف أنحاء العالم بدراساتها".

"العديدون يعتقدون أن حديقة الاحتفالات القديمة هذه، هي المكان الذي وُضعت فيه أول روزنامة للمايا".

كان ماكس قد سمع بـروزنامة المايا، ولكنه لم يمتعن فيها بالتفصيل. "هل روزنامة المايا هي التي تُظهِر أن العالم ينتهي عام 2012؟"، سأل.

"إنه التحريف الشائع"، أقرّ خوان، "نعقد أن العالم سيتبدل في نهاية الـروزنامة، ولكن العالم يمدّ ذاته لن ينتهي".

"سيكون 21 كانون الأول/ديسمبر 2012 نهاية دورة دامت 26 ألف عام. لم يتوقع الأقدمون أنها ستكون نهاية العالم بالضرورة. تعتزل معتقداتنا القديمة أن البشر يتمتعون بإرادة حرة، وأن هناك فرصة للتغيير قد تؤدي إلى عالم أفضل".

"هذه هي التعاليم التي عرفتها من والدي".

فأثير فضول ماكس. أخيراً، يعكس أحد الاثني عشر معرفة قد تكون مرتبطة بفكرة عامة تؤدي ربما إلى شرح الغاية من وجودهم. الغاية من وجوده.

لقد بدأت الأمور تتضح. لقد وُلد ماكس في 12 كانون الأول/ديسمبر، أي في 12/12، ووُلد والده في 11 تشرين الثاني/نوفمبر، أي في 11/11.

عند الغروب

أيار/مايو 2012

"حسناً، يا تشيل، شكراً للطُفك الشديد"، قال ماكس بامنتان،
"كان يُفترض بي، في الواقع، الانتباه قبل ضرب الكرة. وإذا لم تكن
كثير الانشغال، فاسمح لي بتقديم شراب لك في مقرّ النادي بعد التسديد
باتجاه هذه الحفرة".
"اتفقنا، أكمل الشوط".

في وقت لاحق، وبعد تعريف ماكس نفسه في المشرب، علم أن
تشيل كامبيستر أصبح ذائع الصيت لأنه فاز مع زوجته بجائزة المسابقة
للذهبية، وهو برنامج واقعي تلفزيوني شعبي. وبحصوله على جائزة
بقيمة مليون دولار، قرر التقاعد باكراً والعودة إلى الكلية لدراسة
صناعة الأفلام. وأخبر تشيل ماكس أنه كان مثلاً في شبابه ولعب دور
كاسيوس كلاي في *أنا الأعظم*، وهو الفيلم الوثائقي الذي يتناول حياة
محمد علي.

فأربك ماكس ليس بسبب ما قاله تشيل، بل لأن ماكس أدرك أن
تشيل كامبيستر هو الاسم العاشر من الأسماء الاثني عشر.
أبشاً يكن الأمر الذي يحدث، قال في نفسه، فهو يحدث بشكل
متسارع.

لقد التقى ماكس في غضون يومين بالاسمين التاسع والعاشر، في
حين أن الأمر تطلّبه سنوات للقاء الآخرين. لم يكن واقعاً بكيفية
التصرف، ولكنه لم يجد الوقت ملائماً للكشف عن قصة الاثني عشر
بسبب وجود لاعبي غولف آخرين بالقرب منهما.
لذلك، حافظ على رباطة جأشه.

وعلم أيضاً أن تشيل ساهم في إعداد مسودة فيلم يتناول ما خيره
مع زوجته لدى الفوز بالمسابقة للذهبية. وعندما كشف ماكس عن

وقف ماكس عند الموقع الثامن عشر لكرة الغولف في لاكوستا.
كانت الشمس تغرب عندما ضرب الكرة باتجاه الجانب الأيسر من
الممر، ولاحظ في اللحظة الأخيرة وجود لاعب غولف في المنطقة الوعرة
اليسرى على بُعد متّين وثلاثين يارداً.

لم تكن ضربة ماكس تحمل كرة الغولف إلى أبعد من متّين يارد
في العادة، لذلك لم يكن لاعب الغولف مهتداً. ولكنها كانت إحدى
أفضل الضربات التي سبّدها ماكس في حياته، لقد قطعت متّين
وعشرين يارداً، وارتطمت بالأرض، وتدرجحت مسافة عشرين يارداً،
منخطة لاعب الغولف في المنطقة الوعرة.

"واو"، هتف شريكه في لعبة الغولف، كيم، "لقد مرّت بقربه".

"من الأفضل لنا الاعتذار"، قال ماكس.

وبينما كان ماكس يدنو بعربة الغولف وتعاير الاعتذار على
وجهه، التفت إليه رجل أميركي من أصول أفريقية، طويل القامة،
ويرتدي بنطالاً زمردي اللون، وابتسم.

"حتى إنهما لم تقترب مني"، قال، "لا تقلق. شعاري هو برودة
الأعصاب، وهو اسمي أيضاً. ادعى تشيل كامبيستر".

امتلاكه شركة لصناعة الأفلام، وقال إنه على استعداد لمراجعة المشروع، شعر تشيل بالإثارة.

ولكن، كان ماكس حافز مضمّر. فما إن قرأ المسودة حتى شعر بقدرته على إكمال الحديث مع تشيل سرّاً والكشف عن مزيد من الأسرار المحيطة بالاثني عشر.

أحب ماكس المسودة، وشعر أنه سيتمكن من بيعها نظراً إلى اكتساب راشيل وتشيل شعبية كبيرة من خلال البرنامج التلفزيوني. فهما أول أميركيين من أصول أفريقية يفوزان بالمسابقة، وكانا الأكبر سناً عندما شاركا فيها.

وإحدى الميزات التي ظهرت في المسودة اعتقادهما القوي بالفادي، فهما لم ينتقدا أبداً الأسلوب المعتد من قبل الفرق الأخرى في أثناء المنافسة المُجهد، وأرادا التشديد في فيلمهما على أن الاعتقاد الراسخ هو سلاحهما السري.

وبعد البرنامج، قاما بجولات وأصبحا متحدثين شعبيين عن موضوع الاعتقاد الراسخ بالفادي.

كان ماكس يعلم أن كل ما يقوم به سيكون أساساً متيناً لفيلم، أو كتاب، أو منشورات عديدة أخرى قد يرغبان في إصدارها. لذلك أجرى لقاء مع تشيل وراشيل في مكتبه، وتأثر بنظرهما الإيجابية والمتفائلة للحياة. كانا ينضحان حباً ولطفاً، وقد أبحراه المزيد عن قصصهما، وعلم ماكس أنهما كانا على وشك الإفلاس عندما فازا بالمسابقة الملهمة. لقد تم اختلاس أموال شركة بريجيات أنشأها تشيل منذ سنوات، ولو لم يقوزا بالمسابقة التلفزيونية لفقدنا منزلهما وممتلكاتهما.

شعر ماكس أنه لم يصادف زوجاً أكثر لطفاً من هذا الزوج، فسدعاهما إلى العشاء، وتناولوا الطعام في مطعم شارت هاوز، ونظروا إلى البحر عند المغيب. وكشف لهما ماكس عن قصة الأسماء الاثني عشر، وقال لتشيل إنه الاسم العاشر على لائحته.

"لا فكرة لديّ بعد عما تعنيه الأسماء، ولكن أمراً ما علي وشك الاتصاح"، قال، "أعرف أن الأمر قد يبدو شديد الغرابة بالنسبة إليك، ولكن صدفني، أنا لست مجنوناً. لا بد من وجود سبب لكل ذلك. ليتني أتأكد من معرفته".

فابتسم تشيل.

"كوفي مسيحياً، أنا على ثقة تامة أن الفادي هو الذي جمعنا. أرى عمله في ذلك. إذًا، لماذا قُذفت كرة الغولف مسافة طويلة لم يسبق لك أن سكتلها في حياتك؛ عليّ مباشرة؟". وضحكا.

"ولكنني وُلدت يهودياً"، قال ماكس، "لست وثاقاً من أنني أعتقد بالفادي". وتحدث عن كل الأشخاص السطحيين الذين التقى بهم في أثناء العمل على فيلم البحث عن الفادي التاريخي، وأوما تشيل وراشيل برأسيهما.

"الفادي هو مخلص كل الشعوب". قالت راشيل.

"تماماً"، قال تشيل موافقاً. وأعاد توجيه الحديث ليتخذ منحى تحليلياً: "ولكن، دعونا نركز على ما خبرته، وكيف يمكن لهذه الأسماء أن تكون مرتبطة. ربما كان للفادي علاقة بذلك أو لا، ولكن لا وجود لأي مصادفات، إنه جزء من مخطط".

"إذًا، لو كانت هناك لائحة باثني عشر اسماً، كما تقول، ولا سبب لديّ لأشكّك في أقوالك، أريد أن أعرف سبب وجود اسمي على هذه اللائحة".

ميلودي الفيتنامية

أيار/مايو 2012

كانت الرحلة الجوية إلى نيويورك سريعة وغير مُجهدّة، وفكر ماكس في الساعات الخمس المشحونة بالأعمال. لم يكن يعتقد أن العمل الذي سيُنجزه سيكون عادياً.

لقد التقى بعشرة أشخاص مُدرجة أسماءهم على لائحة الاثني عشر. وبدا له أن كل اسم يمثل منطقة جغرافية مختلفة، ودينًا مختلفًا.

كان تشيل وراشيل قد أشارا إلى وجود اثني عشر مبعوثًا، واقترحا أنه السبب ربما وراء الإجماع لماكس باثني عشر اسمًا. إنهم ربما المبعوثون الاثنا عشر/الجدد الذين ينتظرون عودة الفادي.

وشعر ماكس أن هذا التخمين ضرب من الخيال، ولكنه يعلم أن عليه متابعة هذا اللغز بكل طاقته وقدرته على التركيز.

* * *

كان ماكس يلازم نادي يال على الدوام عندما يزور نيويورك بسبب قربه الملازم من غراند سترال ستايشن وأسعاره المنخفضة نسبيًا مقارنةً بغراند هيات والفنادق الأخرى الموجودة وسط المدينة. كانت شركة ماكس تحتفل بسنواتها الثلاثين، فاستأجر مكتبة يال في الطابق الرابع حيث قدّم الشرباب الخفيف وأنواع التحلية الفرنسية احتفالاً بالإنجاز.

وواصل تشيل إخبار ماكس أنه إضافةً إلى فوزهما، صدر حكم قضائي لصالحه وراشيل يدين شريكهما السابق الذي احتلس الأموال من شركة البرمجيات.

"نتيجةً لذلك"، قال، "أملك الوقت والوسائل لمساعدتك على حل هذا اللغز. أخبرني فحسب كيف يمكنك أن أخدمك".

لقد شعر ماكس بالارتياح بسبب انفتاح تشيل على تفسير قد لا يكون على علاقة بالفادي. وكان ممثلاً أيضاً بسبب عرض المساعدة.

"عليّ الذهاب إلى نيويورك لحضور معرض أفلام وثائقية وتدريبية في الأسبوع القادم"، قال، "ولكن عندما أعود، فلنركز معاً على حل لغز الاثني عشر. ربما تمكّننا من تنظيم رحلة مع خوان إلى إيزابا، المكسيك".

"لا أعرف السبب، ولكنني أعتقد أن إيزابا قد تكون أحد مفاتيح هذا اللغز".

كانت ميلودي ترتدي فستاناً برتقالياً وتنقل برشاقة الراقصة.
كانت واثقة بنفسها ومعنادة على المناسبات الاجتماعية.
لم يكن واثقاً من كيفية إخبار ميلودي أنها أحد الاثني عشر.
ولكنه كان يعلم أنه يتعين عليه إيجاد طريقة لذلك.
"هل ترغبان في الانضمام إليّ إلى مائدة العشاء مساء غد؟"، سأل.
"شكراً لك، ولكن الأمر غير ضروري"، أجاب دو فان.
"من دواعي سروري أن أستضيفكما"، قال ماكس مُصراً، "نقوم
بعمل رائع لصالح شركتي، لن أقبل رفضك دعوتي".
فوافق دو فان، ولكن ميلودي شرحت قائلةً إنها تخطط للقاء
صديقها ولن تتمكن من الحضور.
"هراء"، قال ماكس بسرعة، "يسعدني انضمامه إلينا أيضاً".
فوافقت، واتفقا على اللقاء.

في اليوم التالي، وجد ماكس نفسه قلقاً وغير واثق من حضور
ميلودي كما وعدت. فبعد سنوات من اللقاء المتقطع بحاملي الأسماء
الاثني عشر، يخطو هذا اللغز خطوات كبيرة وسريعة نحو الأمام.
فميلودي هي جزء محوري للعشور على إجابة تبحث عنها طويلاً،
منذ سنوات، عندما أُشير إليه بالأسماء، لم يكن في استطاعته السماح
لأي شيء من ذلك النوع بالحلول.
عندما وصل إلى المطعم، شعر بالإثارة لدى رؤية ميلودي مع خالها
وصديقها، ماثيو جوردان. فماثيو حائز على جائزة في ركوب الأمواج
كما يبدو، وكان قد تعاطى الكثير من المخدرات المسببة للهذيان.
وفي أثناء العشاء، تبادل ماكس أطراف الحديث مع دو فان ووجد
أنه مهذب وذكي. كان يبدل جهداً للتركيز على الموضوعات المطروحة.

قليلة هي شركات الأفلام المستقلة التي استمرت مدةً مماثلة من
السنوات، ومن الجيد الاحتفال بالمناسبة. كان مدير الحقوق الخارجية
في ماكسيموم بروداكشنز توافاً بصفة خاصة إلى دعوة عملاء أجانب
على جانب كبير من الأهمية بالنسبة إلى الشبكة الدولية.
وطلب عملهم الفيتنامي إحضار ضيف معه، فافترض ماكس أن
الضيف سيكون صديقة أو زوجة. لذلك، وافق على الطلب.
لقد لاقى الاحتفال نجاحاً كبيراً مع وجود أكثر من مئتي ضيف.
وقُبيل نهاية الحدث، قام رجل آسيوي قصير القامة برفقة فتاة آسيوية
ممشوقة القد وطويلة القامة بالتعريف عن نفسه:
"أدعى دو فان من فيتنام، وهذه ابنة شقيقي، ميلودي جونز،
تقيم ميلودي هنا في نيويورك وتدرس لتكون راقصة باليه. أنا ممن جداً
لدعوتنا إلى هذا الحدث الرائع".

ولكن ماكس وجد أنه من المستحيل التركيز على ما كان يقوله
الرجل لأن شعوراً مألوفاً تملك أحاسيسه.

فميلودي هو الاسم الحادي عشر على لائحة الاثني عشر.

لقد التقى بحاملي ثلاثة من الأسماء الأربعة النهائية في أقل من
أسبوع. ولم يشأ إظهار حماسه بسبب استمرار الاحتفالات في الحدث،
لذلك أجاب بهدوء.

"لا، أنا ممن هو ممن لانضمامكما إلينا". قال ذلك مصافحاً
دو فان، "أنا سعيد جداً بعملك الرائع في ما يتعلق بحقوقنا في
فيتنام".

والتفت إلى ميلودي، وأضاف:

"أنت جميلة جداً. شكراً لمرافقتك خالك وللحضور". وأراد قول
المزيد ولكنه امتنع عن ذلك.

بعد ذلك، التفت ماكس إلى ميلودي وسألها عن حياتها. فأخبرته أن جدتها ووالدها - التي كانت في السابعة عشرة من عمرها آنذاك - كانتا لاجنتين فرّتا من فييتنام عام 1971 قرابة نهاية الحرب الفيتنامية. لقد عوملتا بوحشية من قبل القراصنة، واعتُصبتا.

وبعد عناء كبير، وصلتا إلى نيويورك وتمكنتا من إعادة بناء حياتهما، علماً أن الأمر تطلب والدته ميلودي عدة سنوات للتعاطي مع الصدمة النفسية التي تعرضت لها. لقد مارست عدة وظائف وعثرت أخيراً على مهنتها المتمثلة بتصميم المسارح.

والسقت بمصمم رقصات يدعى أنتون جونز، وبعد عام من المواعدة، تزوجا، وميلودي هي الابنة الصغرى والوحيدة التي سعت إلى مواصلة حياة مرتبطة بالرقص والمسرح.

"نشعر جدي أن عدم قتلها في البحر هو بمثابة عجيبة"، قالت ميلودي، "لقد أخبرتني عدة مرات بوجود قصة عن قدر عائلتنا، وتقول إنه السبب الكامن وراء الإبقاء على حياتهما.

"وكلمنا أسيء التصرف، تقول لي إنني وُلدت لمصير محدد، ويجب عليّ أن أحسن التصرف وإلا ذهبت عجيبة نحاقهما عبثاً". وابتسمت لدى تذكر ذلك.

بقي دو فان صامتاً واستمع إلى قصتها. كان يومئ برأسه ببساطة، موافقاً، لكنّ، شاعراً بالأسى.

فاستأذن لإجراء اتصال هاتفي، وقرر ماكس الذي أخذ بقصة ميلودي والتوقع المقدر للعائلة الكشف عن قصة الاثني عشر.

وبعد سرد تفاصيل اختباره حالة النورانية، عدّد الأسماء الاثني عشر منتهياً بالحب الراكض. لقد توقع ارتباط ميلودي، ولكنه شعر بالارتياح عندما أصغرت إليه بانتباه وفضول شديدين.

كان ماثيو جالساً إلى جانبها طوال الوقت، ينظر إلى ميلودي وماكس ومُصغياً بانتباه.

"دَوْن الأسماء الاثني عشر، رجاء"، طلبت من ماكس، "دعني أتتحقق مما إذا كان في استطاعتي العثور على رابط بينها".

وبالرغم من تفاجسه بطلبها، دَوْن ماكس الأسماء على فوطلة المائدة، وقامت ميلودي بتأملها لمدة طويلة من الزمن. أخيراً، وبعد عدة دقائق، نظرت إليه قائلة:

"أخشى أنني لا أعرف أيّاً من هذه الأسماء. لا أستطيع العثور على أي رابط. لذا، لا يمكنني مساعدتك على حلّ أي شيء".

بعد ذلك، طلب ماثيو إلقاء نظرة على اللائحة. "هذا الاسم الأخير، الحب الراكض"، قال بعد لحظات، "لم تلتقي به بعد؟".

"لا"، أقرّ ماكس، "إنه الاسم الأخير على اللائحة. لماذا تسأل؟ هل تعرف شخصاً يحمل هذا الاسم؟".

"لا"، أحاب ماثيو مُحبطاً ماكس، "ولكن والدي، توبي، من السكان الأميركيين الأصليين جزئياً. لا بد من أنه اسم أميركي من السكان الأصليين. إذا كان هناك من يعرف شخصاً يدعى الحب الراكض فهو والدي. إنه يقيم في سان كليمنت وفي مكان غير بعيد عن مكان إقامتك. أعبرني هاتفك الخليوي للحظات وسأتحقق من الأمر".

فسلّم ماكس الهاتف إلى ماثيو، وفي غضون دقائق كان توبي على الخط.

لقد أكد أنه يعرف مرشداً سياحياً في سيدونا، أريزونا، يُدعى الحب الراكض.

الهجور الحمراء

حزيران/يونيو 2012

كان توبي جوردان غَلماً من أعلام ركوب الأمواج. لقد فاز في مباريات عدة في صِغره، ولكنه عُرف بصورة الفوتوغرافية الملتقطة لمشاهد ركوب الأمواج. وأدى به هذا الأمر إلى تنفيذ مشاهد مماثلة لصالح أفلام سينمائية، وأصبح في ما بعد قنّاناً في توليف مشاهد تُستخدم فيها ألواح ركوب أمواج حقيقية، وطلاء، ومواد أخرى.

بالإضافة إلى ذلك، أسس توبي شركة لتصميم ألواح ركوب الأمواج وبيع مستلزماتها. وبسبب طبعه الفني، كان صديقاً للعديد من الفنانين الرئيسيين المميزين بأعمالهم.

ابن توبي بطلان أيضاً في ركوب الأمواج، ويُعرف ابنه الأكبر، ماثيو، بقفزاته البهلوانية وأعمال جريئة مماثلة لم يتصوّر راكبو أمواج آخرون أنه في الإمكان تأديتها.

كان توبي قد عانى في صِغره من مشاكل في الإدمان على الشراب، وهو يلقي اللامامة باستمرار على إرثه الأميركي المرتبط بالسكان الأصليين الذين لم يكونوا يملكون أي مقاومة إزاء الشراب. لذلك، قرر في السنوات الأولى من بلوغه سنّ الرشده عدم تناول

لم يستطع ماكس تصديق ما سمع. فتحدّث إلى توبي وانفقا على الالتقاء في سيدونا في الأسبوع التالي حيث سيحاولان العثور على الدب الراكض.

كانت يد ماكس ترتجف من شدة التأثر عندما أنهى المكالمات الهاتفية. لقد أدرك أنه قد يلتقي أخيراً بالاسم الأخير من بين الأسماء الاثني عشر في غضون أيام. ولكن، ماذا بعد ذلك؟

الشرباب مجدداً. لقد ساهم هذا الأمر، إضافةً إلى ممارسة ركوب الأمواج، في توفير أسلوب حياة سليم له، وأضاف إلى إنجازاته نزهرات طويلة سيراً على القدمين، وقد آمن له ذلك عالماً جديداً من الصور الفوتوغرافية.

فإحدى مناطقه المفضلة للنزهات الطويلة والتقاط الصور الفوتوغرافية هي سيدونا، أريزونا، وهي مدينة صغيرة في الصحراء الجنوبية الغربية العالية الشهيرة بتشكيلاتها الصخرية الحمراء. كان يقوم برحلة إليها مرة واحدة في السنة على الأقل، لذلك لم يتطلب ماكس كثيراً من الوقت لتعلمه وحمله على مرافقته في رحلة سريعة.

لقد قاما بالرحلة في يوم واحد، وشاطرهما ماكس قصة الاثني عشر في أثناء ذهابهما وعودتهما. وقام توبسي بدوره بتزويد ماكس بكل ما يعرفه عن الدب الراكض، وهو أفضل مرشد سياحي في سيدونا كما قال. فالدب الراكض يعرف الكهوف السرية والمواقع الهندية المبحلة كلها.

"أطلق عليه اسم جول شيتس عند ولادته"، شرح توبسي، "لقد عرفته منذ أكثر من عشرين عاماً عندما بدأت بالتقاط صور فوتوغرافية لمفانن سيدونا. وعندما أخبرته عن إرثي، أطلعني على اسمه الهندي. فالعديد من الناس لا يعرفونه باسم الدب الراكض، لذلك تفاجأت حقاً عندما اتصل بي ماثيو. لست واثقاً من تمكنك من العثور عليه بطريقة أخرى، ولا حتى من خلال موقع البحث غوغل."

"بالطبع، عندما بدأ كل ذلك، لم يكن موقع البحث غوغل موجوداً"، أشار ماكس، "في الواقع، لم يكن الإنترنت موجوداً بعد."

"كانت رحلة مميزة"، أضاف، "علماً أن حاملي الأسماء هم الذين يعثرون عليّ على الدوام. ويعتقد بعض الاثني عشر أننا مرتبطون جميعاً

بعمق، وأميل إلى موافقتهم الرأي. أمل فقط في أن يزودنا الدب الراكض ببعض الإلحاعات، سيكون من الرهيب أن نكتشف أن كل ما حدث لا يعدو كونه صدقة كبيرة من دون أن يكون وراءه أي هدف أو معنى".

فأوما توبسي برأسه موافقاً.

"إذا كان هناك من يملك جواباً للغزك فهو الدب الراكض"، قال بثقة، "إنه ضالع إلى حد ما، إضافةً إلى كونه مرشداً سياحياً، وهو عليم بمعتقدات وتقاليد الهوبي القديمة".

وتوقف قليلاً، وأضاف:

"يستخدم الدب الراكض مواد للهلوسة في طقوسه، وهو خبير بشعائر التعرق".

وصل توبسي وماكس في وقت متأخر، وتحققا من وجود غرف شاغرة في موتيل بست وسترن. فبالرغم من حماسه الشديد، غرق ماكس بسرعة في نوم عميق، وعندما استيقظ، تفاجأ بنومه نوماً هائلاً.

وانضم إليهما الدب الراكض إلى مائدة الإفطار في مطعم مجاور. كان في العقد الثامن من عمره، طويل القامة، وكان شعره طويلاً مضطرباً وفيه خصللات رمادية اللون، ويرتدي سترة حمراء ويضع مجوهرات فيروزية للون جميلة.

كان يتمتع بحضور رائع.

واكتشف ماكس أنه يتحدر مباشرةً من أسرة لاكونا المقتدرة وضالعي هوبي الهنود. وكونه مرشداً سياحياً للمواقع المبحلة في سيدونا، فإنه يكن حياً حقيقياً للأرض ولإرث الشعوب الأصلية.

من دون تردد، أطلع ماكس الدب الراكض على تفاصيل الأسماء الاثني عشر كافة. فأصغى الدب الراكض بحرص، وكان يتشم ببساطة. وعندما فرغ ماكس من روايته، تكلم بصوت عميق:

"كما تتوقع قدومك".

"كيف يُحتمل أن يحدث ذلك؟"، سأل ماكس غير مصدق، "لقد مضى سبعة وأربعون عاماً على رؤيتي اسمك للمرة الأولى، ولم أكن أعرف طوال الوقت أين يتعين علي الذهاب ولماذا. كيف عرفت ذلك؟".

"لم تكن أنت من تنتظر بصفة خاصة"، شرح الدب الراكض، "ولكن السكان الأصليين الأميركيين عرفوا بوجود الأسماء الاثني عشر منذ قرون. التحول الكبير على وشك الحدوث. لقد تناقلت الأجيال أن هذه الأزمنة ستشهد ظهور الناس الحقيقيين مجدداً - أولئك الذين يتمتعون بشخصية قوية ومتكاملة - وسيقودنا مرشدونا الروحيون القدماء إلى عالم من السلام والتناغم". وبالرغم من نقل كلماته، كان الدب الراكض يتكلم بجدوء.

وأجاب ماكس بجدوء أكبر:

"ولكن ماذا علي أن أفعل بهذه الأسطورة؟"، سأل ذلك وقد بدا الإرباك في صوته، "لا صلة لي بالتيبة بالسكان الأميركيين الأصليين. جدائي لجهة والدي هنغاريان، وجدائي لجهة والدي روسيان".

"لا أعرف ما دورك بالتحديد، ولكنك ساهمت في جمع مثل الاثني عشر. ومثل كل اسم إحدى القبائل الحديثة ملونة البشرة الممتلئة على هذه الأرض لنهاية الأزمنة".

ولدى رؤية القلق على وجه ماكس، أضاف:

"أدرست شعبونا القديمة أنه سيكون من الضروري لنا نحن الأميركيين الأصليين أن نعود شعباً من مختلف الألوان في الأزمنة

الأخيرة. ولن يكون هناك عالم يعادي فيه الحمرة البيض، والسود الصفر. سيكون هناك عالم واحد في الأزمنة الجديدة، ولن يظهر على الأرض سوى أولئك المتمتعين بالأخلاق وبالروح الحقيقية لشقاء الجروح التي تسببها جشع وعنف العديدين منذ زمن بعيد. كان يعلم أشقائي أن خيبات أملنا لن تدوم. لذلك، ابتكرنا رقصات الأشباح وشعائر أخرى، كما نعرف على الدوام أن الشعب الحقيقي لن يزول، بل سيعود ليمثل قبائل البشر الاثني عشرة بألوانها الاثني عشر".

وفي أثناء استماعه إلى كلماته، وجد ماكس نفسه يصدّق ما يقوله الدب الراكض... بالرغم من وجود العديد من الأسئلة التي لا تزال من دون إجابات.

"استناداً إلى خبراتي، أعتقد أنه لا بد من أن تكون على حق"، قال محذّراً خارج النافذة إلى المنظر الطبيعي الصحراوي الشاحب، "أظن أن أسطورتكم القديمة صحيحة بطريقة ما في الواقع".

والثفت للنظر إلى مستضيفه مجدداً.

"حتى ولو كان الأمر كذلك، ماذا يعني كل ذلك؟".

"الإجابة ليست لدي بل لدى صاحب كل الإجابات"، أجاب الدب الراكض، "يجب علينا القيام ببعض شعائر التعرّق عند شروق شمس صباح غد".

ونفض عن الطاولة، وأشار إلى الجبال إلى يساره.

"هل ترى تلك الصخور الحمراء وراء الطريق هناك؟".

فاوماً ماكس برأسه.

"هناك درب بطول ثلاثة أميال بين الصدوع الأكثر عمقاً داخل الصخور الحمراء. قلّة هم الأشخاص الذين يعرفون هذا الدرب، وهناك كهف قديم إلى جانبه حيث سأقوم بشعائر التعرّق. لقد رافقتي توبيسي

من قبل إلى هذا الموقع المبحّل. سيرشدك إليه في الصباح وأكون قد أعددت كل شيء. سأذهب هذا المساء وأقدم القرايين إلى أسلافي، وأعدّ النار والصخور".

لم تكن الشمس قد أشرقت بعد عندما بلغ توبيسي وماكس الدرب والكهف. وعندما دخلوا البراح، وجدا الدب الراكض هناك مرتدياً زيّ الاحتفال الذي يشمل ريشة عقاب مبحّلة، ويتلو تهويدات هوبسي قديمة، وهو في حالة تأملية لم يقطعها وصولهما.

كانت النار قد جعلت الكهف حاراً إلى حدّ كبير، وبدأ توبيسي وماكس بالتعرّق خارج الكهف. فجلسا بسكون وراقبا الدب الراكض. وبعد عشر دقائق من التهويدات، توقف والتفت إليهما قائلاً: "كانت ليلة جيدة. الأسباد مبتهجون. إنهم توافقون إلى توجيهنا. تعالاً، يجب عليكما تدخين بعض هذا التبغ، ثم تدخل بعد ذلك الكهف ونسبداً بأدعيتنا". فسلمهما غليونين، وخامر ماكس شعور بوجود نوع من أنواع المواد الباعثة على الهديان ممزوجة بالتبغ، ولكنه لم يستوضح الأمر.

وشرع الدب الراكض بسلسلة من التهويدات باللغتين الهوبية والإنكليزية. واستدار نحو الزوايا الأربع للغرفة، طالباً البركة. وطلب من توبيسي وماكس تكرار الجمل الإنكليزية، فامتثلتا له.

كانت الحرارة مرتفعة جداً، وشعر ماكس بالرغبة في الخروج بسبب تعرّقه لأنه لم يتعرّق من قبل على هذا النحو. ولكن رغبته في كشف السنقاب عن مصيره تغلبت على كل شيء، وبقي بلا حراك، مسسماً في مكانه، مُصغيّاً إلى كل كلمة يقولها الدب الراكض ومراقباً كل حركة يقوم بها.

أخيراً، انتهت التهويدات والأدعية، وساد الصمت. لم يحدث أي شيء ذي صلة، وتساءل ماكس عما إذا كانت شعائر الدب الراكض فعالة.

وارتسمت على وجه الضالع نظرة ذهول كما لو أن روحاً استحوذت عليه. فلم يتحرك، حتى إنه لم يكن يتنفس كما يبدو. ولم يتحرراً ماكس على التحرك.

فأومأ توبيسي له برأسه لطمأنته أن لا حاجة إلى القلق، لأنه قام بهذه الشعائر مع الدب الراكض.

وبعد ما بدا أنهما عشرون دقيقة أو أكثر من السكون والجمود التام، بدأ الدب الراكض بالتكلم بصوت عالٍ وهادئ. كانت كلماته باللغة الهوبية القديمة ولم يستطع ماكس فهمها.

ووقف بعد ذلك وخرج من الكهف، وتبعه توبيسي وماكس. في الخارج، كانت الشمس ساطعة وتعكس الصخور الضوء على صورة نسيج براق باللونين الأحمر والأصفر، واللونين البرتقالي والأخضر، كما كانت هناك زجاجات من الماء كان قد وضعها الدب الراكض، فشرّبوا كلهم، مقدّرين هواء الصباح البارد حق قدره.

وشرب الدب الراكض كل الماء الموجود في الزجاجات، واقترب من ماكس ونظر إلى عينيه مباشرة في أثناء التحدث إليه.

"يبدأ بحثك اليوم. أطلعني صاحب كل الإجابات على ما يتعيّن عليك القيام به، وعلى ما تطوَّعت للقيام به منذ عدة قرون عندما وافقت على أخذ دورك على الأرض".

فسمّح ماكس بإثارة كبيرة بالرغم من أنه لم يكن يفهم شيئاً، ولكنه كان وثاقاً على الأقل من أنه سيرف الغاية من اختباره حالة النورانية ويفهم صلته بالإنبي عشر.

"وما هذا البحث؟"، سأل محاولاً التزام الهدوء، "ما الذي وافقتُ على القيام به؟".

"أنت الشخص الذي يقضي واجبه بجمع الاثني عشر"، كشف له السدب السراكض، "يجب جمع ثملهم خارج إيزابا، المكسيك، في 11 آب/أغسطس عند شروق الشمس في عام التوقع هذا. "إذاً، أمامك شهران فقط لجمع الاثني عشر"، قال محدراً، "لقد كشف لي صاحب كل الإجابات أن مهمة الاثني عشر لن تتم في ذلك اليوم المبجل إلا بحضورهم كلهم".

وبدا ماكس يشعر بارتياح شديد.
"ولكنني لم أتحدث إلى بعض الاثني عشر منذ أكثر من عشرين عاماً"، قال، "ماذا لو لم يأتوا جميعهم؟".
فهزّ الدب الراكض رأسه.

"ما طلبه مني صاحب كل الإجابات هو كل ما أعرف. لا أعرف كيف يتعين عليك تحقيق هذا الهدف. فكوني أحد الاثني عشر، ساكون في جبل إيزابا، وسأبذل قصارى جهدي لمساعدتك على جمع ثملنا، ولكن صاحب كل الإجابات قال لي إنها مهمتك، ومهمتك وحدك".
فازدرد ماكس، وانتابته الشكوك.

ماذا لو كان كل ذلك وهمًا؟ لقد أخبر الدب الراكض عن خوان وصلة خوان بإيزابا من خلال والده. ماذا لو بنى الدب الراكض قصته على الأمر الذي يرغب ماكس في سماعه؟

بالرغم من كل شيء، لم تكن هناك تفاصيل ملموسة تشرح سبب كون الاثنا عشر هم الاثني عشر أنفسهم، أو سبب كون إيزابا في المكان الذي يتعين عليهم الذهاب إليه. كان بحاجة إلى مزيد من المعلومات.

"كيف يمكنك التأكد من أنه يجب علينا التجمع في إيزابا، وفي ذلك الوقت بالتحديد، وفي ذلك اليوم دون سواه؟".

"هذا ما كشفه لي صاحب كل الإجابات".
"وهل تعرف ما الذي سنحققه؟"، سأل ماكس حاثاً الدب الراكض على الكشف عن مزيد من المعلومات.
فهزّ الدب الراكض رأسه بصير قائلاً:

"لم يكشف لي صاحب كل الإجابات المزيد". ولكن ماكس وجد أن الأمر لا يُطاق لدرجة عدم تمكنه من تصديقه.

"ولكن كونك ضالعا، ألا تملك أفكاراً عن سبب اختيار هذا المكان والزمان"، سأل ماكس بمتابعة، "وما الذي قد يحدث؟".

"لديّ أفكارتي الخاصة كفرد، ولكنها ليست هامة"، قال الدب الراكض بهدوء كما لو أنه يخاطب طفلاً، "ما كشف عنه صاحب كل الإجابات فقط هو الجدير بالمناقشة". وهكذا، استدار لسلوك الدرب غير الصخور الحمراء، وصولاً إلى الطريق.

وتبع ماكس توبسي، وواصل التذمر بصوت يائس، ثم قال:
"ولكن يجب أن تكون لديك الإماعة ما. رجاء، أخبرني أمراً منطقياً، أمراً ممكناً على الأقل يساعد على تفسير طلب صاحب كل الإجابات".

فقال الدب الراكض في أثناء سيرهم:
"11 آب/أغسطس هو يوم مبجل وفقاً لروزنامة المايا. أنا على ثقة من أن والد خوان، القيم النهاري، سيكون في إمكانه تزويدك بمزيد من التفاصيل، ولكن استناداً إلى ما أعرف، يمكنني أن أقول لك فقط إنه سيكون اجتماعاً مبجلًا، وإذا أخفقت في جمع الاثني عشر في الوقت المحدد، سيكون هناك مزيد من المعاناة".

ولزم الدب الرأض الصمت، وواصل السير، وساعدته ساقاه الطويلتان على السير بسرعة، تاركاً ماكس وتوبي يفكران ملياً في ما سمعاه.

وُثِرَ ماكس يتساءل عن كيفية وسبب اختياره، علماً أنه لم يعتقد بما كشفه صاحب كل الإجابات.

الفصل السادس والعشرون

حتى الأموات ينتظرون

حزيران/يونيو 2012

إن أحد أول الاتصالات التي أجراها ماكس بعد عودته إلى كاليفورنيا كان مع إيرول في اسطنبول، واستخدم جهاز الكمبيوتر كي يتمكن من عقد اجتماع بُعدي ويشاهد بعضهما بعضاً.

"الأمر يحدث، يا إيرول". قال.

حتى ولو قال ذلك، فقد وجد أنه يصعب عليه تصديق ما يقول. "لقد وجدت بقية الاثني عشر. إن الدب الرأض، وهو الاسم الذي أحفظ به طوال تلك السنوات. هو ضالع من أسرة لاكوتا، وأنت مُحِق وفقاً لما بلغني منه. هو يدعي أن قدرتي يقضي بجمع شمل الاثني عشر واصطحابهم إلى إيزابا، موطن روزنامة المايا القديمة".

"إنه أمر مذهل يا صديقي"، قال إيرول، "لقد علمت منذ سنوات أن قدرتنا مترابطان، وهذا الأمر ثبت ذلك. متى ستسافر إلى إيزابا؟".

"يجب أن تكونوا كلكم هناك في 11 آب/أغسطس"، قال ماكس، "هل ستمكن من الحضور في ذلك التاريخ؟".

"لن تتمكن من إيفائي"، أجاب إيرول، "وإذا كان هناك من لا يملك المال للسفر، سأعطي نفقاته. لا يُفترض بالمال أن يُعيق هذا

الاجتماع. لقد اعتقدت على الدوام أن لقصتك غاية أعمق، وأن قدرتي مرتبط بشيء ما أكبر من حسي لاسطنبول ولوطني تركيا".

فسر ماكس وأخير إيرول أنه قد يكون بحاجة إلى السفر أيضاً إلى بلدان مختلفة للقاء بعض الاثني عشر.

"لا مشكلة في ذلك"، أصر إيرول، "أعلمني فقط بالمساعدة المالية التي قد تكون بحاجة إليها للقيام برحلاتك".

"من الجيد أن أعلم أنني أنقذت دعمك عند الحاجة"، أجاب ماكس بارتياح كبير.

وجرت الاتصالات الثلاثة التالية بسهولة. كان الطبيب آلن تايلر وتشيل كامبيستر مسرورين بالالتزام بالموعد، ووجد حوان في الأمر فرصة مناسبة لرؤية والده، لذلك لم تطرح أي مشكلة.

كانت ميلودي جونز أول من يحتاج إلى مساعدة مالية، ولكن ما إن توافر لها المبلغ المطلوب حتى وافقت على الانضمام إلى الاثني عشر في إيزابا في 11 آب/أغسطس.

واتصل بيوكو عبر الإنترنت، وأعربت عن سرورها بذلك. فأب هو شهر إجازتها، ولم تكن قد حجرت بعد في أي مكان لتمضية عطلتها السنوية.

وكان على شو صن باك تغيير تاريخ رحلة عمل، وتبقى لماكس الاتصال بيوسكي وماريا والريونش وبسي. أن. ماهارز.

لم يكن ماكس قد تحدث إلى الريونش طوال عشر سنوات تقريباً، وإلى الآخرين طوال أكثر من عشرين سنة. ومع ذلك، فقد تمكن من اقتفاء أثر البوذي، الذي كان يقيم في تورنتو، كندا، في السنوات الثماني عشرة الأخيرة. لقد بات يتكلم الإنكليزية قليلاً ولكن بطريقة ملائمة، وتزوج بابتة أحد طلابه، ورزقا بابنتين.

وعندما شرح ماكس الوضع، أعرب الريونش عن سروره بحضور اللقاء بالغ الأهمية.

كان الاتصال بماريا صعباً على نحو مفاجئ. فبالرغم من مرور السنوات، لم يتمكن أبداً من نسيان الأسف الذي شعر به عندما خرجت من المتشرد العام. ولم ينس كذلك مدى الحب الذي كنه أحدهما للآخر.

فأجسر نفسه على الاتصال، واكتشف أنها لا تزال تقيم في تروجيلو، البيرو. وبدت مسرورة بما أخبرها به، وأمضيا الجزء الأول من الاتصال بإخبار أحدهما الآخر بما آلت إليه حال كل منهما. كانت ماريا والسدة لأربعة أبناء، وجدة لسبعة أحفاد. لم تأسف أبداً على الاقتران بزوجها المهندس، كما قالت، الذي توفي قبل عام.

وأعرب ماكس عن أسفه وكانت تعثره مشاعر ممتازجة، ولكنها أعسرت له عن سعادتها بعيش حياة هادئة في تروجيلو. وقبلت عرضه، إنهما رحلتها الرئيسة الأولى بعد عام الحداد التقليدي. كانت مواردها المالية متواضعة، فشعرت بالامتنان بسبب عرض ماكس تغطية نفقات سفرها إلى إيزابا.

فقالت إنها ستشرع على الفور بوضع خطط. وأنهيها المكالمات الهاتفية، وأدرك ماكس أنه مُنهك. كان لا يزال يشعر ببعض ما شعر به عندما التقى بماريا، وب الحاجة إلى استراحة قصيرة قبل استئناف اتصالاته.

واجه ماكس صعوبة في اقتفاء آثار يوسكي بسبب تقاعده من العمل في ميدان الأفلام.

ومع ذلك، فقد استعان بالمعلومات المتوافرة لديه حول خدمة يوسكي العسكرية للمعور عليه. كان يقيم في القدس القديمة ويعمل

كاستراتيجي أمين لصالح الوجهاء ورفعي المقام الذين يزورون المدينة.
وعندما تمكن ماكس أخيراً من التحدث إليه عبر الهاتف، بدا الأمر كما
لو أن السنوات تلاشت.

"يسعدني كثيراً سماع صوتك، يا بني"، صاح يوسكي، "كيف
حالك؟".

"أنا سعيد جداً لثوري عليك"، أجاب ماكس، "أنا بحاجة إلى
مساعداًتك".

"اطلب ما تشاء"، قال يوسكي بحماسة، وتساءل ماكس عما إذا
كان سيُجنّ جنونه إذا طُلب منه البقاء في مكان واحد. "لا أشعر بكثير
من الإثارة في هذه الأيام... إذًا، ماذا هناك؟ فريق تصوير في طريقه إلى
القدس؟ الحصول على أدونات؟ أعلمني بما تريد فحسب"، قال
يوسكي، "وما تحتاج إليه تتم تلبية".

"لست بحاجة إلى شيء من ذلك القليل"، شرح ماكس، "أنا
بحاجة إلىك للقدوم ولقائي مع أحد عشر شخصاً آخر في إيزابا،
المكسيك، في 11 آب/أغسطس. سنغطي كل نفقاتك. سأشرح لك
التفاصيل عندما أراك، ولكن انضمامك إلينا هو أمر أساسي".

وسادت فترة طويلة من الصمت، وتخيّل ماكس وجه الرجل في
أثناء التفكير ملياً في الطلب الغريب وغير المتوقع بعد سنوات عدة.

وسمع بعد ذلك زفيراً مطوّلاً، وتكلم يوسكي مجدداً:
"من أكون لأرفض رحلة بحائية إلى أميركا في هذه المرحلة من
الحياة"، قال مبتهجاً، "يمكنك الاعتماد عليّ. أرسل إليّ تذكرة السفر
والتفاصيل، وسأكون في خدمتك".

وهكذا، تبقى لماكس الاتصال ببسي. أن. ماهارز.

طلب ماكس رقم هاتف المتحف الوطني في دلهي.
"هل يمكنك أن تصليني ببسي. أن. ماهارز، رجاء؟"، سأل عاملة
الهاتف في المتحف.

"لم يعد ببسي. أن. ماهارز يعمل في المتحف"، قالت، "ولكن
دعني أصلك بالقيّم الحالي على القرن الخامس عشر الذي قد يكون
باستقامته أن يُعلمك بمكان وجوده".

فأجفل ماكس بتقاعد ببسي. أن. المبكر نسبياً.

وبعد خمس دقائق، سمع صوتاً ذكورياً عبر الهاتف:

"أسف لإعلامك أن ببسي. أن. توفي قبل ثمانية عشر عاماً. كان
صديقاً مخلصاً، كنت مساعداً له طوال عشرين عاماً. لا أزال أفقده.
هل أنت صديق للعائلة من الولايات المتحدة؟".

في بادئ الأمر، لزم ماكس الصمت، ولكنه طلب إمهاله لحظات
قليلة لاستيعاب ما يجري.

كيف يمكن لذلك أن يحدث؟ تساءل بصمت. وماذا يحدث عندما
لا يكون هناك اثنا عشر شخصاً؟

وعندما تمكن من التحدث مجدداً، شرح له قائلاً إنه التقى
ببسي. أن. عام 1972 عندما صوّر فيلماً في المتحف.

"لقد ساعدنا على الحصول على إذن للقيام بذلك"، قال ماكس،
"ومكثت من عطية يوم رائع مع ببسي. أن. وعائلته".

عائلته، قال ماكس في نفسه، وظهرت ومضة أمل.

"هل تعرف كيف يمكنني الاتصال بهم؟"، سأل، "من المهم جداً
أن أتحدث إلى شقيقه أو إلى أحد أنسابه".

فلزم القيّم الصمت للحظات، ومن ثم قال:

"لا أعلم إذا كان أحد من أشقائه أو أفراد عائلته لا يزالون على

قيد الحياة، ولكن، لبي. أن. ابتنان وعدة أحفاد أعتقد أنهم لا يزالون يقسمون في قريتهم. يمكنني أن أعطيك أرقام هواتفهم إذا رغبت في ذلك".

فدون ماكس رقم ابنة بي. أن. وطلبه على الفور. لم يكن يتذكر اسم ابنة بي. أن، ولكنه تذكر صوت شيلبا اللطيف والضحك ما إن تكلمت.

"أه، ما زلنا نتحدث عنك"، قالت ببهجة، "كنت في السادسة من عمري فقط عندما تناولت العشاء معنا في تلك الليلة، وكنت أول شخص أبيض بالكامل أراه يوماً. اعتاد والدي التحدث عنك في غالب الأحيان وبشغف، في الواقع، أعطاني شيئاً ما وهو على فراش الموت قال إنك قد تسأل عنه يوماً ما".

فتفاجأ ماكس.

"ماذا ترك لي؟"، سأل بفضول.

"إنه كتاب، ولكنه قال إنه يتعين عليك القدوم والحصول عليه شخصياً"، قالت شارحة، "طلب مني أن أبلغك عندما تتصل عن أسفه بسبب عدم تمكنه من انتظارك حياً. قال لي أموراً كثيرة أخرى أيضاً، وهناك بعض التعقيدات غير المتوقعة تحول دون إعطائك الكتاب. ولكنني سأشرح لك كل شيء، كما طلب، إذا اخترت القدوم".

لغز بعد لغز، قال في نفسه. ولكن عليه مواصلة الأمر ما دام الأمل موجوداً.

"بالطبع، سأتي في أسرع وقت ممكن"، قال، "سيكون من الرائع تمضية بعض الوقت معك ومع أفراد عائلتك. هل لا يزال عمك الذي يدرّس في الجامعة على قيد الحياة؟".

"العم غويستا على قيد الحياة وبخالة جيدة"، أجابت، "إنه في التسعين من عمره تقريباً، ولكنه لا يزال حادّ الذهن كالعادة. كان برفقتي عندما توفي والدي، وقد تكون لديه بعض المعلومات ليشاطرك إياها".

قال: "سأسافر إلى الهند جواً في غضون أسبوع وأقصد منزلكم للقائكم. عندما، يمكننا مناقشة التفاصيل المرتبطة بالرسالة التي تركها والدك لي". وودّعها، وألقى المكالمات الهاتفية.

وبينما كان يضع سماعة الهاتف، تسأل ماكس عن كيفية جمع شمل الاثنين عشر في حين أن أحد عشر شخصاً فقط كانوا لا يزالون على قيد الحياة.

سي. دي. ماهارز

حزيران/يونيو 2012

الفاكهة والسكر، والقطع المعدنية القديمة والحديثة، والألعاب الإلكترونية.

وهناك فتیان صغار يلعبون لعبة ركل الصفيحة المعدنية، وفتيات يحملن جرار مياه كبيرة على رؤوسهن ملأتهن من بر البلدة، كما يتذكر. لا تزال أمور كثيرة على حالها.

وعندما دخل ماكس مجمع مباني أسرة ماهارز، لاحظ أن الجدران طُليت بطبقات جديدة من الطلاء، وتم استبدال بعض الكرسي والمقاعد في غرفة الطعام الخارجية بأخرى.

ومع ذلك، فقد بقي الأثاث على حاله داخل المنزل. المطبخ لم يتبدل، والعديد من الكتب الموجودة على الرفوف - في ما كان يُعرف بـ مكتب سي. أن. - بقيت مكانها تماماً.

وبينما كان واقفاً ينظر إلى عناوين الكتب، دخلت شيلبا ابنة سي. أن. الغرفة ورخت به بحجارة.

"لقد نظمتنا غداء لك"، أعلنت، "سيسل كل الأنبياء بعد قليل. يسعدنا حضورك في هذا اليوم لأنه يوم مناسبة ذات معنى روحي كبير. عمي على ثقة تامة أن التوقيت ليس مصادفةً."

وبعد قليل، وصلت كل العشرة، وانتقلوا إلى غرفة الطعام.

أثناء الغداء، لفت ابن شيلبا سي. دي. انتباه ماكس. كان في السابعة عشرة من عمره، وقد وُلد مصاباً بعاهة عقلية مماثلة لمتلازمة داون ولا تتحسن قدرته العقلية أبداً منذ كان في الثالثة من العمر. ففي استطاعته تمييز الوجّهات وإصدار أصوات من دون أن يكون قادراً على تشكيل تعابير أو جمل كاملة.

وعندما يُصدر أصواتاً، تكون مرتفعة في العادة، لا يتحكم كثيراً بحجم الصوت كما يبدو، ولا يمكنه تحديد الأثر الذي قد تركه في

وصل ماكس إلى دهي بعد أربعة أيام فقط.

كان المطار قد بلغ ضعف حجمه بعد زيارته الأخيرة قبل أربعين عاماً، وبالرغم من استمرار ازدحام الطريق بالدراجات الملوّية، والعربات التي يجرها الناس، والحمر، والأبقار، والمشاة الذين يحملون حُزماً كبيرة على رؤوسهم، كانت هناك أيضاً سيارات، وشاحنات، وحافلات على امتداد الطريق العام الحديث المؤلف من أربعة مسارب والممتد من المطار إلى دهي.

أُمسى ليلته الأولى في فندق تاج محل الحديث والفخم على غرار كل الفنادق التي ينزل فيها عادةً. وتدبر أمر الحصول على سيارة أقلته إلى قرية سي. أن. على بُعد عشرين ميلاً عن المدينة، وحيث سيمضي بقية المدة مع ابنة سي. أن. والعائلة الموسعة.

لم يتذكر ماكس الطريق لأنه كان قد سلكها مرة واحدة فقط في الليل قبل عدة سنوات، ومع ذلك، فقد أذهله كيف تبدو عليه حال العودة في الزمن مع كل ميل يقطعه. وعندما وصل إلى البلدة، تمكن من التعرف إلى الشوارع التي لا تزال مليئة بالباقة والمتاجر الصغيرة حيث يُباع كل شيء بدءاً بالماء، وصولاً إلى

نفوس الآخرين محاولته التواصل معهم. كان سي. دي. قوياً جداً، لذلك أسندت إليه مهام في الحقول كقطف الخضار. ونتيجة لذلك، نما صدره وذراعه على نحو يفوق نمو جسده البالغ طوله 6.5 أقدام، مما منحه القوة الجسدية لرجل أكبر حجماً.

كانت لديه عينان بنية داكنتان، كبيرتان مائلتان إلى السواد، وفيهما بريق أسمر، ويتسم قليلاً. لقد عانق ماكس بقوة في أثناء الترحيب به لدرجة أن ماكس اعتقد أن أضلعه ستسحق.

فابتعدت شيلبا ابتها عن ماكس بلطف.

"سي. دي. قوي جداً"، قالت مطمئنة ماكس، "ولكنه شديد اللطف. لن يلحق بك الأذى. هو يحب الجميع ولا سيما الحيوانات، ويعانق كل مخلوق حي يلتقيه. إنه بمثابة فرح بالنسبة إلينا أكثر منه عبء علينا، ولكن يجب علينا أن نكون متيقظين على الدوام بما أنه لا يستطيع الاعتناء بنفسه".

وفي أثناء تحدّثهما، توقع ماكس أن يرى الحزن في عينيها، ولكن الحب هو كل ما رآه.

لقد افئتن الشاب الصغير تماماً بماكس بقدر ولع ماكس به. واستمر في تقديم الطعام إلى ماكس والنظر إلى عينيهِ مباشرة، والاقتراب من وجهه. كانت شدة اهتمامه مُربكة بطريقة ما، ولكن ماكس شعر برباط غامر تقريباً بينهما.

كان ينظر إلى عيني سي. دي. الكبيرتين الداكنتين ويرى حيّاً غير مشروط وثقة. لم يكن يستطيع تمالك نفسه عن التحديق إليه باندهاش.

بعد الغداء، اصطحبت شيلبا والعلم غوبتا ماكس إلى مكتب سي. أن. الذي يتشاطره على الدوام مع ثلاثة آخرين من العائلة.

كانت الرفوف مليئة بالكتب والخرائط، والرسوم تكسو الطاولات، وتحتوي العديد من المخطوطات على رسوم يدوية فائقة الجمال، وكان أحدها قديماً جداً. إنها مقتنيات أسرة ماهارز المشهورة ببخايتها.

وكان غوبتا الذي يبلغ من العمر تسعة وثمانين عاماً أول من تكلم.

"نحن في انتظارك منذ سنوات عدة". قال: "لقد مضى تقريباً ثمانية عشر عاماً على وفاة ابن شقيقي بي. أن. بدء السرطان، ولم يكن يبلغ الخمسين من عمره. لقد أمضى الأشهر العديدة الأخيرة من حياته مستلقياً على سرير تقال وضعناه له في هذه الغرفة".

"كما تعلم، كان يحب كتبه، وأمضى السنوات الأخيرة من حياته يدرس النصوص القديمة لشعب الأوبانيشاد الذي استمد منه الهندوس التقاليد والمعتقدات الميخلة".

وسلم غوبتا ماكس مفكرة صغيرة زهرية اللون، وعلى غلافها صورة جميلة لجبال وأشجار وجدول ماء.

"إنها المفكرة التي كان يحتفظ بها بي. أن. في ذلك الوقت، وقد سجل عليها أفكاره الأخيرة. ويوم وفاته، استدعاني وشيلبا وسلمنا إياها، وقال لنا إنه علينا حماية هذه المفكرة لأن شخصاً ما قد يحضر ويسأل عنها، وطلب منا تسليمها إلى ذلك الشخص. اعتقد أن ذلك الشخص مجهول هو أنت. لم يذكر بي. أن. أبداً اسمك، ولكن أحداً لم يأت بحثاً عن بي. أن. في السنوات السبع عشرة الأخيرة سواك، ولا سبب يدعوني إلى الظن أن شخصاً آخر سيظهر".

فحمل ماكس المفكرة، ولكنه لم يكن يعرف ما إذا كان يتعين عليه فتحها أم لا.

وبينما كان متردداً، تكلمت شيلبا:

"كنت برفقة والدي كل يوم، وقمت بخدمته باستمرار في المرحلة الأخيرة من مرضه. لقد بنتا مقرّبين من بعضنا أكثر من أي وقت مضى بما أن والدي فارقت الحياة، وكنت نسييته الأكثر تقريباً منه. كنت حاملاً بطفلي الأول، وقد منحنا ذلك الفرح لكلينا".

"في اليوم الأخير من حياته، وعندما سلّم المفكرة إلى غوبتا، قال لنا ألا نسلّم المفكرة إلى من طلبها إلا إذا قام ابني الذي لم يولد بعد بمرافقة المستلم. قد تجوّب المفكرة العالم، كما قال، ولكن يجب إعادتها ذات يوم إلى هذه الغرفة لتبقى بالقرب من حفيده".

وتناول غوبتا الحديث.

"لقد بدا طلباً غريباً، ولكن كما تعرف من حديثنا الذي أجريناه قبل أربعين عاماً، نحن المهارز مليعون بالمفاجآت والمعارف الغريبة".

عندها، تذكّر ماكس ممارس اليوغا ورحلته إلى القمر وما وراءه. وأعاد صوت غوبتا إلى الحاضر.

"لم نطرح أسئلة آنذاك حول طلب بي. أن. ولا نريد طرح أسئلة حوله الآن. لك حرية قراءة هذه المفكرة، ولك حرية أخذها إذا كنت بحاجة إلى ذلك، ولكن في هذه الحالة عليك اصطحاب سي. دي. معك لأنه الطفل الذي كان في رحم شيلبا آنذاك".

فستشر ماكس بالإثارة والإرباك. لم يكن يبدو على بي. أن. الاحتيال أو أن تحمل أفكاره طابعاً خيالياً غير مألوف. لماذا يضع هذه الشروط الغريبة للحصول على هذه الهدية؟

ماذا يوجد في هذه المفكرة؟

"لم يسبق لأحد أن فتح هذه المفكرة، لا شيلبا ولا أنا، أو أي شخص آخر"، شرح غوبتا، "قال لنا بي. أن. إن المحتويات مخصصة

للذي سيأتي بحثاً عنها، علماً أنها لن تكون ذات معنى بالنسبة إلى الآخرين".

ففكر ماكس في ذلك الأمر قليلاً، وبدا أن ما قاله غوبتا لا معنى له.

"سنذعك تقرأ المفكرة، ويمكنك بعد ذلك إعلامنا إذا كنت تريد منا إعداد سي. دي. للسفر معك أم لا"، أضاف الرجل المسنّ، "وإذا أردت أن يرافقك، ستقوم شيلبا بمرافقته بالطبع. لقد سافر سي. دي. من قبل، حتى إنه يملك جواز سفر أيضاً. هو يطيع شيلبا، ويمكن لأي شخص أن يلاحظ مَبْلَه إليك".

استدار غوبتا وشيلبا للمغادرة، ولكن الرجل المسنّ استدار مجدداً للتكلم للمرة الأخيرة.

"عندما نعود، سنسألك عن قرارك".

بعد مغادرتهما، فتح ماكس المفكرة. كانت مليئة بالأرقام، وكانت هناك أربعون صفحة تقريباً من العمليات الحسابية، وفي الصفحة الأخيرة وجد ماكس المعادلة النهائية ومجموعة الرموز النهائية.

21122012

لقد ظهر هذا الرقم اثنتي عشرة مرة في صفحات عدة من المفكرة نتيجة لاثنتي عشرة عملية حسابية مرتكرة على اثنتي عشرة مجموعة مختلفة من المسلمات الأساسية التي صاغها بي. أن.

كان هناك نص صغير جداً في المفكرة يوضح أن كل عملية حسابية تستند إلى مجموعة مختلفة من المعتقدات المرتبطة ببداية حقبات مختلفة وفقاً للوروزنامة الهندوسية ولأنظمة قديمة أخرى، ويشير النص

أيضاً إلى أن بي. أن. أمضى الأشهر الأخيرة من حياته - حتى وفاته كما يبدو - في تحليل ومقارنة الروايات القديمة العائدة إلى حضارات من مختلف أنحاء العالم.

وفي الصفحة الأخيرة، دون بي. أن. ملاحظة شخصية:

إن طاقة روحي وجوهرها موجدان في هذه الصفحات. وبما أنني انتقل وأغادر هذا الجسد، سأنتقل جوهرى إلى جسد طفل شيليا الذي لم يولد بعد. سيبقى جوهرى داخل حفيدي وعلى صورته، ويجسد في أثناء وجود هذه المفكرة الذبذبات والمعرفة القديمة التي يسعى إليها العالم. وهكذا، أكون قد حققت قدرى وغاية حياتي، وأنا أسلمك الآن يا من تقرأ هذه الكلمات مهمة التحول الكوكبي.

بي. أن. ماهاراز

علم ماكس على الفور أن عليه مرافقة سي. دي. إلى إيزابا إذا أراد الحصول على المفكرة. فبطريقة ما، أدرك بي. أن. قبل وفاته أن جوهره سيكون أمراً ضرورياً في حدث مستقبلي.

وكان على ماكس دراسة الأرقام في وقت لاحق، محاولاً تبيان معناها، ولكن اتضح له أن بي. أن. سيكون حاضراً من خلال المفكرة وحفيده، ويتحقق بهذه الطريقة هدفه بجمع ثلث الاثني عشر كما طلب صاحب كل الإجابات.

فالتقط أنفاسه للحظات، وخرج إلى ضوء الشمس على الشرفة حيث كان غوبتا في قبولة، وشيليا تقوم بأعمال التنظيف.

"سأصطحبك معي نزولاً عند طلبك"، أعلن، "هل يمكنك الإعداد لسفر كليهما إلى مكسيكو سيتي في التاسع أو العاشر من آب/أغسطس؟ سنلتقي بكما هناك، وننقلكما إلى إيزابا جواً أو براً، إلى موقع شعب المايا القديم الذي وضع روزنامة المايا".

جلس على كرسي، وأومأ إليها بالجلوس أيضاً. وعندما جلست، أضاف:

"طلب مني جمع اثني عشر شخصاً مميزين في ذلك المكان في 11 آب/أغسطس على أن يكون بي. أن. أحدهم. وبعد قراءة مفكرته، اتضح لي أن سي. دي. هو الآن أحد الاثني عشر لأن طاقة جده موجودة فيه الآن". وتوقف عن الكلام لرؤية رد فعلها حيال هذا الأمر. فابتسمت شيليا.

"لم يقل لي والدي أبداً إنني سأقوم بهذه الرحلة، ولكنه ألمح في تلك الأيام الأخيرة إلى أنني قد أدعى إلى حضور حدث عظيم ويُفترض بي الاستعداد إذا ما دُعيت إلى ذلك. سأعد سي. دي. للرحلة، ويشرفني أن أشارك في تجمّعكم. أنا على ثقة أن خيراً عميماً سينجم عن ذلك".

أمضى ماكس بقية المساء يلعب مع سي. دي. وشقيقته الصغرى نسخة محلية عن لعبة النقاط القضيان. كان سي. دي. يتمتع بقدرة ممتازة على التحكم بحركاته الجسدية، ويفوز على الدوام، ويضحك كلما قام ماكس بتحريك قضيب ويضغط بإصبعه بقوة على معدة ماكس، مُعلماً إياه أنه فقد دوره.

بعد كل لعبة، يسلم القضيان إلى ماكس لعدّها. وبالرغم من عدم قدرة سي. دي. على العد بنفسه، كان في استطاعته أن يعرف أنه فاز على ماكس من خلال النظر إلى حزمة القضيان التي جمعها كل منهما. كان هذا الأمر يجعل سي. دي. أيضاً على الضحك.

وعندما حان الوقت للذهاب إلى السرير، عانق ماكس وقبّله بقوة، وهو أمر لم يجتره ماكس من قبل. إن طاقة حبه غير المشروط

إيزابا

تموز/يوليو 2012

تقع بلدة إيزابا القديمة على بُعد تسعة كيلومترات فقط من مدينة تاباشولا الحديثة، وهي مركز تجاري لإقليم شياباس في المكسيك القائم في أقصى الجنوب شمال غواتيمالا.

ويقيم والد خوان أكوستا، مانويل، خارج تاباشولا على بُعد ثلاثة كيلومترات من حديقة شعائر الرقص القديم حيث الأطلال الأثرية الأكثر شهرة في إيزابا. وزراعة البنّ مهيمنة على تلك المنطقة، ولكن الكاكاو هو المصدر الرئيس للدخل في إيزابا.

كان في استطاعة ماكس أن يشم رائحة البنّ والكاكاو عندما وصل. لقد قرر الذهاب بمفرده للقاء مانويل والإعداد لجمع الاثنين عشر. لقد أبلغه الدب الراكض أن صاحب كل الإجابات يريد بدء اللقاء في 11 آب/أغسطس عند شروق الشمس.

قبل حلول ذلك اليوم، كان عليه العثور على فندق في تاباشولا حيث يمكن للجميع تمضية الليلة السابقة للاجتماع.

والفندق الجديد الوحيد المتوافر في تاباشولا حديث نسبياً. فأجرى ماكس الحجوزات ما إن وصل إليه وتدبّر أمر استئجار عربتي نقل مع سائقيهما المحليين.

ذكرت ماكس بالمشاعر التي انتابته لدى اختبار حالة النورانية في مكتب الطبيب غراي في تاريتاون، نيويورك، منذ خمسين عاماً تقريباً.

وفي أثناء محاولته الاستسلام لنوم سارٍ ومُرَضٍ، لم يتمكن ماكس من غمالك نفسه عن التفكير في التالي: أخيراً، سأعرف الغاية من حياتي.

سي. دي. هو الفرد المفقود من الاثنين عشر.

وبطريقة ما، أعتقد أنه أكثر من ملك أموراً يعلمنا إياها.

في اليوم التالي، جدّ في طلب مانويل الذي كان في الثمانين من عمره تقريباً، ولكنه يتمتّع بنشاط شاب. كان لا يزال يزرع أشجار الكاكاو في أرضه الصغيرة ويتوجه كل يوم إلى موقع إيزابا القدم - على غرار آبائه وأجداده - لفتح وإغلاق مدخل حقل شعائر الرقص والآثار التاريخية المبعثرة وأشياء أخرى من صنع الإنسان يقوم السياح بزيارة الموقع لمشاهدتها.

كان مانويل يقبل بعض الإكراميات من السياح، علماً أنه قيم لهاري لا يتلقى أي أجر وفقاً لتقاليد أسلافه. ولم يكن يدعو لآسياد المايا القدماء إلا في إيزابا لدى فتح الموقع وإغلاقه؛ فهو يحضر الاحتفال الديني الكاثوليكي في حياته اليومية، مفسراً ذلك أنه لا يجد أي تعارض بين الاعتقاد بآسياده القدماء واعتقاده بالفادي.

وبما أن مانويل يتكلم لغة إنكليزية ضعيفة، تحدث إليه ماكس بالإسبانية، شارحاً له طبيعة زيارته وعزمه العودة في 11 آب/أغسطس لإقامة احتفال خاص مع الاثني عشر.

فقال مانويل لماكس إن 11 آب/أغسطس هو تاريخ مُبجّل في ذلك العام كونه بداية الأيام اللفة والثلاثين النهائية "للحب؛ النشاط" التي تنتهي في 21 كانون الأول/ديسمبر 2012؛ اليوم الذي يُعتبر نهاية روزنامة المايا.

لقد أدرك ماكس أكثر من أي وقت مضى أنها ليست نهاية عادية، بل نهاية مجموعة من الروزنامات التي شملت ستة وعشرين ألف عام. وفي أثناء مرافقة مانويل له في جولة في أرجاء الموقع القديم، كشف له أن علماء الآثار اكتدوا مؤخراً أن إيزابا كانت بلدة مزدهرة قبل آلاف السنوات ويقطن فيها أكثر من عشرة آلاف شخص. وأظهرت الآثار التاريخية أن الروزنامة الممتدة وضعت في هذا المكان

وتُمت مشاطرتها مع بلدات أخرى في مختلف أنحاء شياibas، وفي قسم كبير من أميركا الوسطى والشمالية والجنوبية.

وبينما كان ماكس يصغي بسكون مستغرق، شرح مانويل قائلاً إن شعائر الرقص التي جرت في هذه الحديقة مرتبطة بالروزنامة عينها. ووفقاً لمعتقدات المايا، يجب حدوث تبدل في الوعي في 21 كانون الأول/ديسمبر المحوري إذا أراد البشر الاستمرار إلى ما بعد "نهاية الزمان".

وبالرغم من أهمية ما يقول، كان يتحدث بهدوء كما لو أنه يخاطب فرداً أو مجموعة في جولة سياحية. وفي أثناء قول ذلك، استعاد ماكس فجأة صلة ذهنية كان قد فقدتها منذ رحلته إلى الهند.

لقد رأى في عين عقله سلسلة الأعداد الأساسية التي ظهرت تكراراً في مفكرة بي. أن. ماهارز؛ 21122012. ولكنه لم يجد الصلة المباشرة لأنه أميركي، علماً أن تلك الأرقام تعكس تاريخاً محددًا في كل مكان من العالم؛ 2012/12/21.

21 كانون الأول/ديسمبر 2012.
لا يمكن أن يكون الأمر مصادفة.

فبطريقة ما، يجب على الاجتماع أن يُعقد في الحادي عشر من آب/أغسطس لتبدأ سلسلة تنتهي في 21122012، ويجب أن يكون الاثنا عشر حاضرين.

وألقى ماكس نظرة سريعة في أرجاء الموقع المبعثر للتحقق من وجود مكان ملائم لاجتماع الجميع. وفكر في حقل شعائر الرقص، ولكنه أدرك أنهم لن يتمكنوا من إحاطته بجبال كيلا يقترب السياح من مكان الاجتماع، كما أنه لم يكن يملك أي فكرة عن مدة الاجتماع، ويعلم أنه من الأفضل عقده بدرجة معينة من الخصوصية.

وحقق في البعيد إلى البركانين القائمين إلى الشرق؛ بركان تاكانا وبران تاجومولكو الأكثر ارتفاعاً. وسأل مانويل عن إمكانية وجود مكان للالتقاء عند أسفل هذين البركانين.

فابتسم مانويل.

"بالطبع، هناك مكان"، أحاب بلغته المكسيكية، "أتعني. هناك أيضاً كهف اعتاد شعبي القدم القيام باحتفالات فيه لثيل القوة. لم نعد نتذكر الشعائر أو جداولها، ولكن أساطيرنا تخبرنا أن حقل شعائر الرقص موجه بحيث يكون نور الشمس فوق بركان تاجومولكو مباشرة لدى حدوث الانقلاب الشمسي الشتوي".

وبعد عشرين دقيقة من التنقل بسيارة الجيب المستأجرة، وعشرين دقيقة أخرى من السير على الأقدام، وصل ماكس ومانويل إلى براح على الهضبة بقرب كهف، وتمكننا من رؤية حقل شعائر الرقص والتماثيل القديمة إضافة إلى المحيط الهادئ إلى غربي المكان على بُعد خمسة عشر ميلاً.

"أجل، إنه ممتاز". أكد ماكس بعد أن حرك المنظر أحاسيسه: "هل توجد طريقة للتأكد من أن أحداً لن يزعمنا عندما نلتقي في آب/أغسطس؟".

"لا تقلق". أحاب مانويل: "سأقف عند أسفل الدرب وأمنع أي شخص من المرور. لا أحد يعيش في أعلى البركان، لذلك لن يكون عليك القلق حيال التعرض للإزعاج".

وعرض ماكس على مانويل التعويض عن الوقت والجهد اللذين بذلهما، ولكن الرجل المسن ابتسم وهز رأسه فحسب.

"يكفيين أن أرى ابني خوان"، قال، "إضافة إلى ذلك، أشعر في صميمي أن احتفالك مرتبط بغايي الخاصة. نحن نخدم القدر ولا حاجة إلى المال للتعويض عما أقوم به بحب وامتنان".

فابتسم ماكس للرجل الذي وقف أمامه.

"أنا ممن لك حقاً". قال: "لست واثقاً بقدرك أن هذا الاحتفال سيكشف المقدّر، ولكنها ستزودني بمؤشر ما لرحلتي الطويلة وتشرح التزامات والمصادفات التي وجهت حياتي". وعانق مانويل.

في تلك الليلة، لم يتمكن ماكس من النوم بسبب انفعاله الشديد. ولم يستطع حمل نفسه على التصديق أن العالم سينتهي في 21 كانون الأول/ديسمبر، ولكنه لم يستطع إنكار وجود أمر هام مرتبط بذلك التاريخ. لقد حدثت العديد من الأمور التي لا يمكن شرحها، وكلما اقترب من ذلك التاريخ اقتربت لحظة الحقيقة.

ماذا لو استمرت الأمور في التسارع؟ قال في نفسه في أثناء استلقائه على السرير، محققاً إلى السقف. ما المفاجآت التي لم يكشف النقاب عنها بعد؟

تزامن تلو تزامن، بدءاً بلقاءه الصاحب عاريا وصولاً إلى لغز العملية الحسابية النهائية لبي. أن، ماهارز، ومجموعة المصادفات العديدة التي بدت مستحيلة وأوصلت ماكس إلى إيذاها بالرغم من كل شيء.

وبعدُ العد النهائي المؤدي إلى نهاية روزنامة المايا حمل ماكس إلى احتساب الأرقام في رأسه باضطراب.

كان يتبادل رسائل البريد الإلكتروني مع صن، وهو خبير في علم معاني الأعداد، وذلك منذ الكشف عن الاسم الأخير بين الأسماء الاثني عشر. فالعمليات الحسابية الأساسية لصن مذهلة ليس بسبب وجود كل الأرقام الرئيسية التسعة بل بسبب بقاء التناغم بطريقة ما حتى مع غياب بي. أن.

الفصل التاسع والعشرون

المبعوث الثالث عشر

آب/أغسطس 2012

كان ماكس مُنهكاً وعصبيّ المزاج.

فأسافر إلى مكسيكو سيتي مساء 9 آب/أغسطس لاستقبال سي.

دي. وشيلبا، ورافقهما إلى تاباشولا على متن طائرة صغيرة تُحدث

ضحكاً بحيث إنه وشيلبا لم يتمكن من التحدث.

ووجد سي. دي. المغامرة برمتها ضرباً من ضروب المرح. كان

شديد الإثارة، ويقفز مُطلقاً صيحات مرتفعة، ويشير إلى كل مكان عبر

نافذة الطائرة. لقد مرّ وقت طويل على بذل ماكس كل هذا النشاط،

ووجد الأمر مُرهقاً.

كان مُمتناً أكثر من أي وقت مضى لتمكين شيلبا من المشاركة في

الرحلة.

وعندما وصلوا إلى الفندق في تاباشولا، كان الآخرون قد

استقروا. لقد قرر إيرول أن لا معنى للقيام بهذه الرحلة الطويلة من دون

تخصيص يوم أو يومين لزيارة مواقع مُبجلة أخرى في أرض أهرامات

المايا القديمة. لذلك، وصل في السابع من آب/أغسطس وشعر أنه في

وطنه برفقة خوان ومانويل.

وناقش مع شو صن باك أيضاً بعض الأعمال. وبالرغم من كونه

أكبر سنّاً بمقدار الضعف، لم يتمكن إيرول من رفع أنظاره عن ميلودي.

كانت هناك ثلاثة أرقام متطابقة فقط، وأحدها يتشاطره تشيل
كامبيستر وبسي. أن. اللذان يقابل اسم كل منهما أربعة أرقام. وبوفاة
بسي. أن. لم يعد هناك تطابق.

ويقابل اسم كل من ماريا وصن تسعة أرقام، ولكنها أرقام مختلفة،
ويبلغ مجموع الأرقام المقابلة لاسم ماريا 189 ولاسم صن 108، وهو
رقم هندوسي مُبجل. وهناك تطابق وحيد آخر بين الطبيب آلن
وميلودي اللذين يقابل اسم كل منهما رقمين. ويرد العدد 2 ثلاث
مرات في الرقمين المقابلين لاسم ميلودي، وهو يمثل "طاققتين" أكثر
تكاملاً مع طاقة المجموعة مقارنةً بالطبيب آلن، وهو الشخص الوحيد
غير المؤمن بين الاثني عشر.

لقد اتضح أن هذه الأعداد صُممت بعناية، إن لم تكن مرتبطة
بالقدر، استناداً إلى علم معاني الأعداد.

واستمر ماكس في العودة إلى 21122012 وإلى التعاقب الختم
للرقمين 21 و20 اللذين يفصل بينهما الرقم 12. فبطريقة ما، إن الاثني
عشر، وروزنامة المايا، وعمليات بسي. أن. الحسابية، مرتبطة ببعضها
بعضاً.

وببقائه مستيقظاً، علم ماكس أنه لن يرتاح قبل أن يجد تفسيراً
لصلتي الطاقة والعدد القائمَتين بين الأشخاص، والتواريخ، ومهمته
التمثلة بجمع الاثني عشر في إيزابا.

"تتحرك كالماء وتسطع كجوهرة"، أسر لماكس.

وكان يوكو وماريا قد أصبحتا رفيقتي سفر في الرحلة إلى سان لورنزو دي شيباس. وتواصل خوان ومانويل مع الدب الراكض ويوسكي، متشاطرين صوراً وقصصاً عن عائلاتهم. واصطحب مانويل الدب الراكض إلى موقع اللقاء ليريه الكهف ويسأله عما إذا كان مناسباً أم لا.

كان الدب الراكض يتكلم الإسبانية بما يكفي للتواصل مع الآخرين، ورافقهما خوان ليكون مترجماً لهما عند الضرورة. فوافق الدب الراكض على الموقع، واشترى حاويات ماء عدة، وطلب من خوان تأمين شطائر لأخذها معهم في صباح الحادي عشر من آب/أغسطس، ثم قال:

"يجب أن نلتقي عند شروق الشمس، ولكن لا فكرة لدي عن المدة التي ستمضيها هناك أو ما الذي سيحدث. من الأفضل أن نكون مستعدين".

وعبر تشيل كامبيستر أكثر فاكثراً عن ثقته أن لقاء الاثنين عشر سيؤدي إلى الهجيء الثاني للفاذي، وأن ذلك هو كل ما يمكن أن يقوله. وكون خوان المترجم، استمتع الريونتش بأحداث طويلة مع مانويل والدب الراكض عن طبيعة ممارساقما وشعائرها.

وبقي آلن تايلر متشككاً في أفراد المجموعة كافة كونه غير مؤمن، وأقر أنه يرتاب كثيراً في ما يقوله الدب الراكض. واعترف لماكس أنه لم يكن راعياً في حضور الحدث حتى اكتشف أن إيزابا مجاورة لبعض الأماكن الرائعة لركوب الأمواج، وأن إيرول سيسدد نفقات السفر. لذلك، عزم على تمضية بعض الوقت لدحر الأمواج.

"إضافة إلى ذلك"، قال بلطف، "أنت تروق لي يا ماكس، ولا شائبة في هذه المغامرة. ستكون ممتعة على الأقل!".

في مساء العاشر من آب/أغسطس، استضاف ماكس عشاء في الفندق. وكرر الرواية الكاملة لاختباره حالة التورانية، وسرد التفاصيل الجديدة التي اكتشفها في الهند وفي مفكرة بـي. أن. ماهارز. كانت شيلبا موجودة وتعني بابنها، فابتسمت ابتهاجاً عندما تحدث ماكس عن ذكاء والدها.

وفي أثناء العشاء، أعاد ماكس صلبته بماريا. كانت نظرة سريعة، ولكن ماكس ضاع مجدداً في أغوار جماله الذي كان لا يزال أخاذاً، وافتن بعذوبة صومها وسلوكها الهادئ.

فبادلته ماريا النظرة، ولكنه كبح جماح رغبته في التحدث إليها أثناء إكمال شرح الظروف التي حملت سي. دي. على تمثيل بـي. أن. لا سيما وأن الدب الراكض كان شديد الوضوح بوجود حضور الاثنين عشر ليقوم صاحب كل الإجابات بمباركة الاحتفال. وبالرغم من أن ماكس لم يكن أحد الاثنين عشر، فهو سينضم إلى الاحتفال بصفته قيماً على مفكرة بـي. أن.

"عليك أن تنضم إلينا في البداية على الأقل"، أكد الدب الراكض، "يبدو من الواضح أن بـي. أن. ماهارز يشعر أن سي. دي. سيمثله، ولكن المفكرة هامة أيضاً، وبما أنه ليس في الهند فهي تخصك". ثم اختتم السدب الراكض حديثه قائلاً: "إذا لم تتدفق الطاقة، يمكنك المغادرة".

لم يكن في استطاعة أي شخص آخر الحضور لأنه وفقاً للدب الراكض، إن طاقة الاثنين عشر - الاثنين عشر فقط - ضرورية لحدوث أي أمر.

وأدرك ماكس مع بعض الاضطراب أن عليه الاعتناء بـي. دي.

وصلت المجموعة إلى أسفل بركان تاجومولكو عند الساعة الرابعة وخميس وخمسين دقيقة من صباح اليوم التالي. فالتفاهم مانويل هناك حاملاً مصباح بطارية بيده، وقادهم بخطى ثابتة إلى التراح القائم عند سفح التلة بجانب الكهف. وغادر بعد ذلك ليقيم حارساً عند أسفل الدرب كما سبق له أن وعد.

وكان الدب الراكض أيضاً هناك في وقت مبكر، ودعا الجميع للتجمع حول نار أعدّها.

"يجب الجلوس في دائرة حول النار. لا تزال أماننا ثلاثون دقيقة قبل شروق الشمس، وأرجو أن يقوم كل واحد منكم بالتضرع وفقاً لطريقته الخاصة بسكون خلال هذه الفترة.

"فإذا قضى التقليد الذي تتبعونه بالتهويد، يمكنكم إنشاء التهويدة ولكن بأكثر قدر من الهدوء. أنا على ثقة تامة بأن كلاً منا يمثل إحدى القسائل الاثنتي عشرة ذات البشرة الملونة، وأنا موجودون هنا لتلقي توجيهات. لا أعلم على أي صورة ستأتي هذه التوجيهات، ولا أعلم المدة التي سنمضيها هنا".

"قد لا نبقى هنا أكثر من ساعة أو ساعتين، ولكننا قد نمكث طسوال اليوم. وبصرف النظر عن الوقت الذي سيتطلبه الأمر، سيكون من الغباء لنا الانصراف قبل أن نلتي تضرعاتنا، لا سيما وأنا قادمون من أماكن بعيدة".

وتوقف قليلاً، ونظر إلى أفراد المجموعة كافة واحداً تلو الآخر وصولاً إلى آخر فرد في الحلقة. "كلنا متحدثون من حضارات مختلفة، وبلدان مختلفة، ومعتقدات مختلفة، ولكن يتضح لي من الوقت القصير الذي أمضيته مع كل منكم أنكم جميعاً عباد للرحمن. نعيش في زمن

السعد الكبير والأسى الكبير، لذلك أقترح أن نتضرع - ليس لأنفسنا أو لأشخاص محددين - بل لكل الناس والمخلوقات".

"لا أعتقد أنه تم اختيارنا عشوائياً، ولكننا هنا لغاية محددة... إذاً، نتضرع لخالقنا".

لم يسبق لماكس أن تضرع في حياته، ويعلم أن الطبيب آلن وإيرول هما على حال ماكس أيضاً، لذلك حدّق الثلاثة إلى الفضاء.

لم يكن سي. دي. يعرف ما الذي يتحدث عنه الدب الراكض، ولكن ماكس طلب منه التزام الهدوء والعتور على بعض غصينات الأشجار ليقوم بليتها واستخدامها لوضع علامات على التراب. وهكذا، أمضى الشباب وقته يرسم بحدوء، ويحوم ما رسم، ويرسم بعد ذلك صور قضبان.

بعد مرور ما بدا أنه وقت طويل، أشرقت الشمس وسطعت في وجوههم.

فنظر ماكس حوله ولم يتحدث أي أمر غير عادي. كان الريبونش ينشد بصوت منخفض على غرار الدب الراكض. وارتسمت على وجه شو صن بأك نظرة ملل، ولكن ماريا وبوكو كانتا في ما بدا أنه استغراق تأملي. وكان خوان وميلودي ويوسكي وتشيل مكتفين بالجلوس وعدم القيام بأي شيء، فحسداهم على هدوئهم.

وبعد مرور ساعة على الأقل، وقف الدب الراكض وسأل عما إذا كان أحدهم جائعاً أو عطشان. وبما أن أحداً لم يتناول فطوره بعد، سرّ الجميع بالشطائر والطامال المكسيكي المكسو بدقيق الذرة، والتي كان يحتفظ بها الدب الراكض في حقيبة الظهر. وبقوا في حلقة في أثناء تناول الطعام.

ومرت ساعة أخرى من دون ظهور أي علامة. ولاحظ ماكس أن الطبيب آلسن ينظر مطوّلاً إلى المحيط الهادئ، مفكراً بلا ريب في ركوب الأمواج الذي يُغفله. وبعد قليل، التفت إلى الدب الراكض وقال:

"كسم من الوقت يجب علينا الجلوس هنا؟"، سأل ذلك، ثم تابع: "أشعر أن شيئاً لن يحدث".

ولم يبدُ التأثر على وجه الأميركي من السكان الأصليين عندما أجاب:

"لا أعرف، ولكن من الواضح أنه يجب علينا البقاء مزيداً من الوقت. قد لا تعي حدوث تغيير ما، ولكن في استطاعتي أن أؤكد لك أن طاقات هذا المكان تتبدل. يجب علينا نحن الاثنين عشر الجلوس ببساطة كي تبلغ طاقاتنا حالة من الاتزان. كلنا قادمون من مصدر واحد، وجمعُ له هدف، رجاء، تحلّ بالصبر. لقد مضت على وجودنا هنا ساعتان فقط. في بحث رؤيويّ، من الضروري أحياناً تمضية يوم بأكمله".

وعندما رأى نظرات التنبّه على بعض الوجوه، أضاف: "ولكن نكون بحاجة إلى يوم كامل بل إلى ساعات إضافية عدة".

وعاد الدب الراكض إلى التأمل.

كان سي. دي. يلزم الهدوء على نحو مثير للدهشة، ولكنه بدأ بدغدغة ماكس ومشاظرته ألعاباً تستلزم انتباهه التام. فشعر ماكس بالارتياح وليس بالغضب لأنه لا يستطيع مواصلة الجلوس من دون القيام بأي شيء. لذلك، منحه سي. دي. بعض اللهو السارّ.

بعد قليل، جال إيرول، وشو صن باك، والطبيب آلسن، وآخرون، في المكان لإراحة سيقانهم والنظر حولهم. لم يرغب أحد عن الحلقة لأكثر

من عشرين دقيقة، ولم يكن هناك أقل من تسعة أشخاص من الاثنين عشر ضمن الحلقة في أي وقت من الأوقات.

فأمل ماكس أن تكون مدة الانتظار كافية.

قبل الظهر مباشرةً، لاحظ هبوب ربح غريبة.

ورأى أولاً أغصان الأشجار تتحرك، وهبّ بعد ذلك إعصار

صغير فوق جَمَر النار مما أدى إلى توهجها ومحوها بعد ذلك.

فتسمر الدب الراكض في مكانه.

ونظر بعد ذلك إلى الريونش، ومن ثم إلى خوان وإيرول. كان

كل من شو صن باك، وماريا، ويوكو، وميلودي، ويوسكي، وتشيل،

وأخير آلسن وسي. دي. مسمرين في أماكنهم.

لقد لزموا الصمت بأجمعهم، محدّقين إلى المكان حيث كانت النار

مشتعلة. وساد الراح هدوءٌ وبدا الأمر كما لو أن الزمن توقف.

وطرف ماكس بعينه ولكنه لم يرَ أي شيء. وهدأت الريح مجدداً،

وساد صمت تام. فظن أنه يفترض به الشعور بحماسة يشوها القلق

حيال كل ما يحدث، ولكنه كان هادئاً أيضاً، مما منحه شعوراً بالفضول

والعجب.

وألقى بعد ذلك نظرة سريعة إلى الاثنين عشر ورأى الدموع تنهمر

على خدودهم. وقوَّطع الصمت بنشجات بكاء خفيفة صادرة عن كل

منهم.

كانت دموع فرح كما يبدو.

أخيراً، وبعد ساعات من الزمن، شعر ماكس بحضور يدخل الريح.

هل يمكن أن يكون ذلك الذي كنا في انتظاره؟ قال في نفسه. هل

انتهى الأمر أخيراً؟

"أجل، أنا من تنتظرون"، قال صوت عميق وهادئ تردد صدها في المكان.

"يعتبرني كل منكم متممًا لقدره... وأنا في الواقع متمم لكل هذه المعتقدات... بحضوركم أنتم الاثني عشر، لقد أحدثتم دوامة من الطاقة تسمح لي بدخول عالمكم، وبحث لأقول لكل منكم ما الذي يجب عليكم القيام به لإنقاذ ذلك العالم. أنتم جزء من ميثاق قديم جرى قبل آلاف السنوات لضمان استمرار هذا الكوكب والجنس البشري.

سيسير كل منكم إلى الكهف القائم بجانب هذا البراح، ويتلقى ما الذي يجب عليكم القيام به لإتمام التوقعات القديمة، وضمان عدم انتهاء عالمكم في هذه الأزمة الأخيرة".
وساد الصمت بعد ذلك.

* * *

كان إيسرول أول من دخل الكهف، وخرج بعد دقائق وعلى وجهه سمات رزية لعزم فائق.

بعد ذلك، تلاه يوسكي، ومن ثم شو صن باك، والطبيب آلن، وتشيل، وماريا، ويوكو، وميلودي، لمدة دقيقة واحدة.

وبقي الريبونش في الكهف طوال ساعة كاملة، وكان الغسق قد حل عندما ظهر خوان، وحل الظلام عندما عاد الدب الراكض.

لم يتبق سوى سي. دي.

فراققه ماكس إلى المدخل وأراد البقاء خارجاً، ولكن الهندي الشاب سحبه إلى الداخل.

فدخل وشعر بانفعال وسلام. وبدأ سي. دي. بالضحك عندما كلمه الصوت وكلم ماكس.

"أنت فتى الحب"، قال، "عليك أن تتعلم هذا العالم الكثير. لقد احسب جدك بأرقامه أن نهاية الكون ستحدث بعد مئة وثلاثين يوماً بدءاً من تاريخ اليوم. إنه أمر صحيح في الواقع، ولكن لم يكن جدك قادراً على معرفة أن نهاية كون قد تكون دلالة على بداية كون آخر. لقد بدد البشر مواهبهم الثمينة، وسيتهي العالم بالفعل إذا لم يبدلوا طرائقهم ويحولوا وعيهم.

"تمثل مهمتك - على غرار مهمة الأحد عشر الآخرين - بالعودة إلى منزلك والبحث عن القيمة الأسمى. عُد مجدداً إلى الأماكن الأكثر تبحيلاً التي سافرت إليها أو أقمت فيها في هذه الحياة البشرية. سيقوم ماكس بمرافقتك، بالرغم من أنه ليس من بين الاثني عشر، فيواسطته قدمت مع الآخرين.

أذهب الآن وابتهج لعلمك أنك أتممت الجزء الأول من وعدك. أنت خدام مميز للعباد، يا سي. دي. وأنا أباركك إلى الأبد".

وساد الصمت، وأدرك ماكس أنهما باتا بمفردهما مجدداً. لم يعد المبعوث الثالث عشر حاضراً.

فأخذ ماكس سي. دي. بيده وأخرجه إلى البراح حيث كان الآخرون جالسين مهذوء، ويحاولون استيعاب هذا اللقاء.

فقارنوا بين ما قيل لكل منهم، وتحققوا من معتقداتهم. لقد تلقوا رسالة سي. دي. نفسمها، وشعر كل منهم أنه مبارك لأنه شارك في الرحلة.

وأمل كل واحد منهم أن يكون هو الذي يعثر على القيمة الأسمى ويقوم بإعادتها. لقد دخلوا البراح في ذلك الصباح مُدركين أن ماكس هو من قام بجمعهم. ولكنهم باتوا متحدين ويتقاسمون هدفاً مشتركاً ورسالة مشتركة.

فنزلوا من الجبل معاً في الظلام حتى رأوا ضوء مصباح. فرحب بهم مانويل من دون طرح أي أسئلة، وكانوا مجموعة صامئة عادت إلى تاباشولا.

* * *

في أثناء العشاء، أخبر ماكس شيليا عن خبرة سي. دي. وعما سمعه في الكهف. وشرح أيضاً قائلاً إنه من الضروري بالنسبة إليهم العودة إلى إيزابا في كانون الأول/ديسمبر.

وبالرغم من وجود متشككين في بادئ الأمر، كان الجميع متلهفين لرحلة العودة، بمن فيهم الطبيب آلن. وكانت شيليا قلقة حيال عدم تمكن سي. دي. من البحث عن القيمة الأسمى، ولكن ماكس طمأنها.

"سأعود وأقدم المساعدة، ولكنني أشك في أن يكون أي بحث فعلي ضرورياً. أعتقد أن القيمة الأسمى قد حُدد مسبقاً من سيعثر عليها، وإذا أريدَ لسي. دي. النجاح في ذلك، فالقيمة الأسمى ستأتي إليه".

عودة إلى الأماكن الأكثر تيجيلاً

أب/أغسطس 2012

بعد يوم من التأمل في ما حدث، اجتمعوا مجدداً لتناول العشاء؛ هذه المرة لمقارنة الملاحظات والخطط المستقبلية.

كان هناك عنصر واحد مشترك في توجيهات المبعوث الثالث عشر إلى كل من الاثنين عشر.

"عُد مجدداً إلى الأماكن الأكثر تيجيلاً التي سافرت إليها أو أقمت فيها في حياتك. سيقوم ماكس بمرافقتك، بالرغم من أنه ليس من الاثنين عشر، فبواسطته قدمت مع الآخرين".

وحالما انتهوا من تناول الطعام، جلس إيرول مع ماكس ووضع برنامج عمل يتمكن بواسطته من تمضية عشرة أيام على الأقل مع كل واحد من الاثنين عشر.

"لدينا بالتحديد مئة وثلاثون يوماً، من ضمنها اليوم"، أشار إيرول، "إذا أمضيت عشرة أيام أو أحد عشر يوماً مع كل منا، يكون أمامك وقت كاف للجميع. يجب علينا حجز رحلتك على الفور، ويجب علينا تشاطر خطط الرحلة التي سيختارها كل منكم للعودة إلى تلك الأماكن حيث توجد فرصة كبيرة للعثور على القيمة الأسمى". وعرض بعد ذلك تسديد نفقات الرحلات.

"أنست شديد السخاء، يا إيرول"، قال ماكس ذلك شاعراً بالارتياح من التحرر من عبء التكلفة، "لا أعرف كيف كان في إمكاننا تدبّر الأمر من دونك".

"تنفيذ مهمتنا لا يقدر بثمن"، قال إيرول بصوت كئيب، "ربما كانت الرسالة التي سلّمتي إياها المبعوث الثالث عشر الأكثر ترويعاً. قال إن العالم لن يدخل مرحلة التبدل المقدّر حدوثها إذا فشلنا في العودة مع القيمة الأسمى. لن نهلك على الفور إذا فشلنا، ولكن الفوضى العارمة - التآكل البيئي، العنف والحروب، الفقر، الجشع، والخوف الذي ساد إلى حدّ كبير في القرنين العشرين والحادي والعشرين - ستواصل حتى يُدخل الكوكب نفسه في فترة من الرقود يقوم خلالها البشر بتدمير أنفسهم في نهاية المطاف. سيؤدي هذا الأمر إلى ستة وعشرين ألف عام من الظلمة قبل انبثاق البشر من جديد لإصلاح الضرر الذي أحدث".

"لم يشاطرن المبعوث مع سي. دي. النتائج المروّعة للفشل". قال ماكس مقاطعاً.

"لماذا عليه القيام بذلك؟"، سأل إيرول، "فسي. دي. هو البريء الحقيقي بيننا. إذا كان عليه العثور على القيمة الأسمى، فمن خلال الجاذبية البحتة لشخصيته. وقيام القيمة الأسمى بالعثور عليه هو الأمر الأكثر احتمالاً.

إذاً، لا يحتاج سي. دي. إلى حافز إضافي. لذلك، أقترح أن نتدبّر أمر سفرك بحيث يكون سي. دي. برفقتك في المرحلة النهائية. يُفترض بك السيد بخوان، كما أظن، لأنه قريب من الأماكن المبحّلة هنا في شيايباس ومن مواقع أخرى ربما في المكسيك وغواتيمالا. بعد ذلك، ضع خططاً للسفر مع آلن وتشيل إلى كاليفورنيا.

دعني أتحدث إلى الآخرين للتحقق من المواقع التي سيختارونها، فأتمكن من القيام بالتدابير الضرورية لأهلك".

كما ثبت في النهاية، لم يكن ماكس بحاجة إلى الأيام الأحد عشر بأكملها للسفر مع بخوان.

لقد سبق لخوان أن زار تشيكن إيترا، والأهرامات الأكثر تبحراً في شيايباس ويوكتاتان، وبعض الواحات العجيبة المخبّأة في الراكين المحيطة بإيترايا. كانا يتفقدان أحياناً سيراً على الأقدام مع والد بخوان، مانويل، الذي رافقهما طوال الرحلة.

وبما أنهم لم يكونوا يعرفون بالتحديد ما الذي يبحثون عنه، كانوا طوال الوقت متيقظين لأي إشارة أو طاقة لا يمكن تفسيرها، أو شخص قال أمراً ما أو قام بأمر ما خارج المألوف.

لقد تعاضدوا ولكنهم لم يبحثوا على القيمة الأسمى. وخير ماكس غربة الراكين، وشعر بحضور عبق الحياة القديمة عند أسفل الأهرامات، ولكن أحداً لم يبد أنه مرشح محتمل.

وعاد ماكس إلى دانا بوينت وعلم أن الطبيب آلن أمضى شبابه في أوهايو بالقرب من العديد من التلال الصغيرة حيث دُفن الأميركيون الأصليون القدماء. والطبيب آلن متسلّق جبال أيضاً، وزار برفقة ماكس العديد من القمم خارج آسبن، كولورادو، حيث أمضى فصول الشتاء وبعض فصول الصيف في صباه. ولكن، بالرغم من تمضية الأيام الأحد عشر في كولورادو، وأوهايو، وأثناء أخرى من الغرب الأوسط، لم يجدوا أي أثر للقيمة الأسمى.

وبما أن الطبيب آلن أمرّ لماكس أنه شاهد يوفو منذ عدة سنوات في مسقط رأسه في ولاية أوهايو، كان يعتقد أن القيمة الأسمى قد

تكون كائنًا من عالم آخر. ولكن ذلك لم يقدم أي مساعدة، لقد استمرا في عدم معرفة ما الذي يبحثان عنه.

وتدبر ماكس أمر لقاء تشيل في فندق غراند كانيون في أريزونا. لقد شعر تشيل بفرح كبير عندما زار متنزهات طبيعية كان قد زارها في صباه، ظنًا منه أن القيمة الأسمى قد تعود إليه في مكان مماثل يتمتع بجمال طبيعي.

من غراند كانيون، انطلقا إلى جانب يلوستون، ومن ثم عادا إلى الشواطئ الكاليفورنسية البعيدة على امتداد بيغ سور، وسط أشجار السكوية الحمراء، وقصدا يوزميت أخيرًا.

كان يومهما الأخير معًا، وكانا يعبران موقع التخييم الخاص بهما عندما رأى تشيل رجلًا ملتحيًا، غريب المظهر، يشوي نقانق على مسافة بعيدة من المخيمين الآخرين، وإذا شعر أبيض أشعث، ولحية طويلة بيضاء، ويرتدي جينزًا وقميص قاتلة للعمل. كان يتحدث إلى نفسه بصوت مرتفع وبطريقة غير منتظمة.

لقد تمثل انطباعهما الأول بكون الرجل مجنونًا أكثر منه متنورًا. ومن جهة أخرى، ونظرًا إلى أنهما أمضيا أحد عشر يومًا في البحث عن القيمة الأسمى من دون وجود أي بصيص أمل، واعتقادهما القوي أن القيمة الأسمى قد تكون الفادي في الواقع، دونًا من الرجل.

وفي أثناء اقتسارهما، كان هناك أمر مألوف لدى الرجل، فشرع ماكس بصدمة كبيرة ولم يصدق ما شاهدت عيناه.

إنه لويس.

لم يسر ماكس شقيقه منذ أكثر من عشرين عامًا، ولم يكن يملك أي فكرة عما إذا كان لا يزال على قيد الحياة. فرفع لويس نظره وقال.

"حسنًا، حان وقت ظهورك."

ظن ماكس لوهلة - وبخلاف كل الاحتمالات - أن لويس قد يكون في الواقع القيمة الأسمى. ولكنه تذكر مدى عنف لويس في معظم مراحل حياته، وتمنّى بمرارة ألا تتحد القيمة الأسمى شكلاً ماثلاً. ومن جهة أخرى، لم تكن لتشيل فكرة عن سلوك لويس، ولكنه أصّر على احتمال أن يكون هو القيمة الأسمى التي يبحثون عنها حتى بعد أن عرفه ماكس إليه. وحلّسوا إلى طاولة التنزه بجانب المشواة وتشاطروا النقانق الساخنة، والرقاقات، وشراب الشعير الذي أحضره لويس معه.

في أثناء العشاء، وبينما كان ماكس جالسًا بهدوء يراقب، تطرق تشيل إلى مغامرتهما في إيزابا وإلى مهتمهما المتمثلة بالثور على القيمة الأسمى. فلم يتفاجأ لويس بالقصة، ولكنه حدّق إلى ماكس بنوع من الحسد والكره الدفين اللذين لطالما أبداهما لدى تحقيق شقيقه إنجازًا ما. فشرع ماكس بعدم ارتياح متزايد، واقترح على تشيل المغادرة قائلًا إنه يتعين عليه لقاء الدب الراكض في وقت لاحق من ذلك المساء لمواصلة البحث.

لدى سماع ذلك، نظر لويس إلى ماكس وقال:

"لن نعثّر أبدًا على القيمة الأسمى ما لم نسطبحني معك. سأوضّب أغراضي وأكون مستعدًا للذهاب بعد قليل."

فشرع ماكس بقلق فوري وقال بسرعة:

"ولكن لا وقت لدينا لاتخاذ التدابير المناسبة. ولا مال لدينا لذلك."

"لماذا؟"، صاح لويس، "إنه كل ما اهتمت به وكل ما اهتم به والدنا يومًا". فجأة، بدا الأمر كما لو أن خمسين عامًا تلاشت.

فدفع لويس ماكس بقوة، وبدأ بخنقه بكل قوته الجنوبية التي يمتلكها منذ صغره. ولكن كان هناك ثلاثة أسابيع متبقية ليحتفل بالذكرى مولده الخامسة والستين. وبالرغم من الاندفاع الفجائي للأدريين الذين آمن له السيطرة على شقيقه، لم يدم اندفاع نشاطه أكثر من دقيقة واحدة.

وتمكن تشيل الذي يبلغ طوله ست أقدام ونصف، وفي حالة جسدية ممتازة من إبعاد لويس عن ماكس وكبح جماحه. وسمع غيغون آخرون الفوضى وأسرعوا لتقديم المساعدة.

فاستدعى أحد حراس المتزده، واعتقلت الشرطة المحلية لويس بسبب الاعتداء الذي قام به. وبالرغم من ألم عنقه، لم يُصب ماكس بأذى. وشكر تشيل لإنقاذه، وغادرا.

وبعد وقت قليل، ذهب كل منهما في طريقه، وواصل ماكس مخططة اللقاء الدب الراكض في ذلك المساء.

* * *

انضم الدب الراكض إلى ماكس في كوخ في يوزميت، وبدأ رحلة حملت ماكس إلى المواقع الهندية القديمة المنتشرة في كل مكان من مونتانا وكندا. ولكن، وبالرغم من قدرة الدب الراكض على التواصل مع القيمة العظمى، لم يكن هناك ما يشير إلى وجودها.

كان شو صن باك الشخص التالي الذي سافر معه ماكس وفقاً للجدول الموضوع، فالتقى في فانكوفر. وبتقلعهما على امتداد شاطئ كولومبيا البريطانية، زارا أماكن جميلة، ولكن شو صن باك اعترف أنه إذا أراد العثور على القيمة الأسرى فإنه سيحدها على الأرجح في الصين لأنه وطنه الحقيقي، والوطن الحقيقي لذكرياته الأكثر تبيحاً.

هكذا، عبرا المحيط الهادئ، وهبطا في بكين. ولكن لم يكن هناك ما يشير إلى وجود ضالتهما بالرغم من زيارتهما للسور العظيم والقرية الصغيرة النائية حيث وُلد صن باك.

من الصين، طار ماكس إلى اليابان مباشرة للقاء يوكو.

فسافرا معاً إلى هوكايدو، ونيكو، ومواقع مبعثة عديدة أخرى كان ماكس قد زارها في أثناء تصوير فيلم البحث عن الغاز القديم، ولم يجد أي أثر للقيمة الأسرى.

بعد ذلك، غادر ماكس إلى فييتنام. فاصطحبت ميلودي جدها معهما لمساعدتهما على تحديد مكان القيمة الأسرى في أرض أسلافها المبعثة. لقد أطلعت جده ميلودي على قصة الابن العشرين، ولم تبدُ عليها الدهشة بل الفخر لأن حفيدهما ستكون جزءاً من أمر هام جداً.

ومع ذلك، فقد بكت في أثناء تجوالها في الريف الجميل الذي أمضت صباها فيه. وبالرغم من زيارتهم أكثر من عشرين موقعاً مُبعثاً وقرية في مختلف أنحاء البلد، ثبت أن رحلتهم كانت بلا جدوى.

فشعرت ميلودي بخيبة أمل كبيرة بخلاف جدهما.

"يكفي أنسنا بحثنا عن القيمة الأسرى في أرضنا المبعثة"، قالت، "فالقصد يكون أحياناً بأهمية النتيجة المبتغاة. كان قصدنا طاهراً ولا شك في أنه سيساعد الآخرين على إتمام بحثهم عن القيمة الأسرى".

وأدرك ماكس بعد ذلك أن هذه المرأة تعتقد بمهمتهم من كل قلبها، وقد منحه ذلك أملاً جديداً.

ثم أضافت قائلة: "أنا على ثقة تامة، أن القيمة الأسرى ستظهر على صورة مبعوث. فظهور القيمة الأسرى وارد في معتقد تبتة عائلتنا طوال قرون إضافة إلى توقعات بلحول نهاية الأزمنة.

حب جنوبي

تشرين الثاني/نوفمبر 2012

في السيارة، وجد ماكس سهولة في التحدث إلى أندرياس الذي شعر بالفضول لسماع كيفية التفاهل ماكس ووالدته قبل ولادته بمدة طويلة. لم يسبق لوالدته أن حدثته عن الأمر، ولم يكن يملك أي فكرة عن وجوده حتى قيام ماكس بالاتصال ودعوتها إلى الانضمام إليه في إيزابا. ونظراً إلى سلوك الشاب المتساهل، قرر ماكس الانفتاح عليه وإخباره كل القصة.

ثم لا، قال في نفسه، أسوأ ما سيحدث هو أنه سيعتبرني الصديق الأميركي المخبول لوالدته.

ولكن أندرياس لم يتفاجأ عندما أطلع على ما جرى في إيزابا وظهور المبعوث الثالث عشر.

"وصفت لي والدي ما صادفته وقالت إنك ستأتي لمساعدتها في البحث عن القيمة الأسمى. إنها والدة مذهلة، وأصدق كل كلمة تقولها. لا أعرف إذا كانت من سيتر على القيمة الأسمى". أضاف ذلك مبتسماً، ملقياً نظرة سريعة على ماكس. "ولكنني سعيد بقدمك وإدخال هذه المغامرة إلى حياتها. كانت مغرمة جداً بوالدي، وعندما توفي فجأة، دخلت في حداد عميق. ولم تبدأ بالضحك والابتسام مجدداً حتى الآن. سيكون من الرائع لها أن تسافر معك وتزور مجدداً الأماكن التي زارتها في شبابها".

ولدى ذكر زوج ماريا، شعر ماكس بالفضول. "حسناً، والدتك امرأة مثيرة جداً"، قال، "وأنا على ثقة من أن والدك كان رجلاً مثيراً جداً. أسف بسبب وفاته في سن صغيرة". "أجل، والذي كان رائعاً"، قال أندرياس، "كان مثيراً رائعاً ورجلاً مثيراً للمرح. لقد أسعد والدي كثيراً وكان يمزحني وأشقائي على الدوام. إن الأحفاد يفتقدونه أيضاً، ولكننا على درجة كبيرة من السعادة لأنه دخل

من فييتنام، طار ماكس إلى ليما، البيرو، وبعد ذلك إلى تروجيلو حيث التقته ماريا وابناها الأكبر سنّاً في المطار.

فعاقت ماريا ماكس بحرارة، وتذكر كم كانت جميلة عندما التقيا للمرة الأولى قبل أربعين عاماً تقريباً.

فعاد ماكس خطوات قليلة إلى الوراء ونظر إليها في أثناء تعريفه إلى ابنه أندرياس وسيباستيان، فرأى امرأة لا تزال تحتفظ بجمالها، ونعومتها، ودرابنتها، إضافة إلى جاذبيتها.

"وصلت في يوم مميز جداً"، شرحت بفخر متقده، "تحتفل ابنة سيباستيان الكبرى، ريناتا، اليوم بذكرى مولدها الخامسة عشرة. ستحتفل كل العائلة معنا في منزلي، لذلك سيستنى لك لقاء كل أفراد عائلة توكانو مرة واحدة... أعلم أنك مرهق من الرحلة الجوية"، أضافت، "سيصطحبك أندرياس إلى فندقك، في حين أقوم وسيباستيان بالإعداد للمناسبة الاحتفالية. سيعود أندرياس لاصطحابك من فندقك عند السادسة من هذا المساء، لا شك في أننا سنحتفل طوال الليل، لذلك نخذ قسطاً من الراحة". وضحكت في أثناء طبع قبلة على خد ماكس، وعانقته بسرعة.

حياتنا. سترى في الحفلة هذا المساء مدى حيوية عائلة توكانو. والدي
محتلر من عائلة كبيرة جداً، وسينضم إلينا أشقاؤه وأبنائهم. سنكون
أكثر من مئة شخص بالإجمال ومعظمهم من العائلة نفسها".

في تلك اللحظة، دخل بالسيارة إلى موقف فندق شيراتون حيث
التقى ماكس بماريا منذ عدة سنوات، ولم يتمالك نفسه عن إلقاء نظرة
سريعة على المنتزه.

"سآي لاصطحابك عند السادسة مساءً. إليك رقم هاتفي". قال
مسليماً ماكس بطاقة تعريفية، "إذا احتجت إلى أي شيء، اتصل بي
فحسب. سياستيان ووالدي يهتمان بتفاصيل الحفلة، لذلك ساكون
متوافراً للمساعدة عندما تدعو الحاجة".

وخرج ماكس من السيارة، وأخذ الحارس حقيبته.
"لا، ساكون بخير"، أصر ماكس، "لدينا أربع ساعات تقريباً قبل
اصطحابي، ويمكنني أخذ قيلولة طويلة". ودار حول السيارة، وعانق
أندرياس، وشكره لحسن ضيافته.

* * *

استسلم ماكس للنوم بعد دقائق من استلقائه على السرير.
وأخسر ما فكر فيه قبل اليوم ماريا الشابة التي التقاها قبل عدة
سنوات، وقبّلت في المنتزه أمام نافذة غرفته في الفندق، وقالت له إنها
ستحبه إلى الأبد - كما يحبها أيضاً - ولكن قدرتهما لم يسمحا لها
بأن يكونا معاً في هذه الحياة.

ولكن ماكس أدرك عندما رآها في المطار أن ذلك الجزء منه لا
يزال يحبها ويتوق إلى الحياة العائلية المسالمة التي عاشتها مع زوجها.
وليس معه.

* * *

حضر ماكس عدة حفلات في حياته، ولكن الحب، والضحك،
والموسيقى، والاحتفالات التي أقيمت لريناتا في كوينسيانرا أذهلته حقاً.
كان هناك أحفاد تتجاوز أعمارهم الثلاث سنوات، إضافة إلى
مولود جديد لأحد الأسياء، وصديقات ريناتا المقربات اللواتي يرتدين
عباءات ملونة، وخطّاب شبان بأفضل بذلاتهم. كانت هناك عمّات
وخالات، وأعمام وأخوال، وأحفادهم، وأزهار وزينة، وأضواء ملونة،
وفوق كل شيء، الحب.

كان الجميع يرقصون. لغد بدا الأمر كما لو أن نصف
العائلة موسيقيون محترفون. فغنوا أغنيات شعبية، وأغنيات حب
كلاسيكية، وعزفوا موسيقى خاصة وضعوها بأنفسهم، بعضها كان
رومانسياً وبعضها الآخر مليحاً بدعابات عن ريناتا وأصدقائها.

وكما توقعت ماريا، استمرت الحفلة طوال الليل. لقد شوّوا حملاً
كاملاً على سينخ معدني وأعدّوا أنواع الأطعمة اللذيذة كافة التي يمكن
تحليلها، بما في ذلك كعكة جميلة يبلغ ارتفاعها خمس أقدام تقريباً.

وتمّ تعريف الجميع إلى ماكس، فعانقوه وحملوه على الشعور أنه
فرد من العائلة. كانت المرة الأولى منذ مغادرته إيزابا التي ينسى فيها في
الواقع بحثه عن القيمة الأسمى، وبحرح. فرقص، وأكل، وشرب، وغازل
الفتيات الكبيرات والصغيرات، ومازح الأحفاد، ووجد نفسه يمارس
لعبة الكلمات والأعداد مع الأطفال.

لقد أمجهم بقصصه عن الهند والبلدان النائية، ولكنه لم يتمكن
من رفع نظاره عن ماريا آياً تكن الأعمال التي يقوم بها.

كانت ترتدي فستاناً أسود متواضعاً، وأمضت معظم وقتها في
العب مع الأطفال. وبقيت البسمة مرتسمة على وجهها طوال المساء
تقريباً، وبدت بكامل حيويتها ونشاطها في أثناء اللعب مع أحفادها

الأصغر سناً لدرجة أنه يمكن للمرء أن يخطئ الظن أنها أحد الأحفاد وليست الجدة.

وقبيل نهاية المساء - أو بدء الصباح - وبعد أن ساعد ماكس ماريا على وضع العديد من الأحفاد في السرير، التفتت إلى ماكس وشكرته.

"عنداً، حسناً، أظن، اليوم في الواقع، وبالرغم من تأخر الوقت، سننام في وقت متأخر، وسأمر بك لاصطحابك من الفندق، وستطير إلى أريكويا. من هناك، سنذهب إلى كوزكو، وماتشو بيتشو، وبونو، وكويابابانا، وبحيرة تيتيكاكا. لقد كانت الرحلات الأكثر تيجيلاً التي قمت بها في شبابي، والأماكن التي يُحتمل أن نجد فيها ما نبحت عنه".

"لقد زرت تلك الأماكن أيضاً، بفضل عملي في الأفلام"، قال، "الآن، أريد أن أشركك مجدداً على الليلة. لقد كانت استراحة ممتعة في أثناء البحث. لم يسبق لي أن شعرت بهذا الكم من الحب في منزل واحد. إن مشاهدتك مع أحفادك والعائلة بأكملها أمر مثير جداً".

"لا، أنا من يجب أن أشركك"، أصرّت ماريا، "لقد جاء اتصالك في أفضل مرحلة من حياتي. في إيزابا، لقد شعرت مجدداً بوجود غاية سامية لحياتي. لقد عشت حياة رائعة، ولكنني أشعر أن حياتي تبدأ مجدداً".

بعد ذلك، رافقته إلى الباب الأمامي للمنزل.

"هناك سيارة أجرة في انتظارك لتفلك إلى فندقك. تقلع رحلتنا الجوية عند الواحدة من بعد الظهر، وستكون لنا فرص عديدة لتبادل أطراف الحديث في أثناء الرحلة. لم تكن لي الفرصة في إيزابا لسؤالك

عن حياتك وعائلتك بسبب وجود ذلك العدد الكبير من الأشخاص. أنطلع إلى معرفة المزيد عنك في أثناء هذه الرحلة".

بحث ماكس وماريا عن القيمة الأسمى في الأيام العشرة التالية من دون تحقيق أي نجاح.

كان ماكس قد حجز غرفتين منفصلتين في كل فندق، ولكنهما اكتشفا أن الحب العميق الذي جمعهما في بادئ الأمر منذ عدة سنوات لم يمت أبداً. وكوئهما بمفردهما وبمعزل عن أي إلهاء، لم يتمالكا نفسيهما عن الوقوع في الحب مجدداً.

لقد دخلتا في إيقاع طبيعي جعل السفر ممتعاً وخالياً من أي عناء. لقد استمتعا بإخبار قصص لبعضهما بعضاً، وإبداء ملاحظات، وإلقاء عدد كبير من الأشخاص. وعلى متن القطار إلى بونو من أريكويا، لعبا الورق، وصُدم ماكس برؤية مدى تنافسية ماريا، علماً أنه لم يكن يبدو عليها التركيز على اللعب والرغبة في نصب الشرك له والغلب عليه.

وفي أثناء توجههما إلى ماتشو بيتشو سراً على الأقدام، أخذ ماكس بيد ماريا بلطف لمساعدتها على عبور بعض الأجزاء الوعرة من السدرب. لم يصدق الانفعال الكبير الذي انتابه بسبب لمسة عريضة، وكانت الرغبة لا تزال موجودة وقد امتدت عبر جسده وعقله.

عندما وصلا إلى كويابابانا، كان ماكس يمسك بيدها كلما كان هناك عذر للقيام بذلك. لم يستطع رفع يديه وأنظاره عنها.

ولكن ماريا استمرت في التركيز... والبحث. أخيراً، وفي اليوم الأخير من بحثهما على جزيرة صغيرة في بحيرة تيتيكاكا، أقرّت ماريا أنها أغرمت ذات مرة بـماكس.

"أشعر بالحياة لأننا لم نعر على القيمة الأسمى"، اعترفت، "لقد اعتقدت أننا سننجح في العثور عليها اليوم على هذه الجزيرة. ذكر في إحدى أساطيرنا أن عصر الروحانية الأتوية سيبدأ هنا تماماً في بحيرة تيتسيكاكا، وفي هذا الوقت بالذات. كان أسلافي الإنكا يعتقدون أن فيراشوشا خرجت من هذه البحيرة وعادت إليها. أنا على ثقة تامة أن معظم أسلافي يعتبرون فيراشوشا الكائن الأسمى. ومن المأمول أن تظهر لنا اليوم".

فابتسمت ونظرت إلى عيني ماكس وأضافت:

"ولكن في الواقع، لا أشعر بأي حية. عندما التقيت في المرة الأولى، علمت أنك ستكون حب حياتي على مستوى روحي ما. بالنسبة إليّ، لم تنته أبداً تلك اللحظة الفاتنة التي تشاطرناها في المنتزه في تروجيلو. لقد أحيت زوجي والعائلة الرائعة التي كوناهما معاً، ولكن جزءاً مني لم يتوقف أبداً عن حيك. أحبك الآن، وبخلاف الظروف التي كانت سائدة عندما التقينا، لا أرى أي سبب لعدم اتباع قلبي".

ورفعت ماريا يدي ماكس وطبعت على شفتيه قبلة ردّها عاطفة قوية ورقة نقلناها في الزمن إلى الوراء إلى أماكن قدّر لهما التواجد فيها قبل سنوات وفي المستقبل. وبدت القيلة لامتناهية، ولكن ماريا ابتعدت عنه بلباقة ما إن لامست الدموع السائلة من عيني ماكس وجنتيها.

"إنها دموع الفرح، يا حبيبي"، قال، "لقد حلمت بهذه اللحظة طوال حياتي، لا يمكنني أن أصدق بعد كل هذه السنوات أنني عثرت أخيراً على حبي الدنيوي الحقيقي. بطريقة ما، كنت أشعر على الدوام بالانجذاب إليك وبالأمان. وبرؤيتي لك مع أبنائك وأحفادك، وتقاسيك واهتمامك بهم جميعاً، أكد شعوري الداخلي أن البقاء معك في الأبدية سيكون أكبر مكافأة لي في الحياة".

فابتسمت له.

"يا ماكس، لقد عرفت وأحببتك. لا أستطيع مقاومتك، وأعتقد أننا سنبقى معاً بقية حياتنا. ولكن يجب عليك في هذه اللحظة الاستعداد للتوجه إلى بونو على متن القارب، ومن ثم على متن القطار والطائرة للعودة إلى بقية الالتي عشر الذين يجب أن تواصل معهم البحث عن القيمة الأسمى".

وشرع ماكس بالضحك بمزيج من الارتياح والسرور.

"أجل ولكن، هناك الآن سبب أكبر للعثور على القيمة الأسمى وضمان عدم قيام هذا الكوكب بتدمير ذاته بسبب حالات الفوضى وغياب الحكم. سأراك في إيزابا بعد أكثر من شهر. وعندما يتم العثور على القيمة الأسمى، سنضع خططاً في 22 كانون الأول/ديسمبر حول عملية بقية حياتنا بنعيم وحب".

وابتسم ماكس في أثناء تقبيل ماريا مرة أخيرة، واستعد لمواصلة بحثه.

عقبات

تشرين الثاني/نوفمبر - كانون الأول/ديسمبر 2012

إن مستقبل ماكس مع ماريا منحه زحماً جديداً. يجب عليهما النجاح وإلا ذهبت أحلامهما سدى. وواضحاً ذلك الهدف نُصب عينيه، هبط في لندن حيث التقاه يوسكي.

كان يوسكي قد أمضى بعض أفضل سنوات شبابه في إنكلترا، مشاركاً في إعداد أفلام في ستوننج، وغلاستبري، وجزيرة إيونا، وغلندالو في تلال ويكلو جنوب دابلين، والعديد من المواقع المبحلة نفسها التي زارها ماكس في أثناء استكشاف المواقع لتصوير فيلم البحث عن ألفاز قديمة. كانت جولتهما على هذه المواقع بالتنسيق مع عامل فندق كلاريدجس بمثابة زوبعة من النشاط، ولكنهما لم يُسفر عن أي شيء.

وبعدم عثورها على أي أثر للقيمة الأسى في الجزر البريطانية، انتقل يوسكي وماكس إلى ألمانيا حيث استكشفا الغابة السوداء والعديد من القلاع الألمانية القديمة.

ولكنهما لم يجدا أي أثر له، وبدأ ماكس بالقلق. فما بدا أنه أمر أكيد غدا أشبه ببحث أخرق.

لا يمكنني التفكير بهذه الطريقة، قال في نفسه بصرامة. سننجح. وسافرا من ألمانيا إلى فرنسا، وتوقفا في لورد، وفي مواقع قديمة في بروفانس، وأكملتا طريقهما إلى شمال إسبانيا حيث كانت لكل منهما في شباهما خسرات كبيرة بالكهوف التي تعود إلى ما قبل التاريخ في سانتينلا دل مار خارج سانتاندر.

وبعد أكثر من أسبوع أمضياه بالسفر، زارا أكثر من عشرين موقعاً مبحلاً، ومع ذلك، لم يكن هنالك أي دليل على وجود القيمة الأسى.

لذلك، عاد يوسكي مع ماكس إلى مسقط رأسه في القدس حيث استكشفا المدينة القديمة، وأريحا، وماسادا، وبيت لحم، والبحر الميت، والجليل.

ولكنهما لم يجدا شيئاً. كان قد مضى مئة يوم تقريباً عندما وصل إلى اسطنبول للقاء إيرول.

"يا ماكس، يجب أن تلام الهدوء، من الممكن دائماً العثور على القيمة الأسى في اللحظة الأخيرة"، طمأنه إيرول، "ومع ذلك، يجب علينا التحرك قديماً كما لو أننا سظهري في أي لحظة. ستقوم أولاً بزيارة سريعة إلى اليونان التي زرتها عندما كنت فتى، وسأريك الجمال الحقيقي للعالم في وطني تركيا".

ثم أضاف قائلاً: "تركيا هي الأكثر تيجيلاً بين كل الدول. فإذا اختارت القيمة الأسى الاستمتاع بحياتها بتعين عليها العودة بمظهر تركسي. سأريك مواقع لم تعلم بها أبداً، وجمالاً لا يدركه العقل، بما في ذلك الموقع الذي غُثر فيه على سفينة نوح، أعرف كل بوصة على هذه الأرض، وقد اتخذت بعض التدابير لزيارة هذا الموقع ضمن الوقت المحدد".

وبالرغم من حماسة صديقه التي لا تقف، وجمال وطنه التركي، لم يُسفر بحسبهما عن أي شيء.

من اسطنبول، طار ماكس إلى النيبال للقاء الريونش، وتوجهها إلى الأديرة حيث يُعتقد أن البوذي نفسه ليس سوى يُحسد مبجل لمعلميه القدماء.

وأكملاً طريقهما إلى الغابات التي كدّ فيها الريونش في أثناء سجنه في معسكر الأعمال الشاقة، ولكن لم يُعيد أي أثر للقيمة الأسمى بالرغم من الضباب الغريب والهواء الذين رافقهما طوال أيام.

وعندما ودّع ماكس الريونش، كان كلاهما يعلمان أنهما سيَجتمعان مجدداً بعد اثني عشر يوماً في إيزابا. كان قلق ماكس قد بدأ بالظهور، وحاول الريونش طمأنته.

"لا تقلق"، قال، "أنا على ثقة تامة أن طاقة القيمة الأسمى ترافقنا الآن، أستطيع الشعور بذلك. أعلم أننا لم نعرّ عليها بعد بشكل مباشر، ولكن القيمة الأسمى تنتظر بالثبات في الهند مع سي. دي. رافقتك السلامة، وسنجتمع قريباً."

طار ماكس مباشرةً من النيبال إلى دلهي حيث علم أن شيلبا وسسي. دي. خططا لبدء رحلاتهما الداخلية في الهند بدءاً به في أعالي الهمالايا ومروراً بالنيبالت في طريق عودتهما.

في له، زاروا ديراً قديماً حيث درست شيلبا في صغرها وحصلت على إجازة صيف طويلة لدى ولادة سي. دي. فالدير هو المكان الأكثر تيجلاً في كل الهند، وهناك شائعات تفيد أن القادي نفسه زاره.

فضلت شيلبا أنه قد يكون مكان إقامة القيمة الأسمى، ولكنها كانت مخطئة.

من له، شقوا طريقهم بالسيارة عائدين إلى سريناغار. كان كانون الأول/ديسمبر قد انتصف ووجدوا صعوبة في التغلب على الثلوج في الممرات الجبلية. وبالرغم من ذلك، لم يتمكنوا من العثور على القيمة الأسمى في سريناغار، فطاروا إلى ريشيكيش على نهر الغانج حيث أمضى سي. دي. عدة فصول صيف في صباه مع أحد أعمامه.

كانت ريشيكيش طريقاً مسدوداً على غراز كل الأماكن الأكثر، وحلّ الثامن من كانون الأول/ديسمبر؛ موعد الرحلة الجوية للعودة إلى مكسيكو سيتي ومن ثم إلى إيزابا.

بعد الشروع بالبحث بتفاؤل وحماسة كبيرين، تفاحاً ماكس بهذا الفشل الواضح. لقد كان سي. دي. أمه الكبير، ومع ذلك لم تُظهر القيمة الأسمى نفسها للهندي الشاب أو لأي منهم.

ولكنه رفض الاستسلام. لقد تبقى يومان على موعد اللقاء ولا يزال هناك أمل حتى الحادي والعشرين من كانون الأول/ديسمبر. يجب الاحتفاظ بالأمل! قال ماكس في نفسه بانفعال.

وحصل على جهاز كمبيوتر. ففي أثناء رحلته الطويلة إلى النيبال والهمالايا، لم يلج الإنترنت ولم يتمكن من استخدام هاتفه الخليوي. ربما ظهرت القيمة الأسمى لعضو آخر من الاثني عشر.

لكنها لم تظهر لأي عضو آخر. وحان الوقت للعودة إلى إيزابا - مع القيمة الأسمى أم من دوتها - والالتقاء مجدداً بالمبعوث الثالث عشر.

حينذاك، يعلمون ما المقدر حدوثه في ذلك اليوم المشؤوم عندما تنقضي روزنامة المياه، إضافةً إلى العديد من الروزنامات الأخرى. وفي إطار بحثه عن نهاية محتملة لهذا الوضع، أمضى ماكس عدداً لا يُحصى ولا يُعدّ من الساعات منكّباً على كتاب الأرقام الخاص بيبي. أن، وذلك في أثناء مكوثه في الهند وعلى متن الرحلة الجوية من نيودلهي إلى مكسيكو سيتي.

فاتضح له أن 21122012 هو الجواب. إلهما الرقم 11 والرقم 2 اللذان يمثلان بداية ونهاية. ويشير الرقم إلى النور والظلمة ويتضمن مجموعات مختلفة غير محدودة من الأرقام الأولية وغير الأولية. لقد تم اختيار مهارات ماكس الاستثنائية في الرياضيات على نحو غير مسبوق، وبدا الرقم 21122012 كما لو أنه يتوصل تفسيراً بشرياً يختلف مع اختلاف الشخص الذي يُجري العمليات الحسابية. ولكنه لم يعثر على ذلك التفسير بالرغم من محاولاته العديدة.

عندما وصل ماكس وشيلبا وسي. دي. إلى الفندق في تاباشولا، كان الوقت متأخراً في مساء العشرين من كانون الأول/ديسمبر، وكان بقية الاثنين عشر مجتمعين بترقب، آملين استقبال القيمة الأسمى. وماريا هسي أول من رحّب بـماكس، ولكنها ترجعت لثمنحه الوقت للكلام عندما رأت التعبير على وجهه.

لقد شعروا بالإحباط بعد إخبارهم أنه قدم مع سي. دي. وشيلبا فقط.

"كيف يمكن حدوث ذلك؟"، قالت ميلودي بحزن، "كنا على ثقة أنك وسي. دي. ستعثران عليه، أو عليها. ماذا سيحدث لنا وماذا سيحل بالعالم عندما تنقضي الروزنامة عند غروب الشمس غدًا؟".

فقال ماكس إن العديد من الآخرين يشاطرونها بأسها. فهذه المهمة المبهمة تطلبت ثقة كاملة بعملية الكشف عن القيمة الأسمى.

كان كل من الاثنين عشر قد دخل في ما يمكن أن يكون المغامرة الأخيرة على الأرض بحماسة ويقين أنهم سينجحون في مسعاهم. ومع اقتراب الموعد وعدم ظهور القيمة الأسمى بعد، بدأت مخاوفهم بالازدياد.

"يجب علينا ألا نرتاب بمصائرنا"، طمأنها إيرول، وطمأن كل المجموعة، "لقد بحثنا بقلوب مفتوحة وبذلنا قصارى جهدنا لتلبية طلب المسبوق الثالث عشر. وستكافأ بالتأكيد. سيكون يوم غد ملياً بالأحداث، وقد يكون اليوم الأخير على هذا الكوكب بحلته التي نعرفها. لنستريح جيداً في انتظار التحديات. لقد آمن لنا الدب الراكض وخوان ومانويل مكان لقائنا بجانب الكهف. سنلتقي هناك عند الرابعة في حين أن الشمس تغرب عند الخامسة ودقيقتين، وهو موعد حدوث الانقلاب الشمسي وانقضاء روزنامة المياه. لذلك، ناموا جيداً هذه الليلة، ولا تقلقوا. يجب أن نثق بحكمة كونٍ جمعنا كلنا لهذه اللحظة الخاصة في هذا المكان الخاص".

مُنْهَكَاً بسبب أسفاره ومحاولاته الفاشلة لحل الرموز الموجودة في كتاب الأرقام الخاص بيبي. أن. نام ماكس حتى الظهر تقريباً. وعندما استيقظ، وجد أنه يوم مشمس، فقرر السباحة في المحيط الهادئ القريب، لأنه قد يكون آخر يوم على الأرض. فوجد الطيب ألن بُهسي تناول الفطور في وقت متأخر، واقترح الذهاب بإحدى عربات النقل إلى الشاطئ.

"تملك موهبة طبيعية، يا ماكس. لا أستطيع التصديق أنك هدرت هذا العدد الكبير من السنوات من دون ركوب الأمواج".

"لا يمكنني تصديق ذلك أيضاً"، أجاب ماكس موافقاً بإبه الرأي، "إذا بقي العالم موجوداً غداً، فإن أحد التزاماتي سيكون غمضية مزيد من الوقت في تعلّم ركوب الأمواج".

"إنها أفضل فكرة تبادرت إلى ذهنك منذ مدة طويلة". صاح الطبيب آلن من فوق كتفه في أثناء اندفاعه نحو الأمواج. وبينما كان ماكس يتبعه، اعتلى موجة كبيرة حملته إلى الشاطئ.

واستلقى ماكس على اللوحة، متأملاً قدرة الطبيب آلن على ركوب الأمواج وبلوغ الشاطئ من دون فقدان توازنه. وعندما بلغ الشاطئ، أشار الطبيب آلن إلى الشمس، ومن ثم إلى العربة عندما بدأ بالابتعاد عن الماء.

كانت الشمس في كبد السماء، وأدرك ماكس أن الوقت قد حان للمغادرة. ولكنه أراد ركوب موجة من دون السقوط، فأولاً إلى أن بالشروع بتوضيب الأمتعة على أن يوافيه بعد خمس أو عشر دقائق. وحجم بعد ذلك على اللوحة، ونظر خلفه مترقباً وصول الموجة الكبيرة التالية.

وفجأةً ومن بدون سابق إنذار، شعر ماكس بيد تمسك بكاحله وتحاول إسقاطه عن اللوحة. وبعد ذلك، أمسكت يد أخرى بعنقه وبدأت تدفعه إلى أسفل المحيط. كانت المياه بعمق ثماني أقدام تقريباً، ولكن ماكس فقد على الفور قدرته على معرفة اتجاه القعر أو الشاطئ.

وحاول التخلص من مهاجمه، ولكنه لم يتمكن من الدفاع عن نفسه وكاد يختنق. ففاضل على نحو باتس وتمكن من بلوغ سطح الماء لثوانٍ وجيزة، ما يكفي لالتقاط أنفاسه، ولكنه فقد قدرته على المقاومة ودُفع إلى الأسفل مجدداً.

كان آلن قد اصطحب معه لوحات ركوب الأمواج ولوحة إضافية لماكس لاختيار الأمر.

"لم يسبق لي أن ركبت الأمواج"، اعترف ماكس، "من الغريب أن أتلقى درسي الأول في اليوم الذي قد يكون الأخير لنا على الأرض".

أجاب الطبيب آلن: "حسناً، عندما أركب الأمواج، أشعر أنني أكثر إيماناً مما كنت في أي يوم مضى. إذا كان اليوم سيشهد نهاية الزمن، فركوب الأمواج هو الأمر الوحيد الذي أرغب في القيام به". قال: "إذاً لنذهب!".

فوضعا لוחتي ركوب الأمواج في عربة النقل. وفي طريقهما إلى الشاطئ، اعترف آلن أنه لا تزال لديه شكوك حيال التوقع بالرغم من مصادفة المبعوث الثالث عشر، ولم يكن يعتقد أنه سيتم العثور على القيمة الأسمي.

ولكن لم يكن في الإمكان تجاهل الاختيار بسبب فرادته. وفي أثناء توجههما إلى الشاطئ، لاحظ ماكس وجود سيارة تشفي قديمة، بنية اللون، ومتهالكة تتبعهما، ولكنه فقدتها بعد مدة قصيرة ولم يعد يفكر فيها. وعندما بلغا الشاطئ، لم يكن هناك سوى سماء زرقاء وأشعة شمس.

فسلّمه الطبيب آلن لوحة لركوب الأمواج، وسرعان ما جثم ماكس وسقط، وعاد للوقوف والسقوط مجدداً.

أخيراً، تمكن من جلوس القرفصاء على اللوحة، وما لبث أن اعتلى موجة صغيرة. كان انتصاراً مغموراً بالخطئة لم يدم سوى مسافة يارد واحد أو ياردين قبل أن يفقد اتزانَه ويسقط في الموجات الخفيفة.

فأطرى عليه الطبيب آلن بحماسة، وقال:

وبدأ يفقد وعيه.

وشعر بالضعف والحجز عن المقاومة.

وقيل أن يفقد وعيه، تذكر ماكس كل الأوقات التي حاول فيها
لويس خنقه، وحاول رؤية وجه المهاجم. كان رجلاً ذا شعر طويل
ورمادي، وعيّن شريرتين لم تغب عن ناظرَي ماكس في طفولته.
ولكن لم يكن الأمر ذات أهمية، كان ماكس يغادر جسده.
فشاهد مجدداً الأسماء الاثني عشر والألون الاثني عشر، إضافة إلى
رسالة صفح.

لا بأس... لقد بلغت قصارى جهدي.

نحابة العالم ليس خطأك.

كان لويس قد وُضع في مصحة للأمراض العقلية طوال ثلاثين
يوماً بعد الحادثة في منزله بوزميت الوطني. وعندما تخلف ماكس عن
جلسة الاستماع القانونية أطلق سراحه.

لقد سمع ما قاله تشيل عن اللقاء في إيزابا في 21 كانون
الأول/ديسمبر، وما إن أطلق سراحه حتى انطلق إلى المكسيك ووضع
الفندق الحديث الوحيد في تاباشولا تحت المراقبة.

أخيراً، أثمر صبره وتبع ماكس مع رجل آخر إلى الشاطئ، وانقضَّ
عليه بعد مغادرة الطبيب آلن.

لقد أراد لويس التأكد من عدم تمكن ماكس من تحقيق هدفه
النهائسي أبداً تكن النتائج. فتأمل نفسه برضا وجور في أثناء إمساكه
بماكس، وكان على شفير الاختناق ولكنه لم يبال.

لقد رغب في الموت إذا كان ذلك كفيلاً بإحباط ماكس.

تقبل ماكس واقع إخفاقه في مهمته واستعد لدخول النفق
الأبيض. وفجأة، رأى ما بدا أنه الطبيب آلن يسبح باتجاه شخصين
يناضلان، وابتعد عن النور.

لم يتطلب الأمر سوى لحظات لوصول الطبيب آلن، وهو سباح
ماهر، إلى المهاجم الذي خارت قواه بسبب عدم تمكنه من التنفس،
وكان عاجزاً عن التنفس.

وسحب آلن ماكس من قبضة الرجل وشق طريقه باتجاه الشاطئ،
وأكمل مطاردهما كلما حاول الاقتراب.

لقد أدرك الرجل أنه هُزم، وابتعد في أثناء اتجاه الطبيب آلن
عكس إلى الشاطئ. وشرع على الفور بعملية إنعاش بواسطة الفم،
وبعد عدة دقائق، سعل ماكس وتقيأ كمية كبيرة من المياه للملحة التي
ابتلعها في أثناء وجوده تحت الأمواج.

بعد لحظات قليلة، وقف وهو يرتجف، ولكنه، كان لا يزال حيّاً.
"من ذلك الجنون، ولماذا كان يحاول إغراقك؟"، سأل آلن، "لقد
صادفتُ نازين في ما مضى في أثناء ركوب الأمواج، ولكن لم يسبق لي
أن رأيت أمراً مماثلاً. ربما أستطيع العثور على شرطي لاعتقاله. كاد
يقتلك".

فأوماً ماكس إليه، طالباً منه نسيان الأمر، وشرح:

"ذلك الرجل الذي حاول إغراقني هو شقيقي. كان يفعل ما دأب
على القيام به على الدوام، لا أهمية للأمر. الأمر الهام هو العودة إلى
الفندق. فلاآخرون في انتظارنا ويتساءلون عن مكان وجودنا. سيكون
لدينا الوقت للوصول إلى إيزابا قبل غروب الشمس".

ووقف ونظر إلى منقذه ممتناً.

نهاية الزمن

21 كانون الأول/ديسمبر 2012

اشتدت سرعة الهواء وازداد برودة في أثناء شق عربات النقل طريقها إلى إيزابا.

وعندما التقى مانويل بالاثني عشر عند أسفل الجبل، وهما بالسير باتجاه البراح إلى جانب الكهف، بدأ المطر بالمطول، وغدا الطقس بارداً. وقبل بلوغ البراح، تحول المطر إلى برد.

لم يسيق أن أمطرت برداً في إيزابا، ادعى خوان. لقد بدا الأمر حقاً كما لو أنها نهاية العالم.

وساد التخوف والتوجس، حتى إن سي. دي. كان يحفل لدى تساقط البرد على شعره الأسود وبشرته. وعندما وصلوا إلى مكان التجمع، كان الوقت قد شارب على بلوغ الرابعة والنصف، قبل ثلاثين دقيقة من الانقلاب الشمسي.

ولم يكن هناك أي أثر بعد للقيمة الأسمى.

كان الجميع يشعرون بالبرد، لذلك دخلوا الكهف بحثاً للمطر والجليد. وأشعل الدب الراكض النار، وكان يرتدي رداءه الاحتفالي بما في ذلك ريشة العقاب الموضوعة في عصابة رأسه. واحتشدوا بجانب بعضهم بعضاً حول النار ليحموا من البرد. ولكن الهدوء والغبطة اللذين

"لقد أنقذت حياتي. أمل أن يتمكن الاثنا عشر من إنقاذ العالم. علينا الاستمرار في المحاولة".

فوافق الطبيب آلن، وقاد السيارة بأقصى سرعة ممكنة باتجاه الفندق في تاباشولا. وفي الطريق، ألقى نظرة سريعة على صديقه للتأكد من أنه بخير، وكان سعيداً لرؤية اللون يعود إلى وجهه. أخيراً، وبعد لحظات قليلة من السعال، قال ماكس:

"لست واثقاً من سبب قيام شقيقي بالحقاقي بمحاولة قتلي، ولكنني أعرف أن تدخلك حال دون وقوع كارثة. فبالرغم من عدم عثورنا على القيمة الأسمى، علينا الافتراض أنها ستظهر بطريقة ما. رجاء، لا تدع الآخرين يعلمون بشأن الهجوم. إنهم قلقون بما يكفي، ولا أريد لهم أن يعتبروا ذلك نذير شوم أو يقلقوا بشأن، في حين أنه يُفترض بهم التركيز على التضرع لظهور القيمة الأسمى".

فوافق الطبيب آلن قائلاً:

"لك ما تعتقد أنه الأفضل. صدقاً، لا أزال أجد الأمر غير معقول. فروزنامة المايا ليست سوى أسطورة أخرى كسواها من الأساطير. إنني لم أصدق أي من القصص المشابهة التي تتعلق بهذا العالم، ولا أميل أيضاً إلى تصديق قصة نهاية الأزمنة هذه. لا نُسئ فهمي، أمل حقاً في حدوث أعجوبة اليوم. ولكن آياً تكن النتيجة، سأركب الأمواج غداً، وإذا ظهر شقيقيك المجنون ذاك، فسيكون هو من يغرق وليس أنت".

شعروا بهما في أثناء وجودهم في الكهف في المرة السابقة أصبحا ذكريات بعيدة.

فجأة، توقفت تساقط المطر والبرد، واخترقت الأشعة الأخيرة للشمس الأشجار، وساد سكوت تام.

فغادرت المجموعة الكهف معاً وعادت إلى التراح. لقد ظهر المبعوث الثالث عشر مجدداً.

وتكلم المبعوث الثالث عشر بهدوء ووضوح.

"لقد عدتم في الساعة المحددة، ولكن لا يوجد بينكم أي وجه جديد، وجه القيمة الأسمي. ماذا عن بحثكم؟".

فلم يُجِب أحد. وبالرغم من مرور دقيقة واحدة من السكون فقط، بدا الأمر كما لو أنها ستدوم إلى الأبد.

وبدأت الشمس بالغوص بسرعة.

فنهابة الزمن وشيكة، لقد فشلت المجموعة.

في كسب السماء، ظهر نسر، وانقضَّ وهبط على كتف الدب الراكض. وأجفل الدب الراكض ولكنه استعاد رباطة جأشه بسرعة وقال:

"لقد قبل منذ زمن بعيد في احتفالات لاكوتا والهوبي إن إشارة بدء زمن السلام والتناغم تكون وشيكة عندما يجتمع النسر والعقاب معاً"، وأشار إلى الريشة على رأسه، "هي دلالة بالتأكيد على أننا لم نُخفق وأن القيمة الأسمي موجودة معنا في الواقع".

وبعد لحظة، سُمع صوت المبعوث الثالث عشر مجدداً.

"الدب الراكض مُحق. إن ظهور هذا النسر هو دلالة على أن القيمة الأسمي موجودة في هذه اللحظة بالذات. يجب على أحدكم في الواقع أن يكون الشخص الذي يحثم عنه والذي يرمز إلى القيمة الأسمي".

ففاجأهم النبا بأجمعهم، وألقوا نظرة سريعة على أحدهم الآخر. وقبل أن يتمكن أيُّ منهم من التكلم، سُمع الصوت مجدداً:

"أيضاً تكن، يجب عليك أن تخطو إلى الأمام الآن. فالشمس ستغرب، وما لم يتم الكشف عن القيمة الأسمي وتخليص العالم ومخلوقاته، فإن التوقعات غير المرغوب فيها ستم. سيكون مصير البشرية عصراً من الظلمة بدلاً من النور".

وتوجهت كل الأنظار إلى سي. دي. فهو الوحيد بين الاثني عشر الذي بدا خائلاً من أي غرور، ولكنه لم يعرف أنه هو المقصود.

ولكن سي. دي. التفت ببساطة إلى ماكس ونظر إليه بعيني حب.

ونظر ماكس إلى سي. دي. وفي تلك اللحظة تذكر ماكس ولادته والحب الذي حظي به منذ ولادته.

فأدرك أنه لم يُجرِ أبداً حساباً دقيقاً لتاريخ مولده وفقاً لعلم معاني الأعداد، بالرغم من كل الأرقام التي احتسبها.

وأدرك في تلك اللحظة أن تاريخ مولده - 12 كانون الأول/ديسمبر 1949 - يتضمن القيمة الرقمية 2012/12/12.

فاتحتر مجدداً ولادته، وتذكر للمرة الأولى من هو في الواقع.

وبينما كان يتوجه إلى وسط التراح، شعر أنه جزء من كل ذلك وأن وعبه أعاد الصلة بكل من عاشوا على الأرض.

ورأى للمرة الأولى المبعوث الثالث عشر بصورته الجسدية، رآه مبعوثاً أميناً وشريكاً في المخطط الكبير الذي استُهل لخلاص الجنس البشري منذ عدة دهور، عندما شاهدوا الخيارات المشؤومة التي اتخذها البشر لدى إنشاء حضارات عنف.

وساد صمت تام حين نظر ماكس والمبعوث الثالث عشر بهدوء إلى عيني أحدهما الآخر. وبينما كانا يتشاطران نظرة امتنان وتقدير لا

نهاية لها، بدأوا كما لو أنهما يعكسان بعضهما بعضاً ويصبحان شخصاً واحداً.

واتخذوا شكل آلاف الأشخاص، من رجال ونساء، شبان ومسنين من مختلف الأعراق والأنواع عاشوا على الأرض. أية مساوية وغير مساوية لأية.

فماكس كان ولم يكن ماكس. وماكس كان ولم يكن المبعوث الثالث عشر. وماكس كان ولم يكن يمثل البشر الذين عاشوا على الأرض. وتسمّر الاثنين عشر؛ ميلودي، ماري، يوسكي، تشيل، الطبيب آلن، الريونش، إيرول، شو صن باك، خوان، يوكو، الدب الراكض، وسي. دي في أماكنهم في أثناء غروب الشمس، وانتهى الزمن الذي كانت البشرية قد عبرته من قبل.

وتوقف تغريد الطيور.

ولم تكن هناك أي ريح.

هدوء فقط وسكون تام.

* * *

ربما دامت اللحظة إلى الأبد.

ربما دامت أقل من ثانية.

لا أحد يعرف.

لقد تمّ توقع الماي. لقد جرى كل شيء كما تمّ توقعه منذ دهور. بالنسبة إلى ماكس، لقد اختبر الأمر في أثناء اختيار حالة النورانية. ومسرّة أخرى، كان هناك نور وحب، ودفع نابع من الأجساد الواقعة أمامه والبتّهجة بيد زمن جديد للناس.

ومع بدء الزمن مرة أخرى، تكلم ماكس، ولكنه لم يكن ماكس السابق تماماً. كان ماكس المشّيع بويعه الخاص، قيمة أسمى زرعت وعي

كل من الاثني عشر قبل آلاف السنين. لقد تكلم بلطف وهدوء مريحين لكل السامعين.

"لقد انتهى الزمن، وبدأ عصر جديد"، قالت القيمة الأسّي بلسان ماكس، "لقد حدث التبدل الكبير. لن يتبدل شيء، ولكن كل شيء سيتبدل. ستبقى الأرض ومخلوقاتها، ولكن وعي الجميع قد تبدّل، وسيستمر في التبدّل في الأزمنة القادمة. كونكم بشراً، ستدخلون عصر حب، وتناغم، وحرية أكثر تلاماً مع مصائركم. ستوقف الحروب عندما تكتشفون السخاء اللامتناهي للمخلوقات كافة. لا يفتقر هذا الكوكب إلى النزاعات، وهو ليس بحاجة إليها. إن الطاقة التي طورتموها للبقاء والتنافس سيتم تخصيصها للإبداع والنشاط. هذا ما خطط له منذ البدء وما يفترض بكل واحد منكم تحقيقه".

وتوقف قليلاً، ومن ثم تكلم مجدداً:

"سيدوم هذا العصر مئة وأربعة وأربعين ألف عام ولكنه قد يمتد إلى أكثر، وفقاً للخيارات المتخذة من قبلكم ومن قبل المتحدّرين منكم. هناك على الدوام إرادة حرة، والإرادة الحرة هي التي حملتكم إلى هذا المكان في هذا الوقت. لقد لعب كل منكم دوره على غرار كل من عشتتم وتفاعلتهم معهم. وبالرغم من أن حلول هذه اللحظة هو أمر مقبّل، لم يكن موعود حلولها محدداً مسبقاً. فشجاعتكم وحكمكم وخياركم هي التي جعلت أزمنة النعيم هذه تملّ على الأرض".

ومسلاً توهج الشمس الغاربة البرّاح بنور زهريّ وبرتقالي. وكان كل فرد من المجتمعين يتوهج فرحاً بسبب استيقاظ ماكس، وامتدت طاقة الفرح هذه لتطال كل مخلوق حيّ على كوكب الأرض. وعلى القصور، سرت حياة جديدة كان في الإمكان الشعور بها في كل شجرة ونبته، حتى إن الصخور والتربة التي يقفون عليها شعرت بها.

الاستيقاظ

21 كانون الأول/ديسمبر 2012

بينما كانت عربات النقل تُنزل الاثني عشر أمام الفندق في تاباشولا، تسرّبت أنباء إلى تلك البلدة المكسيكية النائية في شياباس عن حدوث ذلك الأمر غير العادي.

كان العلماء قد رصدوا تبدلاً مفاجئاً في محور الأرض؛ لقد تبدلت الحقول المغناطيسية، وتبدّل مسار الأرض بالذات.

كانت النتائج لا تزال مجهولة، ولكن المخططات التلفزيونية والإذاعية ومواقع الإنترنت كانت تورد معلومات متضاربة باستمرار واكتشافات جديدة.

وبالرغم من أنه يُفترض بالحدث التسبب بذهر تام مع وجود بعض التخوّف لدى أولئك الذين ينقلون المستجذات، لقد بدأ الناس بغالبيتهم هادئين وادعين. وعيّر العلماء عن ذهولهم بحدوث هذا التبدّل من دون سابق إنذار ومن دون أي أثر كارثي ملحوظ. لم تحدث أي موجات تسونامي.

ولم تحدث أي زلازل. في الشرق الأقصى حيث طلع صباح الثاني والعشرين من كانون الأول/ديسمبر 2012، أشرقت الشمس على سماء صافية ونور معتدل غير عادي.

ابتعد المبعوث الثالث عشر عن ماكس خطوات إلى الوراء وقال مجدداً للاثني عشر: "اغادركم الآن إلى أمكنة أخرى، ولكنني مسرور بكل ما قمتم به وستقومون به".

ثم أضاف: "سابقى ماكس معكم، وبالرغم من كونه ما هو عليه، فهو يبقى ماكس الذي عرفتموه سابقاً. لا تلفتوا انتباه أحد إلى اختلافه، لأنه سيسير بينكم كشخص مسافر لكم ولا يختلف عنكم، وذلك وفقاً لرغبته، وبالرغم من قدرته على مغادرتكم في أي وقت. احموا ماكس واحموا أنفسكم، واستمتعوا بالحياة التي قُدّر لكم أن تعيشوها".

وقال أخيراً: "ليكن فرح الكون معكم إلى الأبد".

وغادر المبعوث الثالث عشر.

حتى بعد حلول الظلام، كانت وجوه الاثني عشر ووجه ماكس مُشرقة في أثناء سلوكهم الدرب المبلّل، ووصولهم إلى المكان الذي ينتظر فيه مانويل بأمانة.

وارتسمت بسمّة على وجه مانويل في أثناء الترحيب بكل منهم؛ حتى إن السائقين المنتظرين في العربات كانوا يبتسمون. لم يتكلم أيّ منهم، ولكن كان هناك تواصل صامت بينهم في أثناء عودهم إلى تاباشولا.

لقد حلت نهاية الزمن الذي تحدث عنه شعب المايا ومرت. وزال التخوّف الذي تشاطروه كلهم. لقد بدأ عصر جديد.

لقد بدا أن اليوم سيكون رائعاً في كل مكان من الأرض.

عندما دخل ماكس إلى الفندق، كان الجميع مسترخين ومبتسمين، بدءاً بالحراس وانتهاءً بالموظفين المكتبيين. لقد بدا الأمر كما لو أن الجميع اكتسبوا تلك المعرفة والدعابة الباطنية نفسها، كان الجميع مترابطين على أعمق مستوى.

لقد بدا الأمر كما لو أنهم خلايا مختلفة في الجسد الحي نفسه. لم يكن الأمر مجازاً بالنسبة إلى ماكس بل واقعاً.

عند العشاء - العشاء الأخير الذي تشاطروه كمجموعة - كشف ماكس عن أن التبدل لم يحدث في الواقع إلا لحظة إدراكه لاختلافه عنهم. ثم شرح قائلاً:

"إن قيامنا بإحداث هذا التبدل لم يكن أبداً أمراً مضموناً. وبصفتي ماكس، كنت طوال حياتي نائماً أكثر مني مستيقظاً. كان علي أن أكون على هذه الحال لاختبار الأمر."

وتسمايل إيرول المستفهم العملي الدائم حول النقطة المطروحة.

"ولكن، إذا كان الأمر كذلك، لماذا لم تدرك حقيقة اختلافك في آب/أغسطس عندما التقينا كمجموعة ونُشِطت الطاقات؟". سأل: "هل هناك غاية من حملنا على البحث عنك في الأشهر الأربعة الماضية، أم أنه اختبار لإلتزامنا بالمهمة؟".

فاوما عدد من الحاضرين برؤوسهم كما لو أنه عبر عما يجول في خاطرهم أيضاً.

"لم يحدث أي شيء بشكل عشوائي"، أجاب ماكس، "لم أكن مدركاً لاختلاقي، ولكن الخطة تطلبت أن يكون ماكس على ما هو

عليه لتنشيط كل دوّامات الطاقة على الأرض لأن الكوكب هو الذي يعان، إن نظرية غايا حقيقية".

وكانت هناك نظرات مُربكة في المجموعة، فشرح ماكس: "غايا هو سيد يوناني، وتفيد النظرية أن الأرض تملك وعياً واحداً، وكل ما يحدث يؤثر فيها. وعلى مرّ القرون، تأثرت الأرض، ولا سيما المواقع المبحّلة القائمة عليها، بكل عمل عنفي. لقد اختار الضالعون المواقع المبحّلة نفسها منذ دهور بشكل واعٍ أو بشكل غير واعٍ، وذلك بالاستناد إلى الطاقات القوية التي ظهرت في تلك المواقع.

كل موقع هو دوّامة من الطاقة، وكان من الضروري قيامي بهذه الرحلات إلى تلك الأماكن لأبرّئها. هي عملية طويلة بدأت عندما كان ماكس شاباً."

"ولكن كيف عرفت أنه يتعين عليك زيارة كل هذه المواقع المنتشرة في أماكن مختلفة من العالم؟"، سألت ميلودي.

"بصفتي ماكس، لم أتلقَ أي إلماعة"، أجاب، "لقد بدأت الرحلة في الواقع مع رحلتي الأولى كطالب إلى البيرو وبوليفيا، عندما زرت بحيرة تيتيكاكا، ولا سيما عندما كنت أعمل على فيلم البحث عن الغاز قديمة. ولكنني لم أدرك حدوث أمر غير عادي. لقد أدركت ذلك عندما قمت برحلاتي الأولى كفرد لتدخلوا جميعكم أنتم الاثنا عشر الصورة. لذلك، لم يكن في استطاعتي تذكر أسمائكم حتى صادفتُ كلاً منكم، كلاً بمفرده، ولم أتمكن من التحقق من أهمية التجمع حتى التقيت بالذئب الراكض."

"ولكن، ما كان الهدف من مرافقة كل منا إلى الأماكن المبحّلة في الأشهر الماضية؟"، سأل شو صن باك.

كسل البشرية. لقد اقتنعت - لحظة الارتباط الرقمي والذنبسي - بالأساس الطاهر للحب الذي يُعتبر العنصر الأساسي لكل حياة. إنه في أساس كل حَملٍ وولادة جسدية وماورائية. فلو لم أدخل هذه الحالة العليا من الوعي بصفتي ماكس، لكنت مفتاح إلهاب من دون قدرة على شفاء الكوكب، ولما حدث التبدل الكبير."

وتوقف قليلاً مرة أخرى، ساعداً للحاضرين باستيعاب ما قاله، ثم أضاف:

"الأمر مرتبط بمصير البشر أكثر مما يتوقع العلماء"، ورفع الشيء الذي كان أساس اكتشافه، "هذه مفكرة بي. أن. ماهارز. يوجد فيها ما يفسر بعض هذه الترابطات، ولكنني لم أكن أملك القدرة على فهمها بصفتي ماكس. وروايات الحضارات القديمة، أساطير القبائل الإثني عشرة، الألوان الإثني عشر المرافقة لكل منكم إضافةً إلى الطاقة الكونية للعالم الخارجي، كلها مترابطة."

لقد بات صحيحاً أن كل شيء ولا شيء هما أمران ماثلان منذ بدء التبدل. فلا وجود للزمان، ولا وجود للمكان"، ووضع المفكرة من يده وحذق إليهم كل بمفرده ثم تابع وقال: "بينما تتطورون وتصبحون كائنات متعددة الأبعاد، ستتحققون من أن هذه الأمور ليست سوى بداية رحلة كبرى باتجاه الاستيقاظ... رحلة يتم اكتشافها بشكل أفضل في المستقبل".

ونظسرت ماريأ إليه، وانعكس مزيج من الحب والخشوع على وجهها.

"أجل"، قالت، "يلو أن الابتهاج بإنقاذ البشرية هو أمر كافٍ في الوقت الحاضر. ولكن الأسئلة ستطرح بعد مدة غير بعيدة. أين نذهب بعد خروجننا من هذه الحياة؟ ماذا يجب أن نفعل بما تبقى من حياتنا المبحلة؟"

فسرة ماكس قائلاً: "قبل كل شيء، كانت هناك أماكن لم يسبق لي أن زرتها واعتبرتها أماكن مبحلة كالأديرة في التبت، وجزيرة أيونا المبحلة، والقلاع في ألمانيا، والبنائيع النائية في فيتنام والصين. وحتى لو قمت بزيارتها في السابق، فأنا لم أعد إليها إلا بعد أعوام. عندما عدت مسع كل منكم، كنت أحمل طاقة كل مكان زرته في السابق مدعوماً بطاقتكم الفردية". ثم أضاف: "لقد بدا الأمر كما لو أننا نلهم كل موقع. ولكن وجودي بمفردي لم يحدث أي تبدل. لم يكن في الإمكان حدوث ذلك حتى مُنح كل موقع مبحل شحنته، ولم يبق سوى مفتاح الإلهاب نفسه".

"ماذا تعني بمفتاح الإلهاب؟"، سأل تشيل.

"بصفتي ماكس، كنت مفتاح الإلهاب. ولكن الأمر تطلّب نوعاً خاصاً من مجريات الأحداث، مجريات تستند إلى دمج أعلى مستوى من الوعي في كيان ماكس. لم أكتسب ذلك المستوى من الوعي إلا عندما أدركت أخيراً أن ولادتي مرتبطة بتاريخ 12 كانون الأول/ديسمبر 2012، وأن الهدف الوحيد من وجودي هو تحرير البشرية من المادية التي تجرد كل فرد من إنسانيته ونحط من قدر الطبيعة".

ونظر إلى كل شخص شاركه المغامرة، ثم أضاف قائلاً:

"لقد ساهم كل منكم في هذا الاستيقاظ الأخير. في استطاعتي الشعور بالرغبة والقصد الموجودين في كل من قلوبكم، بدءاً بماريا، وأراها بوضوح أكبر ربما في الحب الطاهر اللامشروط الذي يشع من عيني سي. دي... من كل كيانته"، قال بحمارة، "ولكنهما أكثر قوة في الطاقة الجماعية، وفي الطهارة الجماعية لكل منكم أنتم الذين تولفون الإثني عشر، ولا تسعون إلى مساعدة العائلات والأوطان فحسب، بل

قبل أن يجيب، اتسم لها، وبدأ في بسمته وعد أن يعيشاً معاً ويحباً بعضهما بعضاً كما تعهدا. فابتهج ماكس.

"في السوق الحاضر، وفي كل الأوقات في الواقع، يكفي أن يختبر كل منكم الفرح في وضعه الحالي. قد لا تتبدل حياتكم البتة في الظاهر، ولكن تذكروا في أثناء عيشكم في هذا العالم الواسع والغريب أن كل إنسان تلتقونه، كل حيوان، كل نبتة، لا بل أيضاً أي شيء تعتبرون أن لا حياة فيه، هو كائن ينبض بالحياة، بشكل ما، وإن لم يكن بالشكل المتعارف عليه بيننا نحن البشر. ستستمرون في مواجهة التحديات، لا بل سأستمر أيضاً في مواجهتها لأن كل ما أرغب فيه هو إكمال رحلة ماكس واكتشاف المهام التي في انتظاري".

في الختام، رفع ماكس كأسه لشرب نخب كل المجتمعين، هم الذين سيواصلون رحلتهم الغريبة.

خاتمة

لم يكشف أي من الاثني عشر الدور الذي سيلعبه كل منهم لتحقيق التبدل الكبير، ولم يكشف أي منهم الهوية الحقيقية لماكس. في غضون ذلك، ازدهرت الأرض، وتباطأ الانغياس الحراري العالمي وتوقف بعد ذلك. والأكثر إثارة للدهشة أن الإنسان أرسى توازناً مع الطبيعة.

وابتكرت تكنولوجيات حديثة، واكتشفت أشكال جديدة من الطاقة. وأصبحت الوفرة أمراً عادياً بالنسبة إلى الجميع. وغاب مفهوم الحرب بعد عقود قليلة، وأصبح التعليم والإبداع الخيارين المتاحين. لم يعد هناك سبب للحرمة.

واستمر العلماء في استكشاف التبدل الجذري الذي حدث في 21 كانون الأول/ديسمبر 2012، ولكنهم لم يتوصلوا أبداً إلى إجماع. فعاد بعضهم إلى الوراء ودرسوا معتقدات المايا القديمة، واقترح أن الأرض - وإيزابا بصفة خاصة - موجودة وسط مجرة درب التبانة ووسط عوالم لامتناهية لم يُطلق عليها أسماء بعد.

لقد نوقش هذا الأمر من دون التوصل إلى إجابة، ذلك أنه يفوق إدراك البشر.

ملحق

بالرغم من أن كتاب الاثنا عشر كتاب خيالي، فهو يتضمن عناصر واقعية أكثر مما تعتقدون. فالاعتقاد بالتبدل الكبير تعكسه العديد من حضارات العالم وليس المايا فقط.

وسيثبت في النهاية من دون شك أن الوضع الحالي الذي يمرّ به كوكبنا وحضاراتنا بحاجة إلى القيام بأمر ما. وسواء أعتبرتم أنفسكم الدب الراكض أو الطيب آلن، يمكنكم لعب دور لإيجاد الحل.

فالحقيقة، والنزاهة، والحب، تبقى على الدوام الأكثر أهمية في الحياة. وسيركز التبدل القادم على هذه القيم البسيطة التي عُرفت عبر العصور.

كوننا جنساً بشرياً مقيماً على كوكب، فنحن نواجه تحديات كبيرة، ولكن الخطوات الأولى تتمثل بالاستيقاظ على ما أنتم عليه في الواقع على غرار العديدين. فقراءة ومناقشة الاثنا عشر هي خطوة بهذا الاتجاه، ولكنها ليست سوى خطوة واحدة.

من أروع القصص

قصة للعقل والروح

حلّ تفاقؤي ومُلهم للغز العام 2012. إنها قصة رحلة، وقدر رجل واحد يكتشف
جوهر السر الكامن وراء التوقع القديم حول نهاية العالم في تاريخ 21 كانون
الأول / ديسمبر 2012، وذلك كما توقعته روزنامة حضارة المايا القديمة.

هذه رواية مميزة لا تُنسى تتناول رجلاً غير عادي. في طفولته، يعيش كان ماكس في
عالم من الألوان والأعداد، ولم يتكلم حتى بلغ السادسة من عمره. وفي سنّ
المراهقة، غامر ماكس في رحلة رسمها له القدر لاكتشاف السر الكامن وراء
التوقع الماياوي القديم حول نهاية العالم.

في الخامسة عشرة من عمره، شاهد ماكس رؤيا عجيبة كشفت له عن أسماء اثني
عشر فرداً يمتازون بالفراة. وبما أن ماكس لم يستطع تبين معنى هذه الأسماء
الاثني عشر، فقد عجز أيضاً عن تبين وجود معنى عميق لذلك. وبعد إكماله لدراسته
في هارفارد ويال، مرّت ثماني سنوات قبل أن يلتقي ماكس أول شخص من
الاثني عشر.

ومع أول لقاء له، بدأت رحلة الاكتشاف، وبذل ماكس جهداً كبيراً لكشف النقاب
عن هويات الأفراد الاثني عشر والمعاني الضمنية لذلك: أفراد سيلتقيهم خلال
رحلته بحثاً عن الحقيقة، وعن الصلة فيما بينهم، واحتمال امتلاك أيّ منهم الإجابة
عما سيحدث للعالم في الوقت المحدد، وهو أنه قد ينتهي.

تحمل الرواية القارئ عبر سلسلة من المغامرات المدهشة إلى القدس، وأثينا،
ولندن، والهند، واسطنبول، والصين، واليابان، والمكسيك، وتبلغ منتهاها بفهم
سبب وكيفية قيام ماكس والاثنى عشر بالتجمع، كما هو مقدّر لهم، لاكتشاف
أهمية 21 كانون الأول / ديسمبر 2012. قد ينجم عن لقاءهم تحقيق التوقع
الماياوي، والتأكد من صحة التوقعات على كوكبنا. فالأثنا عشر دون سواهم هم فقط
من يستطيعون فك شيفرة الإجابات عما أن قدر اليقظة في الميزان.

ISBN 978-614-01-0099-2



9 786140 100992

النهضة كوم

جميع حقوق الطبع محفوظة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات كوم
www.nwf.com



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com